

**العبور المقدس من أحد الشعانين إلى القيامة المجيدة**

تقديم

تتوالى الأحداث فى الأسبوع المقدس بدءًا من ليلة أحد الشعانين حتى أحد القيامة.. وقد قامت راهبات دير القديسة دميانة بتفريغ بعض من عظاتنا لهذا الأسبوع لسنوات سابقة فى ثمان كتيبات؛ وكنا قد وعدنا بتجميع هذه الكتيبات فى مجلد واحد؛ والآن نضع هذا المجلد بين يديك أيها القارئ العزيز، الذى يحوى ثمانية أبواب بدءًا من:

الحفلة بعودة لعازر إلى الحياة، إلا أنها كانت فى الحقيقة إعلان عن بشارة الخلاص وعن موت السيد المسيح المحيى وقيامته المجيدة. وفيها تم تكفين السيد المسيح وهو حى، فكان هو الحى الميت والميت الحى..

مرورًا بيوم الاثنين وليلة الثلاثاء، حيث بدأت أحداث شجرة التين التى لعنها السيد المسيح، وبها أراد أن يحارب خطية النفاق والرياء فى بداية رحلة هذا الأسبوع..

ثم نأتى إلى يوم الثلاثاء وفى الساعة الحادية عشر منه التى فيها يقال لحن بيك إثرونوس وهو مزمور "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك" الذى أعدته الكنيسة لترفع عقولنا إلى مشهد المجد العظيم..

وفى يوم الأربعاء وليلة الخميس الكبير الذى تدور قراءاته حول حوارات وأحاديث السيد المسيح مع اليهود التى بسببها بدأوا يطالبون بصلبه.. فليتنا لا نُهمل خلاصًا هذا مقداره ونتمتع بفاعلية هذه الكنوز فى حياتنا.

وفى يوم الخميس الكبير تصلى الكنيسة مبكرًا عن موعده قداس ذكرى تأسيس العشاء الربانى وذلك لكثرة الأحداث التى تحتفل بها الكنيسة فى ذلك الوقت. لكن السيد المسيح فى الواقع صنع ذلك فى ليلة الجمعة العظيمة وليس فى نهار الخميس بدليل قول الكتاب "وَلَمَّا كَانَ **الْمَسَاءُ** اتَّكَأَ مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ" (مت26: 20)، وقوله عن يهوذا الإسخريوطى بعد أكل لقمة فى الفصح اليهودى "فَذَاكَ لَمَّا أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلْوَقْتِ. **وَكَانَ لَيْلاً**" (يو13: 30). فقد كانت الإفخارستيا **قبل الصليب بساعات** فى ليلة الجمعة العظيمة بعد أن خرج يهوذا، **لأن يهوذا خرج وهو متفق على تسليم السيد المسيح**، فبخروجه **دخل السيد المسيح فى دائرة الموت**.

ثم نأتى إلى باقى أحداث ليلة الجمعة العظيمة، ونحن نعيش أحداث القبض على السيد المسيح ومحاكمته... لا ننظر فقط للبُعد المحزن ولكن لابد أن نرى البُعد الآخر، نرى الظلم وهو ينهار، نرى الباطل وهو يتبدد، نرى الجحيم وهو يفقد سلطانه، نرى الشيطان وهو يتجرد من رتبته كما قال معلمنا بولس الرسول عن الصليب: "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ اشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ" (كو2: 15).

وفى يوم الجمعة العظيمة، نرى أن الكنيسة رتبت صلوات هذا اليوم بكل ما فيه من ألحان وقراءات عميقة، لكى يبحث كل شخص فى وسط هذه الأحداث وهذا الجو الروحى عن أبديته وخلاص نفسه، يراجع نفسه ما هو موقفه فى يوم الدينونة.

ثم نأتى إلى أحد القيامة، حيث الجانب الملموس لمجد الصليب، فبقيامة السيد المسيح من الأموات صار لنا الثقة بأن كل ظلمة صليب لابد وأن يعقبها نور قيامة. وأصبحت القيامة بالنسبة لنا اختبار يومى نذوقه فى كل مرة نقترب من الصليب نحمله بفرح، لأنه ليس هناك طريق للقيامة إلا طريق واحد وهو الصليب.

ليجعل الرب هذا الكتاب سبب بركة للقارئ فى هذا الأسبوع المقدس، وليعيد الرب هذه الأيام المقدسة والكنيسة فى سلام، بصلوات **صاحب القداسة البابا تواضروس الثانى أطال الرب حياة قداسته.**

عيد القيامة بيشوى

20 أبريل 2014م مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

12برمودة 1730ش ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

مقدمة

فى الأسبوع المقدس لسنوات سابقة، ألقى أبينا وراعينا الحبيب نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى للراهبات فى دير القديسة دميانه مجموعة من العظات الذهبية النافعة والعميقة جدًا التى رأينا أن يتم نشرها ليعم النفع الجميع، وقد صدرت هذه العظات فى ثمانية كتيبات، قام نيافته بمراجعة هذه العظات وصياغتها، وقمنا بتجميع هذه الكتيبات فى مجلد واحد باسم "العبور المقدس من أحد الشعانين إلى القيامة المجيدة"، حيث ليس هناك طريقًا للقيامة إلاَّ بالصليب. هكذا علَّمنا أبينا المحبوب نيافة الأنبا بيشوي بحياته قبل كلماته وتأمُّلاته العميقة, التي تعلَّمنا منها كيف تكون الحياة الحقيقية؛ الحياة التي لا تنبت إلاَّ بعد الموت. وقد رأينا هذا المعنى متجسدًا في حياة نيافته.. رأينا في حياته قوة القيامة ومجدها وحريتها ونصرتها التي أعلنت نصرة الحب المصلوب لأجلنا وقوة الحياة التي فيه.. ولذلك رأينا أن يشرق هذا الكتاب مع أفراح القيامة بما يحمله من بُشرَى القيامة وأفراحها ومجدها، ليشترك معنا القارئ العزيز في هذه الفائدة الروحية وفي هذه البركة.. فلنحيا في بركات أسبوع الآلام وأفراح القيامة وأمجادها بعد أن أنار إلهنا الطريق أمامنا بصليبه, وداس الموت بموته, وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات. لكي يزداد اشتياقنا للسماويات كما يقول معلمنا بولس الرسول: "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَن ْيَمِينِ اللَّـه" (كو1:3).

فلنثق في قوة المسيح الذي هزم الموت، وأعطانا القيامة، وأقامنا معه.. ما دام المسيح القائم يحل في قلوبنا ويملك على حياتنا بفعل ونعمة الروح القدس.

إلهنا الصالح ومخلصنا الذي صُلب عنا وقام يعطينا بركة هذه الأعياد المقدسة بصلوات **صاحب القداسة البابا تواضروس الثانى ونيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى أطال الرب لنا حياتهما سنينًا عديدة وأزمنة مديدة**.

راهبات دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

عشية أحد الشعانين

ارتبطت إقامة لعازر من بين الأموات بأحداث صلب السيد المسيح وأسبوع الآلام والقيامة المجيدة.

بعدما تأخر السيد المسيح عن الحضور إلى بيت عنيا حتى وفاة لعازر قال لتلاميذه: "لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ" (يو11: 11). فلم يفهم التلاميذ فى البداية لكنه بعد ذلك قال لهم علانية: "لِعَازَرُ مَاتَ... وَلَكِنْ لِنَذْهَبْ إِلَيْهِ" (يو11: 14، 15)، أى بدأ يفهمهم أنه سيذهب ليوقظه أو يقيمه. "فَقَالَ تُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ لِلتّلاَمِيذِ رُفَقَائِهِ: لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضًا لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ" (يو11: 16). بمعنى أن التلاميذ بدأوا يقلقون من ذهابه إلى أورشليم وهو يعلم أن اليهود يريدون قتله.

من الواضح أن هناك توقعًا منذ بداية القصة أن اليهود سوف يقبضون على السيد المسيح ويقتلوه إذا ذهب إلى منطقة أورشليم أو أى مكان قريب منها مثل بيت عنيا. والسيد المسيح لم يذهب إلى بيت عنيا فقط بل دخل أيضًا إلى أورشليم فى موكب عظيم فى يوم أحد الشعانين بل ودخل الهيكل. وعندما دخل الهيكل "قَالَ لَهُمْ: مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى" (مت21: 13)، وأخرج الباعة من الهيكل. وكان لهذا الحدث مع حدث إقامة لعازر رد فعل قوى عند رؤساء الكهنة والمنتفعين.

لقد تشابكت الأحداث على مدى أسبوع الآلام، وهى موضوع تأمل الأسبوع كله..

لقد رتبت الكنيسة أن يكون سبت لعازر فى اليوم السابق لأحد الشعانين، ورتبت فى مساء نفس اليوم قراءة فصل إنجيل معلمنا يوحنا الذى يتكلم عن الوليمة التى أقيمت فى بيت لعازر أو فى الموضع الذى كان فيه لعازر والأحداث التى حدثت فى هذه الوليمة. ولم يفت على الإنجيلى أن يذكر أن كثيرين كانوا يأتون ليروا لعازر الذى أقامه يسوع من الموت، وأن اليهود قد فكروا فى قتل لعازر نفسه أيضًا، فقيل: "فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضًا، لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ" (يو12: 10 ،11).

ارتباط إقامة لعازر بأحد الشعانين

لقد ارتبط حدث إقامة لعازر من الموت بأحداث أحد الشعانين فى نقطة هامة جدًا وهى أن السيد المسيح أثناء دخوله إلى أورشليم تصعّد الاستقبال جدًا بسبب أن كثيرين كانوا قد شاهدوا لعازر بعد قيامته وبعضهم كانوا قد حضروا معجزة إقامته نفسها والبعض حضر الدفن أو حضر ليعزى أختيه، وانتشرت الأخبار. ففى أثناء دخول السيد المسيح إلى أورشليم كانت الجموع تشهد أنه قد أقام لعازر من بين الأموات.

كان حدث إقامة لعازر من الموت هو أحد الأسباب لهذا الاستقبال الحافل للسيد المسيح فى دخوله إلى أورشليم. وإن كان هذا الاستقبال هو الذى صعّد الأمور جدًا عند رؤساء الكهنة فأرادوا القبض عليه ولم يقدروا أن ينتظروا حتى يمر عيد الفصح، مع أنهم كانوا قد قالوا "لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ" (مت26: 5، مر14: 2).

حضور وشهادة يهود العالم كله

طبعًا كانت مخاطرة من جانب رؤساء الكهنة أن يقبضوا على السيد المسيح أثناء عيد الفصح فى وجود آلاف من اليهود ليس فقط من أورشليم، ولا من اليهودية، ولا من عموم أرض إسرائيل، ولكن اليهود الحاضرين من كل أنحاء العالم، ولذلك يقول الرب فى سفر إشعياء النبى: "اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ" (إش45: 22).

إن مشهد الجلجثة ومشهد الصليب لم يشهده يهود من منطقة اليهودية فقط بل كل يهود العالم الذين كانوا مجتمعين فى أورشليم فى هذه المناسبة. وتكرر الأمر أيضًا فى يوم الخمسين، فذكر سفر أعمال الرسل خمس عشرة لغة أو شعب كانوا حاضرين يوم الخمسين فى أورشليم: "فَرْتِيُّونَ وَمَادِيُّونَ وَعِيلاَمِيُّونَ وَالسَّاكِنُونَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَالْيَهُودِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَبُنْتُسَ وَأَسِيَّا. وَفَرِيجِيَّةَ وَبَمْفِيلِيَّةَ وَمِصْرَ وَنَوَاحِيَ لِيبِيَّةَ الَّتِي نَحْوَ الْقَيْرَوَانِ وَالرُّومَانِيُّونَ الْمُسْتَوْطِنُونَ يَهُودٌ وَدُخَلاَءُ. كِرِيتِيُّونَ وَعَرَبٌ نَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا بِعَظَائِمِ اللهِ" (أع2: 6-11).

شهادة الأمم

لم يكن حدث الصلب العظيم وحدث يوم الخمسين هو لليهود المقيمين فى أورشليم فقط بل كان حدثًا على مشهد من العالم اليهودى كله، الذى يمثل العالم جغرافيًا فى ذلك الحين، وإن كانت البشارة بعد ذلك قد بلغت إلى الأمم أيضًا الذين ليسوا فى الأصل يهودًا، ولكن فى ذلك الوقت لم يكن من الممكن أن يكون هناك من الأمم أحد إلا الرومان الذين آمن البعض منهم أيضًا، مثل قائد المائة، الذى لما رأى كل ما حدث عند الصليب قال: "**حَقًّا كَانَ هَذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللَّهِ**" (مر15: 39).

لم يكن عدد الرومان الذين حضروا هذه الأحداث كبيرًا، لكننا لا نستطيع أن نغفل المكتوب من أن اليهود والرومان اشتركوا فى صلب السيد المسيح، ففى سفر المزامير يقول: "ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ، قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ" (مز2: 1، 2).

علاوة على ذلك فقد كُتب على الصليب الذى صلب عليه السيد المسيح: "**يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ**. فَقَرَأَ هَذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاتِينِيَّةِ" (يو19: 19، 20).

ولم تكن مصادفة أن يكتب على الصليب بالثلاث لغات المعروفة فى ذلك الحين، بل كان هذا لكى يُعلن الخلاص للعالم كله: اليهود "الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ وَلَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاِشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ" (رو9: 4)، والرومان الذين يمثلون السلطة الحاكمة، واليونانيين الذين يمثلون أقوى فلسفة كانت موجودة فى العالم فى ذلك الزمان، وكانت اللغة اليونانية هى لغة المثقفين مثل اللغة الإنجليزية فى وقتنا الحاضر.

شرح مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث -نيح الله نفسه- أن السيد المسيح جاء فى وقت حُكم الرومان الذين مهدوا الطرق لتسهيل المواصلات. وقد جاء السيد المسيح أيضًا فى وقت انتشار اللغة اليونانية حينما أصبحت هى اللغة التى يتكلم بها كل العالم المتحضر فى ذلك الحين فكُتب العهد الجديد باللغة اليونانية. وقال معلمنا بولس الرسول: "**لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ**" (غل4: 4). فالطرق التى تجعلالسفر سريعًا كانت تُجهّز، واللغات التى تساعد على انتشار بشارة الإنجيل كانت تُجهّز.

وكتبت اللافتة باللغة العبرية لأن السيد المسيح جاء من العبرانيين، وهذه هى اللغة التى كتبت بها أغلب أسفار العهد القديم والتى قرأ بها السيد المسيح من سفر إشعياء النبى فى المجمع اليهودى فى كفر ناحوم حينما قال: "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لو4: 18). ومن المعروف أن اللغة العبرية لم يكن أحد يستطيع أن يقرأها فى زمن السيد المسيح إلا الكتبة والدارسين، لأن الشعب بعد السبى كان يتكلم بالأرامية وهى اللغة التى نطق بها السيد المسيح وكتبت فى الإنجيل فى قوله: "إِلُوِي إِلُوِي لَمَا شَبَقْتَنِي؟" (مر15: 34). أما مخطوطات العهد القديم باللغة العبرية فكانت عبارة عن أحرف متصلة بدون فاصل بين الجمل أو حتى الكلمات، وأيضًا لا توجد بها نقاط فوق الحروف للتمييز بين المتشابه منها، فلا يستطيع أحد أن يقرأها إلا الكتبة ومن على شاكلتهم من الفريسيين المتعمقين فى الدراسات الدينية، مما جعل اليهود يتعجبون ويندهشون حينما استطاع السيد المسيح أن يقرأ فى المجمع ويقولون: "كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟" (يو7: 16). وهم يقصدون بذلك أنه لم يتعلم فى مدرسة الكتبة والفريسيين، فكيف يقرأ لغة هو لم يتعلمها من الأساس؟! ولذلك أجابهم يسوع قائلاً: "تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ للَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو7: 16).

**ينسب فى كثير من الأحيان الأمور الخاصة باللاهوت للآب**

عندما كان السيد المسيح يتكلم عن أى شيء يخص لاهوته لم يكن -فى أغلب الأوقات- ينسب الكلام إلى نفسه بل إلى الآب، لكى يوضح أنه مرسل من قِبَلْ الآب، وأيضًا لكى يوضح دور الآب فى خلاص البشرية، فلا يفصل بين الآب والبشر فقال: "أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، الْكلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ" (يو14: 10). وقال: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو5: 17).

إذًا الآب والابن والروح القدس يعملون معًا، ولكن السيد المسيح فى أغلب الأوقات كان ينسب أمورًا إلى الآب وذلك حتى لا يفهم البعض أن هناك ازدواجية فى شخصيته. بمعنى أنه لا يقول إنه بحسب لاهوته يعمل هذا العمل وبحسب ناسوته يعمل آخر. إذ أن من لا يفهمون هذه الحقائق ربما يعتقدون خطًأ أن هناك ثنائية فى شخص السيد المسيح.

يقول اليهود إنه إنسانيًا لم يتعلم القراءة فكيف يستطيع أن يقرأ. كان من الممكن أن يجاوبهم السيد المسيح بقوله إنه بحسب لاهوته يعرف كل شيء، ولكن هذا الأمر كان يصعب عليهم فهمه فى ذلك الحين. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى كان من الممكن أن يعتقدوا أنه إنسان ساكن فيه إله، وهذه هى هرطقة نسطور. ولقد حارب السيد المسيح النسطورية قبل أن تبدأ. فعندما كان يتكلم عن أمور تخص لاهوته كان فى بعض الأوقات ينسبها إلى الآب.

**ولكن لئلا يظن أحد أن ما يخص اللاهوت يخص الآب فقط كان فى أوقات أخرى يشير إلى لاهوته** ولكن بطريقة خفية، فيقول مثلاً: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ**" (يو8: 58) قال هذه العبارة وتركها لهم ليفهموها؛ وهو هنا يتكلم من حيث لاهوته. وأيضًا حينما قال "**انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ**" (يو2: 19)، وحينئذ اعتقد اليهود أنه يتكلم عن الهيكل الذى بناه سليمان وأعيد بناؤه مرة أخرى بعد السبى. ولكن معلمنا يوحنا الإنجيلى علّق على ذلك بقوله: "وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ" (يو2: 21).والمقصود هو أنه سوف يقيم جسده بسلطانه الإلهى.

القرون والقرن

يقول مزمور عشية أحد الشعانين: "رتبوا عيدًا فى الواصلين إلى قرون المذبح" (مز118: 27).

لماذا ذكرت قرون المذبح فى هذا الوقت؟! أين هى القرون وما هو موضوعها؟!

كان من يقتل إنسانًا بطريق الخطأ وهو غير متعمد؛ يمكنه أن يهرب ويتعلق بقرون المذبح فلا يستطيع أحد أن يقتله. لأنه كان ممنوعًا أن يقتل أى شخص إذا تعلق بقرون المذبح.

عند دخول السيد المسيح إلى أورشليم قال الشعب: "مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" (مز118: 26). واستمر هذا الهتاف حتى وصل إلى الهيكل، لذلك قال المزمور "رتبوا عيدًا فى الواصلين إلى **قرون** المذبح" (مز 118: 27).

عندما يكون الحديث عن السيد المسيح باعتباره هو قرن المذبح يقال "قرن" بصيغة المفرد وليس "قرون" بصيغة الجمع. مثلما يقال فى المزمور: "المحبوب مثل ابن وحيد **القرن**" (مز29: 6)، أو مثلما قال زكريا أبو يوحنا المعمدان: "وَأَقَامَ لَنَا **قَرْنَ** خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ" (لو1: 69)، وليس قرون.

كانت هناك خمسة أنواع من التقدمات عند اليهود فى العهد القديم وهى المحرقة، والسلامة، والخطية، والإثم، وتقدمة القربان. كل التقدمات تجمعت فى ذبيحة السيد المسيح. هكذا أيضًا هناك فرق بين السيد المسيح والمذبح الخاص بخيمة الاجتماع أو الهيكل فى العهد القديم، الذى كان يرمز للسيد المسيح. فإن كان للمذبح أربعة قرون فالمسيح هو القرن الواحد كما قال زكريا: "وَأَقَامَ لَنَا **قَرْنَ** خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ" (لو1: 69)، والذى يتمسك به ينال الخلاص ولا يهلك. ولكن **قرون المذبح الأربعة تشير إلى أفعال المسيح الخلاصية الأربعة أى التجسد والصلب والقيامة والصعود ولذلك فحول عرش الله أربعة أحياء غير متجسدين شبه إنسان وشبه عجل وشبه أسد وشبه نسر وتشير أيضًا إلى الأناجيل الأربعة وإلى أطراف الصليب الأربعة. ولكن القرون الأربعة تجمعت هى أيضًا فى القرن الواحد الذى هو المسيح.**

والقرن له أكثر من استخدام ففى سفر صموئيل يقول: "فَقَالَ الرَّبُّ قُمِ امْسَحْهُ لأَنَّ هَذَا هُوَ. فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ الدُّهْنِ وَمَسَحَهُ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ. وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا" (1صم16: 12، 13).

فى أيام الأنبياء قديمًا لم يكن متوفرًا لديهم أوانى زجاجية لوضع زيت المسحة المقدسة (قد توجد أوانى زجاجية فى الممالك العظيمة مثل مصر لكن لم تكن متوفرة فى باقى الأماكن) فكانوا يضعون دهن المسحة المقدسة فى قرن ثور بشرط أن يكون مجوفًا ومجففًا ونظيفًا، وحينما يريد النبى أن يمسح ملكًا يمسك قرن الدهن ويصبه على رأسه مثلما عمل صموئيل النبى مع داود. وكان الرب قد قال لموسى النبى إن النفس التى تصنع مثل هذا الدهن تقطع من شعبها، لأنه مخصص للمسحة المقدسة. وهو يماثل زيت الميرون بالنسبة لنا اليوم.

السيد المسيح هو الهيكل الحقيقى هو مسكن الله الحقيقى، بل وأكثر من مجرد مسكن، فهو أيضًا الذى أرسل الروح القدس: "مَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي" (يو15: 26).

إذن فقرن الدهن هو السيد المسيح ولذلك قال معلمنا يوحنا فى بداية إنجيله: "**وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ**" (يو1: 16).

لقد مُسح السيد المسيح بالروح القدس فى نهر الأردن فهو قرن الدهن، وهو قرن الخلاص، وهو قرن المذبح.

لا يجوز أن يقال عن السيد المسيح إن له أكثر من قرن لأننا نؤمن بطبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة. وممكن من جهة أخرى أن تفسر فكرة وحيد القرن على أن السيد المسيح هو "الابن الوحيد الجنس بالولادة" ὁ μονογενὴς υἱός (أومونوجينيس إيوس) أى أنه وحيد جنس للآب بالولادة وله نفس جوهر الآب. له نفس الجنس الإلهى بالولادة وليس بالانبثاق أى وحيد فى الولادة من الآب بنفس جوهره.

مكتوب فى المزمور "المحبوب مثل ابن وحيد القرن" (مز 29: 6) والمقصود أن له قرن واحد وليس قرنان مثل البقرة أو الثور أو غيرها. لذلك قال زكريا أبو يوحنا المعمدان بالروح القدس: "وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ" (لو1: 69). والمقصود بهذا أن الذى يتمسك به ينجو من الموت وينجو من الهلاك، هذا هو قرن الخلاص..

كانت قرون المذبح مهمة جدًا عند الناس، لأن من يصل إلى قرون المذبح ويتعلق بها لا يستطيع أحد أن يمسه بأذى وبذلك ينجو من الهلاك.

سنة اليوبيل

الذى كان يتمسك بقرون المذبح كان يذهب إلى مدن تسمى مدن الملجأ ويمكث بها حتى سنة اليوبيل. وفى سنة اليوبيل يُطلق حرًا، ولا يُحسب عليه دم إن كان قد قتل أحدًا بطريق الخطأ عن غير عمد.

وعندما وقف السيد المسيح فى المجمع قرأ من سفر إشعياء النبى: "وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ" (لو4: 19). فقد اعتبر السيد المسيح أنه جاء ليعمل **اليوبيل الحقيقى** الذى يتم فيه الإبراء، لأن الساكنين المحبوسين فى مدن الملجأ كانوا يخرجون فى سنة الإبراء. هكذا عندما نزل السيد المسيح إلى الجحيم أخرج الذين كانوا فى الجحيم، الذين رقدوا على رجاء الخلاص. وبهذا تحققت النبوة الخاصة بسنة اليوبيل ومدن الملجأ.

قال مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث –نيّح الله روحه- إن اللذين كانوا فى الجحيم لم يكن لهم كلهم نفس الوضع، فالذين رقدوا على رجاء الخلاص كانوا مثل الأسرى، أما الذين عاشوا فى الشر والخطية وفى شركة مع الشيطان وكانوا فى عبودية كاملة له كان لهم وضع مختلف فى الجحيم. الأسرى على رجاء وضعهم مثل وضع ابن ملك إذا وقع أسيرًا وصار مسجونًا عند العدو فهو يكون فى انتظار أبيه الذى سوف يأتى ويطلقه.

إذن نستطيع أن نقول إن وضع الذين كانوا فى مدن الملجأ هو مثل هؤلاء الذين كانوا فى الجحيم.

وليمة لعازر

ذكر معلمنا يوحنا الإنجيلى ما يلى: "ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (يو12: 1). هذا هو يوم الوليمة وهو يوم آخر غير اليوم الذى أقام السيد المسيح فيه لعازر من الموت. فى ترتيب الكنيسة نحن فى الصباح نحتفل بإقامة لعازر وفى المساء نحتفل بوليمة لعازر. لكن الذى حدث هو أن الوليمة كانت فى يوم آخر غير يوم إقامته من الموت فضمت الكنيسة الحدثين حتى لا تتبعثر الأحداث، وحتى ندخل أسبوع الآلام بكل الأحداث التى أدت إليه بما فيها إقامة لعازر من الأموات.

ونلاحظ أن مرثا فى يوم الوليمة كانت تخدم كعادتها، وكان لعازر متكئًا بجوار السيد المسيح، أما مريم فكانت معتادة أن تجلس عند قدمى السيد المسيح لذلك قال: "فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا" (لو10: 42)، لكن فى يوم إقامة لعازر من الموت والبيت مزدحم بالناس لم يكن لها مكان تجلس فيه تحت قدمى السيد المسيح، كما لم ترد أن تتدخل فى تخصص مرثا.

لم يوبّخ السيد المسيح مرثا في يوم وليمة لعازر مثلما وبخها فى مرة سابقة حينما قال لها: "مَرْثَا مَرْثَا أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ. وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ" (مت10: 41، 42)، لأن مرثا فى ذلك اليوم كانت قد طهت طعامًا كثيرًا. فتساءل السيد لماذا كل هذا وأنا شخص واحد؟ أما فى يوم إقامة لعازر فلم يوبّخها ولم تستطع مرثا أن تحتج على مريم. أما مريم ففى يوم وليمة لعازر وجدت لنفسها عملاً له أهمية خطيرة جدًا اختارت فيه أيضًا النصيب الصالح الذى لن ينزع منها لكن بطريقة أخرى.

هناك قصيدة لمثلث الرحمات البابا شنوده الثالث -نيح الله روحه ونفعنا ببركة صلواته- يقول فيها:

دخــلت البيت لا مـــرثـــا بســـاحته ولا مريـــــم

فمن للرب فى البيت وكيف إذا أتى يُخدَم

ومن يهفو لمقدمه ومـن يجرى ومـن يَبسم

ومن يرنو لطلعته ومـن يصغى ومـن يفهم

ومـن بكلامه يشدو طــــــوال الليل أو يحلـــم

ويقصد بذلك على سبيل العتاب أن الرب دخل بيتًا فى حياة القارئ فلم يجد أحدًا مثل مرثا أو أحدًا مثل مريم.

كانت لمرثا علاقة قوية بالسيد المسيح فليس معنى أنه لفت نظرها إلى أمر ما أنه طردها، لا طبعًا.. لأنه بعد هذا الحدث عند قدومه لإقامة لعازر شقيقها قال لها: "سَيَقُومُ أَخُوكِ. قَالَتْ لَهُ مَرْثَا: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يو11: 23، 24). فقد كان لمرثا إيمان صحيح وليس مثل إيمان الصدوقيين، لذلك أجابها السيد المسيح قائلاً: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا؟. قَالَتْ لَهُ: **نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ**" (يو11: 25-27). ثم بعد ذلك ذهب إلى القبر وأقام لعازر.

إذن لم تكن مرثا شخصية عادية بل كان لها إيمان قوى وصحيح ولكنها كانت تحتاج إلى بعض التوجيهات، وهذه التوجيهات لا تمنع أنها لها مكانتها عند السيد المسيح.

ساكبات الطيب

* ما هو العمل الهام الذى عملته مريم أخت لعازر؟ لقد سكبت مريم الطيب على قدمى السيد المسيح فى يوم وليمة أخيها لعازر.
* وفى مساء يوم الثلاثاء من أسبوع الآلام تذكر الأناجيل وليمة أخرى ذكرت فيها امرأة سكبت الطيب على رأس السيد المسيح ولم يذكر اسمها.
* وقبل ذلك بكثير كانت هناك امرأة خاطئة فى المدينة قد دهنت قدمى الرب بالطيب وبللتهما بدموعها فى بيت سمعان الفريسى. أى أن هناك ثلاث حوادث سكب طيب ذُكرت فى الأناجيل كل حادثة منها تتميز عن الأخرى.

**المرأة الخاطئة النادمة فى بيت الفريسى**

المرأة التى سكبت الطيب على قدمى السيد المسيح وغسلتهما بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها يقول عنها معلمنا لوقا الإنجيلى البشير: "وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً (أى امرأة مشهورة بالخطية) إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ. وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ" (لو7: 37، 38). وقال عنها السيد المسيح لسمعان الفريسى: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. والَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً" (لو7: 47).وأيضًا قال له عنها: **"**وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ" (لو7: 44-46).

هناك فرق بين هذه المرأة الخاطئة التى غسلت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها وكانت تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب وبين مريم أخت لعازر التى جلست عند قدميه وسكبت الطيب يوم وليمة لعازر.

**مريم المجدلية والمرأة التى أُمسكت فى ذات الفعل**

كما أن البعض يختلط عليهم الأمر بين مريم المجدلية، وبين المرأة التى أُمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل، وبين المرأة التى كانت خاطئة فى المدينة التى تُذكر فى قطعة إنجيل الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل فى صلوات الأجبية.

مريم المجدلية قيل إن الرب أخرج منها سبعة شياطين، فمعلمنا لوقا البشير يقول: "مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ" (لو8: 2). ولم يقل إنها كانت خاطئة فهذه شخصية وتلك شخصية أخرى.

فى فيلم آلام المسيحthe Passion Of The Christ وهو فيلم مشهور وقوى من إخراج المخرج العالمى "ميل جيبسون" هناك خلط بين المرأة التى أُمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل (انظر يو8: 1-11) وقال لها يسوع: "ولاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا" (يو8: 11)، وهناك احتمال كبير جدًا أنها بعد هذه العبارة تابت ولم تعد للخطية، وبين مريم المجدلية التى أخرج منها الرب سبعة شياطين.

كيف يعتبرون المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل هى نفسها مريم المجدلية؟!

لماذا الخلط بين الشخصيات؟!

لماذا نقول إن مريم المجدلية هى التى أُمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل أو هى المرأة الخاطئة التى غسلت رجليه بدموعها؟!

مريم المجدلية التى كان بها سبعة شياطين وشفاها السيد المسيح. نفهم أنها تبعته مع أخريات وكن يخدمنه من أموالهن، يقول معلمنا لوقا الإنجيلى عن ذلك: "وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمَعَهُ الاِثْنَا عَشَرَ. وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: **مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ**. وَيُوَنَّا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ وَسُوسَنَّةُ وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ" (لو8: 1-3). لم يذكر أنها أخطأت أو زنت فلا يصح أن ننسب إلى شخص شيئًا لم يذكر عنه.

ما نعرفه عن مريم المجدلية هو أنه بعدما أخرج منها السيد المسيح السبعة شياطين تبعته طوال الوقت حتى إلى الصليب حيث كانت مع السيدة العذراء مريم "وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا **وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ**" (يو19: 25)، وكانت عند القبر فى القيامة، وقيل: "بَعْدَمَا قَامَ بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلاً **لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ** الَّتِي كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ" (مر16: 9)، وقال لها ولمريم الأخرى: "اذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي" (مت 28: 10)، ولها أكثر من قصة سنتحدث عنها فى أحداث القيامة المجيدة.

**إذن هناك**:

أولاً: المرأة التى أُمسكت وهى تزنى، هذه ذهبت فى طريقها ولم تظهر مرة أخرى.

ثانيًا: المرأة الخاطئة التى سكبت الطيب على قدمى الرب بعدما غسلتهما بدموعها، وهى أيضًا اختفت ولم نعرف عنها شيئًا. هذه قال لها السيد المسيح: "إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ" (لو7: 50).

ثالثًا: مريم المجدلية التى استمر ظهورها على مسافات كبيرة ولكن لم تظهر فى هذه الليلة فى وليمة لعازر.

رابعًا: مريم أخت لعازر التى ظهرت فى الوليمة.

خامسًا: المرأة التى سكبت الطيب على رأس السيد المسيح فى بيت سمعان الأبرص.

العمل الهام الذى عملته مريم أخت لعازر

لم تقم مريم أخت لعازر بغسل قدمى السيد المسيح بدموعها لأن الكتاب المقدس أراد أن يوضح الفرق بينها وبين المرأة الخاطئة. ليس أن مريم أخت لعازر بلا خطية لكن المرأة الأخرى معروفة بذلك أما هذه فهى من بيت مبارك يرتاح فيه السيد المسيح**.**

ما عملته مريم هو أنها أخذت "مَنًا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا" (يو12: 3).

كان السيد المسيح متكئًا ووجهه متجهًا نحو المائدة والجالسين فلم يكن ممكنًا أن تجلس عند قدميه لسماع كلامه مثل المرة الأولى التى قيل عنها فيها: "مَرْيَمَ الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ" والتى قال عنها فيها "اخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا" (لو10: 42). فى هذا اليوم لم تجد مريم فرصة لسماع كلامه أو لأن يشرح لها شيئًا، فلم يكن أمامها إلا أن تأتى وتسكب الطيب الناردين الخالص الفائق الكثير الثمن عند قدميه وتمسحهما بشعر رأسها علامة التكريم الفائق.

كان من الممكن أن تسكب الطيب على رأسه وهذا ما حدث يوم الثلاثاء مساءً فى بيت سمعان الأبرص. تلك المرأة سكبت الطيب على رأس السيد المسيح وليس قدميه. أما مريم أخت لعازر: "فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ" (يو12: 3). هو نوع من الشكر، والتكريم للسيد المسيح، والاحترام الفائق حتى أنها شعرت أنها لا تستحق أن تضع الطيب على رأس السيد المسيح ولكن كانت تريد أن تكرِّم قدميه.. قدميه اللتين مشيتا مسافات طويلة من أجل إقامة أخيها لعازر من الموت، قدميه اللتين ذهبتا عند القبر، قدميه اللتين سوف تُسمران على الصليب من أجل خلاص العالم..

كانت مريم إنسانة متواضعة جدًا.. وكذلك فإن مسح قدمى السيد المسيح بشعر رأسها يعنى أنها تقدّم كرامتها كلها تحت قدمى السيد المسيح، لأن زينة المرأة هى شعرها (انظر1كو11: 15). وبالتأكيد ظلت رائحة الطيب هذه عالقة برأسها حتى قيامة السيد المسيح من الأموات. وقد شرح السيد المسيح أن هذا كان نوعًا من التكفين له وقال: "اتْرُكُوهَا. إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ. لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ" (يو12: 7، 8). وبذلك أعلن السيد المسيح أنه قَبِلَ أن يتم تكفينه وهو حى.

حفل الحى الميت والميت الحى

هذه الحفلة أو الوليمة التى أقيمت من أجل قيامة لعازر من الموت كانت مقامة لشخصين أحدهما حى والآخر ميت.. لكن الميت قام والحى سوف يموت.. فكانوا يحتفلون بشخص أتى من العالم الآخر وبشخص ذاهب إلى العالم الآخر.. بشخص وصل وبآخر مسافر..

كيف يجتمع الموت والحياة فى وقت واحد؟!

هذا هو سر السيد المسيح ولذلك قال لمنوح والد شمشون حينما ظهر له: "لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي وَهُوَ عَجِيبٌ؟" (قض13: 18).

**لقد تم تكفين السيد المسيح وهو حى، فكان هو الحى الميت والميت الحى. لأنه حينما مات بالجسد كان حيًا بالروح وبلاهوته. كما أننا ينبغى أن نفهم أن موت المسيح هو مانح للحياة للذين يؤمنون به.**

ومن ضمن الأمور التى تسترعى الانتباه فى قصة لعازر أنه نسى كل ما رآه فى العالم الآخر، ولذلك لم يستطع أن يقص أى شيء عن الجحيم، لأنه لو تذكر ما فى الجحيم وهو فى الجسد سوف يموت من الخوف. هو رأى الجحيم ليس وهو داخل الجسد لكن وهو خارج الجسد، فروحه العاقل من الممكن أن يحتمل ما رآه فى الجحيم، ولكن لو كان قد رأى الجحيم وهو فى الجسد لمات من الفزع، لأجل ذلك أنساه الرب كل ما قد رآه.

جلس لعازر صامتًا وكأن شيئًا لم يحدث، ولم يُذكر أن لعازر قال جملة أو حتى كلمة واحدة. ولكن جلوسه فى الوليمة بجوار السيد المسيح يعلن أن السيد المسيح هو رب الحياة، مثلما قال لمرثا: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يو11: 25).

**هل كان هذا الاحتفال هو احتفال بالموت أم احتفال بالحياة؟!**

**إنه أمر محيّر!!..**

قال السيد المسيح: "إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ" (يو12: 7)، فى الوقت الذى كانت فيه الحفلة فى قصد الذى أقامها أنها احتفال بعودة لعازر إلى الحياة.. إلا أنها كانت فى الحقيقة إعلان عن بشارة الخلاص وعن موت السيد المسيح المحيى وقيامته المجيدة.

هذه الحفلة هى حفلة مبكرة لملكوت السماوات، أو احتفال مبكر لوليمة الأبدية.. وقد قدمت مريم فى هذا الاحتفال لوليمة الأبدية مبدأً هامًا جدًا هو أننا عند أقدام السيد المسيح... نحن عند قدميه ويجب أن نظل عند قدميه حتى فى الأبدية. نحن شركاء معه فى المجد **ولكن** **عند قدميه**.

الطيب

ها هى مريم أخت لعازر تحت قدمى السيد المسيح لكن رأسها امتلأ بالطيب لأن الذين فى الأبدية سوف تكون أفكارهم كلها لها رائحة الحياة وفيها أمجاد السماويات. وامتلأ البيت كله من رائحة الطيب وهذا يشير إلى مجد المسيح.

والعجيب أن من ذهب إلى القبر بعد قيامة السيد المسيح كان يشم رائحة معينة ومن كان يقترب من مريم أخت لعازر كان يشم نفس الرائحة. وفى ذلك يقول معلمنا بولس الرسول: "لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ**.** لِهَؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولَئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ" (2كو2: 15، 16). لقد كان فكرها مملوءًا بمحبة المسيح فكان لابد أن يمتلئ شعرها برائحة قيامته المجيدة.

تقول النبوة فى سفر نشيد الأناشيد: "مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ **نَارِدِينِي** رَائِحَتَهُ" (نش1: 12). ولأجل ذلك لم يكن من الممكن أن يكون طيب مريم هو نوع آخر غير هذا: "طِيبِ **نَارِدِينٍ** خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ" (يو12: 3). لأن هذه الوليمة كانت رمزًا للأبدية.. ومريم بما فعلته حققت النبوة.

استكثر يهوذا التلميذ الخائن ثمن الطيب أنه أكثر من ثلاث مئة دينار.. لكن ذلك كان ليتم المكتوب فى نبوات الأنبياء. إن كل أموال العالم لا تساوى تحقيق عبارة واحدة فقط من النبوات، لأن تحقيق أى نبوة هو إثبات رائع على صدق ما قاله الأنبياء بشأن السيد المسيح.

يقول إشعياء النبى: "ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش53: 7). وقال: "وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إش53: 12) وقد حدث ذلك، وأيضًا: "جُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إش53: 9) وحدث أنه دفن فى قبر الغنى يوسف الرامى. فما أثمن هذه النبوات التى تثبت صدق الإنجيل والديانة المسيحية لأنها فى أسفار اليهود التى بين أيديهم حتى يومنا هذا ويعترفون بصحتها مع أنها تدين ما فعلوه بالسيد المسيح وتظهر كذبهم فى الإدعاء بأن يسوع ليس هو المسيح.

ما دام الملك فى مجلسه أفاح ناردينى رائحته

نحن بصدد نبوة تحققت وهى قوله فى سفر نشيد الأناشيد: "مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ" (نش1: 12). ولم يفت معلمنا يوحنا الإنجيلى أن يعلق بقوله: "فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ" (يو12: 3) وكان طيب ناردين خالص. وقال أيضًا: "وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ" (يو12: 2). وعبارة أحد المتكئين تعرفنا بأن الرب كان جالسًا تحقيقًا لقول النبوة: "مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ" (نش1: 12). وفى اليوم التالى استُقبِل السيد المسيح بسعف النخل كملك، وهتفوا له قائلين "هوشعنا (أى خلَّصنا) لابن داود"an-[eîviAh dwD"-!B, (هوشيعناه بن داود) (مت 21: 9)، قالوا "لابن داود" لأن داود ملك، لذلك لم يقولوا ابن مريم أو ابن يوسف، بل ابن داود.

حفلة قيامة لعازر كانت أيضًا احتفالاً سبق دخول الملك إلى أورشليم، لأنها كانت فى عشية يوم أحد الشعانين، وهو يوم دخل إلى مدينة مُلكه راكبًا على الجحش والأتان وقدميه تفوحان برائحة الناردين.. فكل الذى يقترب منه وخصوصًا الأطفال يجدوا أن رائحة الناردين منتشرة، ولأجل هذا أشار السيد المسيح للأطفال بصفة خاصة، بقوله إنه "مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْدًا" (مز8: 2، انظر مت 21: 16)، "أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هَؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!" (لو19: 40).

الذى يثير الاستغراب هو أن الجموع كانوا يقولون: "أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي" (مت21: 9) أى خلصنا فى الأعالى، وكان هذا المنطوق بإلهام من الروح القدس. فعبارة "خلصنا فى الأعالى" لها معنى كبير جدًا.. فهى تعنى صالحنا مع الآب.

لقد استُقبل كذبيحة، واستُقبل كمخلّص، واستُقبل كملك. وعند صلبه يوم الجمعة العظيمة عُلِّقت فوق رأسه لافتة مكتوب عليها "يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ" (يو19: 19).

يهوذا الإسخريوطى

أما بالنسبة ليهوذا فلم يكن ممكنًا أن يمر هذا اليوم دون أن يتدخل فى الأحداث.. لقد قرر مساء يوم الثلاثاء أن يبيع السيد المسيح، وذهب بالفعل بعد وليمة يوم الثلاثاء واتفق على تسليمه إلى رؤساء الكهنة.

لقد تلقى يهوذا أول ضربة على رأسه فى وليمة السبت ليلاً لسبب سكب الطيب فثار فى داخله بركان متقد، وأما الضربة الثانية لسبب تكرار سكب الطيب فى وليمة يوم الثلاثاء فلم يستطع أن يحتملها وأضاعته.

إن الحياة والعشرة مع الله تحتاج إلى صبر لذلك قيل فى سفر الرؤيا: "هُنَا صَبْرُ الْقِدِّيسِينَ" (رؤ14: 12). الحياة مع الله تحتاج ألا يقول الإنسان يكفينى هذا القدر إذا أتته بعض التجارب، والذى ليس عنده صبر يضيّع نفسه.

لقد تكلّم يهوذا فى المرة الأولى لكنه لم يفعل شيئًا. وكان كلامه كله كذبًا، فقيل "فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هَذَا الطِّيبُ بِثلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟ قَالَ هَذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ" (يو12: 4-6).

لم يكن يهوذا الإسخريوطى يحب السيد المسيح، عكس مريم أخت لعازر التى كانت تحبه فجعلها الروح القدس تتمم نبوة غالبًا دون أن تقصد. أما يهوذا فيقول عنه المزمور: "أَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ وَلَبِسَ اللَّعْنَةَ مِثْلَ ثَوْبِهِ فَدَخَلَتْ كَمِيَاهٍ فِي حَشَاهُ وَكَزَيْتٍ فِي عِظَامِهِ" (مز109: 17، 18). لم يكن يحب السيد المسيح.. كان ينهب ما بالصندوق.. صندوقه مثقوب كل ما يلقى فيه يتحول مباشرةً إلى جيب يهوذا. والثلاثمئة دينار التى هى ثمن الطيب إذا تم بيعه دون أن يُسكب كانت ستدخل إلى جيبه وليس إلى المساكين. وكان السيد المسيح يعرف أنه يسرق الصندوق ولكنه كان يطيل أناته عليه، وكان يعرف ما سيعمله ويعرف أن حادثة الطيب بالأخص هى التى ستجعله يسلمه.

سرقة ما بالصندوق

هناك من يقولون لماذا لم يعاتب السيد المسيح يهوذا أو يوقف سرقته للصندوق بأن يسحبه منه؟!

أما السيد المسيح فقد أراد أن يتركه ليعرف الكل ما الذى تعمله المحبة السليمة وما الذى يعمله عدم المحبة للمسيح وتفضيل محبة المال.. لقد تركه ليشنق نفسه بنفسه؛ ويضيع عليه الصندوق، ويضيع عليه كل شيء.

لقد حذّره السيد المسيح قبل أن يسلّمه تحذيرًا شديدًا بقوله: "كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ" (مر14: 21)، لكن السيد المسيح كان يعلم أنه لن يستمع إلى كلامه، فالنصيحة للأحمق تهيجه والنصيحة للحكيم تصححه وتضئ له الطريق. وفى سفر الأمثال يقول: "لاَ تُوَبِّخْ مُسْتَهْزِئًا لِئَلاَّ يُبْغِضَكَ. وَبِّخْ حَكِيمًا فَيُحِبَّكَ" (أم9: 8)، وأيضًا: "الْمُعْتَزِلُ يَطْلُبُ شَهْوَتَهُ. بِكُلِّ مَشُورَةٍ يَغْتَاظُ" (أم18: 1)، بمعنى أن الذى يريد أن يفعل ما بذهنه يغتاظ كلما نصحه أحد بدلاً من أن يستفيد.

كانت هذه فرصة تجعل السيد المسيح يعاتب يهوذا على ما يقوله ويقول له إنه سارق وإنه يأخذ ما يلقى فى الصندوق، إلا أن إجابة السيد المسيح كانت مختلفة وكانت عجيبة جدًا حيث قال: "اتْرُكُوهَا. إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ" (يو12: 7).

إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ

إن السيد المسيح لم يتعطر بالطيب كنوع من الرفاهية والتنعُّم، بل كان الطيب بالنسبة له هو للتكفين. لقد كان يعلم أن الوقت لن يتسع للمريمات لتطييب جسده قبل الدفن. كان يعلم أن يوسف ونيقوديموس سوف يحضرون مئة رطل عود ومر وأشياء صلبة مثل البخور ويضعوها حول الجسد ولكن لن يوضع شيء على الجسد مباشرةً نهائيًا، كما لن تتاح لهم الفرصة حتى يغسلوه، والدليل على ذلك أن الكفن الموجود فى تورينو ملئ بآثار الجراحات والدماء. لم تتح لهم الفرصة لا لغسل الجسد ولا لتكفينه بوضع الطيب، بل وضعوه بسرعة فى الكتان.. ثم وضعوه بسرعة فى القبر، ووضعوا بجانبه بعض الأطياب الصلبة (أخذتها الكنيسة بعد ذلك وطهتها بزيت الزيتون وعملت منها زيت الميرون المقدس مع أطياب أخرى سائلة)، ولذلك ففى تسبحة نصف الليل فى لحن "تين ناف Tennau" نقول: "لماذا الطيب والنحيب والبكاء تمزجنها مع بعضها يا تلميذات الرب؟ قال الملاك اللامع عند القبر للنسوة حاملات الطيب. انظرن أنتن واعلمن أنه قد نهض المخلص وقام من الأموات".

قال السيد المسيح ليهوذا إن ساكبة الطيب حفظته لتكفينه، وبدلاً من أن يعيّره أنه سارق، قال: "لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ" (يو12: 7). أنا ذاهب إلى الآب وقد قلت إننى سوف أُصلب، وقلت: "هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ. فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ" (مر10: 32-34). لذلك فإن هذا الطيب هو لتكفينى، وبذلك أحرج السيد المسيح يهوذا ولكنه لم يشهّر به. وذلك على اعتبار أن السيد المسيح لا زال يطيل أناته عليه، لكنه بدأ يكشف خيانة يهوذا تدريجيًا بعد ذلك؛ حينما اضطرب بالروح وقال: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي" (يو13: 21). وكان ذلك على العشاء فى ليلة الجمعة أى الخميس بعد الغروب وبعد العشاء الخاص بالفصح ليلاً**،** وقال السيد المسيح ليوحنا الحبيب إن الذى يسلمه: "هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ" (يو13: 26).

وبعد ذلك تكلمت الأناجيل بوحى من الروح القدس عما فعله يهوذا الإسخريوطى. تطبيقًا للنبوة التى ذكرت فى سفر المزامير وكررها معلمنا بطرس الرسول حينما كانوا يختارون بديلاً ليهوذا القائلة: "لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آَخَرُ" (أع1: 20).

لم يكن السيد المسيح يريد أن يدخل فى مواجهة مع يهوذا فاكتفى بأن يحرجه فقط بهذا الكلام.

ندم يهوذا

كثيرون يتساءلون قائلين لماذا هلك يهوذا وانتحر مع أنه ندم وقال: "قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا" (مت27: 3، 4).

هذا موضوع طويل يحتاج لبحث متكامل نفرد له محاضرة كاملة. لكننا نقول هنا باختصار إنه مثل قايين الذى بعدما قتل هابيل قال: "ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ" (تك4: 13). لقد فهم يهوذا الجريمة البشعة التى ارتكبها عندما رأى أن السيد المسيح لم يستخدم سلطانه فى منع أى شخص من أن يلمسه أو يضربه بل رآه يُضرب ويُحاكَم ويُحكم عليه بالإعدام.

لم تكن توقعات يهوذا الإسخريوطى أن السيد المسيح سوف يُحكَم عليه بالإعدام، كان يتوقع أن يقبض هو النقود ثم يفلت السيد المسيح بطرقه الخاصة من الحُكم، فهو لم يكن مصدقًا أن كلام السيد المسيح سوف يتحقق بأنه فعلاً سوف يُصلب.

النقطة الثانية هى أن كبرياءه لم يحتمل أن يتواجد فى وسط جماعة الرسل والتلاميذ وهو الذى خان السيد المسيح وسلّمه، متوقعًا أن يعيّروه بخيانته الفظيعة. وربما افتكر أن بطرس سوف يقتله مثلما قطع أُذن ملخس عبد رئيس الكهنة عند القبض على يسوع فى البستان، ففضّل أن يقتل نفسه من أن يتعرض لكل هذه الأمور.

**التوبة إذا لم تقترن بالاتضاع تقود إلى اليأس..** فهناك نوعان من الندم: أولاً: ندم يقود إلى توبة حقيقية.

ثانيًا: ندم يقود إلى اليأس.

يقول مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث:

**{أى فضيلة إذا لم تقترن وتمتزج بالمحبة والاتضاع فلا تُحسب فضيلة على الإطلاق}**

فإن كانت الفضيلة لا تُحسب فضيلة إذا لم يكن بها محبة واتضاع، ويهوذا لم يكن عنده لا محبة ولا اتضاع، فكيف يؤدى ندمه إلى توبة حقيقية؟!...

توبة بطرس الرسول

يختلف الوضع بالنسبة لبطرس الرسول الذى قال: "يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ" (يو21: 15).

لكن ماذا عن بعض الكبرياء الذى جعله يقول: "إِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا" (مت26: 33)؟

كانت هذه نقطة ضعف تحتاج إصلاح، ولكنها ليست فى أعماق أعماقه لذلك من الممكن أن تنزع من داخله. ولذلك عندما ظهر الرب بعد القيامة وقال له معاتبًا: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي **أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلاَءِ**؟" وقد ناداه هنا باسمه القديم (سمعان ابن يونا). كان هذا توبيخًا له، فحزن بطرس لما سأله الرب ثلاث مرات، لكن الرب كان يُصلح فى بطرس نقطة قابلة للإصلاح. كان الرب يعلّمه أن يكف عن قوله: "وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا" (مت26: 33). وكأنه يقول له أتظن أنك تحبنى أكثر من هؤلاء؟ ها إنك أنت الوحيد الذى أنكرتنى. لكن بعدما أنكر "خَرَجَ بُطْرُسُ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا" (لو22: 62).وعرف أنه أخطأ فى أنه قال: "وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا" ولن يقولها ثانية. كان بطرس يحبه فعلاً، ولكن الخطأ هو أنه ظن أنه يحبه أكثر من الباقين، فأصلح له الرب هذا الضعف.

خاتمة إنجيل يوحنا

لكن، ظلت عند بطرس نقطة أخرى هى الغيرة، ففى إنجيل معلمنا يوحنا البشير يقول: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلَكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ. قَالَ هَذَا مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُمَجِّدَ اللَّهَ بِهَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا قَالَ لَهُ: اتْبَعْنِي. فَالْتَفَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ يَتْبَعُهُ وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي اتَّكَأَ عَلَى صَدْرِهِ وَقْتَ الْعَشَاءِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ مَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُكَ؟ فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ هَذَا قَالَ لِيَسُوعَ: **يَا رَبُّ وَهَذَا مَا لَهُ**؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ **فَمَاذَا لَكَ**؟ اتْبَعْنِي أَنْتَ.فَذَاعَ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الإِخْوَةِ: إِنَّ ذَلِكَ التِّلْمِيذَ لاَ يَمُوتُ. وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لاَ يَمُوتُ بَلْ: إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ؟. هَذَا هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا. وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ. وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ" (يو21: 18-25).

كان يوحنا الحبيب ملتصقًا بالسيد المسيح وكان يتكئ على صدره فحينما قال الرب لبطرس هنا "اتْبَعْنِي" سمع بطرس صوت أقدام آخر يتبع الرب، وهو يوحنا فقال للرب "**وَهَذَا مَا لَهُ**؟" فقال له الرب "إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ؟ اتْبَعْنِي أَنْتَ". وعندما رأى يوحنا أن هذا القول شاع بين التلاميذ، وخاف أن يظنوا أنه لا يموت، وكان قد كتب فى الإصحاح السابق: "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يو21: 30، 31). كان القديس يوحنا يوشك أن يختم إنجيله. لكن عندما وجد أن الإخوة يقولون إنه لا يموت حتى مجيء الرب اضطر أن يكتب قصة اللقاء عند بحيرة طبرية، ثم قال: "وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لاَ يَمُوتُ بَلْ: إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ؟" (يو21: 23). فأكّد أن السيد المسيح لم يقل له إنه لا يموت، وذلك لأن يوحنا عرف أن موعد انطلاقه من هذا العالم قد اقترب وقد انتقل فعلاً بعد كتابة إنجيله بسنوات قليلة وهو آخر ما كتب فى سنة 98م، وكتب ذلك حتى يصلح ما قد شاع بين الإخوة.

هناك من يقولون إن إنجيل يوحنا انتهى فى الإصحاح قبل الأخير، هذا الكلام ليس صحيحًا، لأنه هو الذى كتب فى الإصحاح الأخير: "**هَذَا** هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا **وَكَتَبَ هَذَا**. وَ**نَعْلَمُ** أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ" (يو21: 23). وقد كتب بصيغة الجمع "وَ**نَعْلَمُ"** لأن كل الرسل كانوا فى ذلك الحين قد انتقلوا من العالم، والأحياء هم تلاميذ الرسل. وكان يجب أن تقبل الكنيسة الجامعة إنجيل يوحنا حتى يُعَّد من الأسفار المقدسة، لذلك لم يكن جائزًا أن يكتبه شخص بمفرده، ولذلك قال: "وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ" (يو21: 23). لأن تلاميذ الرسل كانوا موجودين والرسل كانوا قد سلّموهم كل شيء، فعندما ختم الإنجيل قال: "هَذَا هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا" (يو21: 23).

ما نستفيده نحن

لقد حرصت الكنيسة جدًا على مدى أسبوع الآلام أن تبرز دور يهوذا. لأن كل واحد فينا من الممكن أن يجد فى نفسه بطرس، يهوذا، يوحنا، برثولماوس، فيلبس، توما إلخ... يجب أن نجلس ونفحص أنفسنا حتى يأتى يوم الخميس الكبير وأثناء زفة يهوذا نرفض أن يكون ليهوذا أى نصيب فى حياتنا.. كيف يكون ذلك؟!

**يكون ذلك بأن نجعل كل شيء نعمله فى علاقتنا مع المسيح يمتزج بالحب والاتضاع**.. وهذا ما قدمته مريم أخت لعازر فى هذه الليلة، وللأسف يهوذا كان على خط مضاد مستقيم. لقد قدّمت مريم الحب بالطيب، والاتضاع بأن مسحت قدميه بشعر رأسها، أما يهوذا فلم يحب السيد المسيح واستكثر فيه الطيب بينما مريم لو احتاج الأمر لقلعت عينيها وقدمتهما للسيد المسيح وليس الطيب فقط. هذا الموقف يستحق حديث أطول من ذلك بكثير..

نهار أحد الشعانين

ملكك يأتيك وديعًا

إن تسمية "الشعانين" هى تسمية مشتقة من كلمة "هوشعنا" باللغة العبرية بمعنى "خلصنا". كانت الشعوب تستقبل الملوك فى أوقات السِلْم بسعف النخيل علامة على عودة السلام مرةً أخرى. والسيد المسيح لم يدخل أورشليم راكبًا على حصان كما يفعل الملوك لأنه هو ملك السلام وليس ملك الحرب.. حرب السيد المسيح هى حرب روحية وليست مادية، ولذلك فى نبوة زكريا النبى يقول: "اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ **وَدِيعٌ** وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (زك9: 9). وأشار إنجيل معلمنا متى إلى هذه النبوة فقال "قُولُوا لاِبْنَةِ صِهْيَوْنَ هُوَذَا **مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا** رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (مت21: 5). الفرس له عظمة معينة وقوة، وفى سفر النشيد يقول العريس للعروس: "لَقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ" (نش1: 9)، على اعتبار أن الفرس فى مركبات فرعون يكون قويًا وله عزة وشموخ، ولكن السيد المسيح أخذ اتجاه الوداعة والتواضع والمسكنة ولذلك فقد ذكرت هذه الصفة فى تلك النبوة: "**يَأْتِيكِ وَدِيعًا**".

الجحش والأتان

"رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (مت21: 5). وكان هناك شرط قاله السيد المسيح لتلاميذه وهو ألا يكون قد ركب عليه أحد من قبل، وطبعًا عندما يكون الجحش جديدًا يتم تمرينه حتى يمكن لأحد الجلوس عليه، ولكن السيد المسيح الذى هدّأ البحر وهو هائج يستطيع أن يجعل الجحش هادئًا مع أنه لم يركب عليه أحد من قبل.

كانت الأتان رمزًا للأمة اليهودية -مجرد رمز- وهى تُعتبر فى موقف الأم، هذا بالنسبة لكنيسة اليهود ولذلك يقول: "رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (مت21: 5). الجحش لم يركب عليه أحد لأن الأمم التى يرمز إليها الجحش -رمزيًا فقط- لم يملك الله عليها من قبل. "قُولُوا لاِبْنَةِ صِهْيَوْنَ هُوَذَا **مَلِكُكِ** يَأْتِيكِ وَدِيعًا رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (مت21: 5)، كلمة "**ملكك"** فى الآية تعنى **ملك اليهود**. والسيد المسيح نفسه قال: "لِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يو10: 16).

البعض يقول إن السيد المسيح أراد أن يريح الأتان بعض الوقت ويقوم بعملية تبديل بين الجحش والأتان، لأنه كيف سيركب على الاثنين معًا؟! وعندما يقوم بالتبديل بينهما معنى هذا أنه يملك على الاثنين، وليس شرطًا أن يكون فى نفس الوقت، ومنطقيًا الله ملك على كنيسة اليهود قبل أن يملك على كنيسة الأمم. وفى العهد الجديد بداية معمودية الناس فى يوم الخمسين كانت من اليهود سواء من أرض إسرائيل، أو منطقة اليهودية أو غيرها، أو من اليهود المقيمين فى الشتات فى البلاد الأخرى، ولكن جميعهم كانوا يهودًا. وأخذت الكنيسة وقتًا حتى اقتنعت بأن تعمّد الأمم مثل حادثة كرنيليوس مع بطرس الرسول عندما صنع الرب إعلانات ورؤى وأرسل ملاكه إلى كرنيليوس، وخاصم بقية التلاميذ بطرس الرسول لأنه عمده ومن معه حتى حكى لهم الإعلانات والرؤى التى حدثت، ويقول سفر أعمال الرسل: "فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ سَكَتُوا وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ **إِذًا أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ**" (أع11: 18)، وبدأ الرسل فى تقبُّل هذا الأمر. فمعروف أن السيد المسيح ملك على اليهود قبل أن يملك على الأمم.

الذين ينكرون موضوع الأتان والجحش يضيعون مبادئ وتأملات وعقائد مهمة جدًا فى تلك النبوة وفيما حدث عندما دخل السيد المسيح كملك إلى أورشليم. ونتذكر أيضًا أنه وإن كان هو ملك اليهود ولكن المجوس قد جاءوا من بلاد المشرق أى من نواحى فارس التى هى إيران حاليًا وقالوا: "أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ" (مت2: 2). فبينما لم يفكر رؤساء كهنة اليهود فى الذهاب لرؤية المسيح الملك المولود، جاء أناس من الشرق من بلاد بعيدة وسجدوا.. ومعنى هذا أن التدبير الإلهى كان يضع الأمم فى الاعتبار. نحن المصريون أصلاً نُعتبر من الأمم وليس من اليهود، وفى سفر أشعياء النبى يقول الرب: "مُبَارَكٌ **شَعْبِي** مِصْرُ" (أش19: 25). فكيف تكون مصر شعبه وقد كان دائمًا يقول شعبى إسرائيل؟! إلا لأنه قد قَبِل الأمم فى الإيمان وصاروا "رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يو10: 16)، لدرجة أن نبوة إشعياء وضعت شعب مصر قبل شعب إسرائيل، إذ يقول: "بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً **مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ** وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُّورُ وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ" (أش19: 25). وعبارة "ميراثى إسرائيل" المقصود بها قبل نهاية العالم عندما يؤمن اليهود.

لكن هذا ليس معناه أن كرامة الأممى تفوق كرامة اليهودى الذى يؤمن بالسيد المسيح، لأن معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية يقول: "شِدَّةٌ وَضِيقٌ عَلَى كُلِّ نَفْسِ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ. وَمَجْدٌ وَكَرَامَةٌ وَسَلاَمٌ لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلاَحَ الْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ الْيُونَانِيِّ" (رو2: 9، 10). والمقصود أن اليهودى سيأخذ عقوبة أشد أو هوان أشد إذا رفض السيد المسيح لأنه هو الذى له المواعيد والعهود والاشتراع، ولكن الأممى لم يكن أصلاً من رعية الله ولا من شعبه.. ولكن الكل مدعو لكى "تَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يو10: 16).

قبول الأمم

بذل السيد المسيح جهدًا حتى يمهّد لفكرة قبول الأمم فى الإيمان، فهو لم يكتفِ فقط بأن قال: "وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يو10: 16) -رغم أن التلاميذ فى ذلك الوقت لم يفهموا المقصود ولكن فهموا ذلك فيما بعد- ولكن أيضًا فى موضوع المرأة الكنعانية حين قال لها السيد المسيح: "لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ" (مت15: 26).. كان اليهود يعتبرون أن الأمم كلاب لأنهم يعيشون فى النجاسة وعبادة الأوثان المحرمة وفى أمور صعبة جدًا... فالسيد المسيح تأخر فى أن يتكلم معها ويسمع لها، وهى كانت تصيح خلفهم، وطلب التلاميذ منه أن يصرفها.. حينئذٍ بدأ السيد المسيح يتكلم بمفهوم اليهود وليس لأنه هو شخصيًا يريد أن يقول هذا الكلام بل أراد أن يقول لليهود ولتلاميذه أيضًا {أليس هؤلاء من تقولون عنهم هذا؟!} "فَقَالَتْ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا" (مت15: 27). وكان هذا اتضاعًا كبيرًا جدًا منها؛ فهى لم تغضب من كلام السيد المسيح، بل معنى كلامها؛ إننا بالفعل نستحق هذه الصفة بسبب تصرفاتنا، وهناك أشياء لا تصنعها الكلاب نحن الأمم صنعناها. على أن مبدأ أنه "لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ" هو مبدأ عام والمفروض فعلاً أن البنين أولى من الكلاب؛ بعكس ما يفعل البعض حاليًا فى الخارج حيث هناك محلات خصيصًا لمستلزمات للكلاب والقطط، ويكتبون أملاكهم ويورّثونها للكلاب والقطط، وأمور أخرى لا تبشر بالخير فى بداية عودة الوثنية وعبادة الحيوانات مرة أخرى. من أين جاءت فكرة عبادة الكلاب والحيوانات بكافة أنواعها وحتى الحشرات؟!! جاءت بتأثير من الشيطان وبتأثير ارتباط الإنسان بالأمور الجسدية وعدم معرفته قيمة نفسه أنه مخلوق **على** صورة الله.

السيد المسيح قال للمرأة الكنعانية: "يَا امْرَأَةُ عَظِيمٌ إِيمَانُكِ، لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ. فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ" (مت15: 28). ولم يستطع أحد من اليهود أن يعترض لأن الكلمة التى قالتها بالتواضع الكبير والإيمان العظيم أظهرت أنها تستحق أن يصنع السيد المسيح معها هذه المعجزة. ولكن قبولهم أن يشفى ابنتها كان أسهل كثيرًا من قبولهم لفكرة دخولها كأممية فى الإيمان. ولذلك عندما جاءت حادثة كرنيليوس قائد المئة بعدها بسنوات احتج الأحد عشر رسولاً على بطرس الرسول لأنه عمده، مع أن كرنيليوس كان قبلها قد ترك الوثنية وآمن بإله إبراهيم واعتنق الديانة اليهودية ومع ذلك كانوا فى البداية معترضين لأنه أصلاً ليس من نسل إبراهيم.

ولذلك نقول إن موضوع الأتان والجحش له أبعاد وتأثيرات ونتائج وردود أفعال كبيرة فى هذا الاحتفال العظيم.

حوله طقوس نى أنجيلوس

أدركت الكنيسة شيئًا هامًا فى الألحان الخاصة بيوم أحد الشعانين إذ تقول:

الجـــــالـــــــــس فــــوق الشـــــــاروبيـــــــم اليــــــوم ظهر فــى أورشليــــــــــــم

راكبًا على جحشٍ بمجدٍ عظيم وحوله طقوس نى أنجيلوس

فما المقصود بعبارة "حوله طقوس نى أنجيلوس"؟! فى إنجيل معلمنا لوقا الإنجيلى البشير يقول: "وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ **ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ** وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ **لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا**، قَائِلِينَ: مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ، سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي" (لو19: 37، 38).

ما هى "جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا"؟! فهمت الكنيسة معنى هذه العبارة فقالت فى الألحان: "**حوله طقوس نى أنجيلوس**"؛ وقد سبق السيد المسيح فى لقائه مع نثنائيل وقال "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً **وَملاَئِكَةَ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ** عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ" (يو1: 50، 51)، وهذا الكلام قاله السيد المسيح عن نفسه وهو على الأرض. فما هو الوقت الذى قصده السيد المسيح بأنهم سيرون الملائكة صاعدة ونازلة؟! هذا يذكّرنا بسلّم حلم يعقوب الذى كان الرب واقفًا عليه والملائكة صاعدة ونازلة، كما جاء فى سفر التكوين: "وَرَأَى حُلْمًا وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا" (تك28: 12). وقد كان فى الحلم واقفًا ولم ينزل بعد، ولكنه الآن تجسد ولا زالت فكرة السلم قائمة.

ولذلك يُذكر فى تسبحة يوم الأحد عن العذراء مريم أنها شُبِّهت بتابوت العهد وكاروبا المجد **يظللان عليه**. وهى التى قال لها الملاك "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ **وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ**" (لو1: 35). فعبارة "قوة العلى تظللك" تعنى تظليل الكاروبيم لأن تابوت العهد الذى فى داخله المن، وعصا هارون التى أفرخت، ولوحى العهد المكتوب عليهما كلمة الله.. كل هذا كان رمزًا لتجسد الكلمة فى بطن السيدة العذراء. فالكاروبيم الذى يظلل على التابوت كان لابد أن يظلل أيضًا على السيدة العذراء وهى تحمل السيد المسيح، ولذلك قال لها الملاك: "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ" وهذا هو الأمر الذى سيحدث من خلاله التجسد. أما عبارة "وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ" أى القوات السماوية التى هى الشاروبيم.

ونجد أيضًا الكثير من القطع التى تشبه السيدة العذراء وفى بطنها السيد المسيح بتابوت العهد والكاروبيم يظلل عليه، ففى ثيئوطوكية يوم الأحد مثلاً نقول فى القطعة الأولى:

"مدعوة أنتِ بالصدق أيها المباركة فى النساء القبة الثانية.. التى تدعى قدس الأقداس وفيها لوحا العهد.. والعشر كلمات هذه المكتوبة بأصبع الله.. سبقت أن دلتنا على اليوطا اسم الخلاص الذى ليسوع المسيح" `mpiiwta piran `noujai ’ `nte I’hc? Px?c? (ومن هنا جاء فن اليوطا الذى به تُرسم الصلبان القبطية).

ونجد فى القطعة الثانية: "التابوت المصفح بالذهب من كل ناحية.. سبق أن دلنا على الله الكلمة الذى صار إنسانًا بغير افتراق.. صنعوا تابوتًا من خشب لا يسوس، وأنت أيضًا يا مريم مشتملة.... إلخ"

وفى القطعة الثالثة: "الغطاء المظلل عليه بالكاروبين المصورين... كاروبا ذهب مصوران مظللان على الغطاء بأجنحتهما كل حين.. يظللان على موضع قدس الأقداس فى القبة الثانية.. **وأنت أيضًا يا مريم ألوف ألوف وربوات ربوات يظللون عليكِ** (وهنا يتشابه مع الآية **"وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ"**).. مسبحين خالقهم وهو فى بطنك هذا الذى أخذ شبهنا ما خلا الخطية والتغيير".

رأينا فى كل هذه القطع وغيرها تشبيه السيدة العذراء وفى بطنها السيد المسيح بتابوت العهد والكاروبيم يظلل عليه. وقد وصف الله لموسى النبى فى سفر الخروج وصفًا دقيقًا عن كاروبي الذهب فوق غطاء التابوت وشكل أجنحتهما وكيف أن وجهيهما ينظران إلى غطاء التابوت، وقال: "وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكاروبيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خر25: 22). فكان السيد المسيح يظهر من تحت الكاروبين فوق غطاء تابوت العهد ويكلم موسى.

إذن عبارة "ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ **لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا**" (لو19: 37) يجب أن ننتبه إليها إذ أن الكنيسة فهمتها وقالت: {**وحوله طقوس نى أنجيلوس**}؛ ففى دخول السيد المسيح إلى أورشليم تحقق قوله لنثنائيل: "مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً وَملاَئِكَةَ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ" (يو1: 51)، وكان هذا الحديث بعد معمودية السيد المسيح فى نهر الأردن، لئلا يظن أحد أنه قصد يوم المعمودية عندما انفتحت السماوات. وفى سفر المزامير يقول: "**رَكِبَ عَلَى الشاروبٍيم** وَطَارَ. طار عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ (لكى يتجسد)، وجَعَلَ الظُّلْمَةَ له حجابًا (أى إخفاء مجده بالناسوتية) تحوط به مظَلَّته" (مز18: 10، 11). وما دام ركب على الكاروبيم وطار.. والكاروبيم كان يظلل على العذراء مريم وهو فى بطنها.. إذن أثناء دخوله إلى أورشليم كملك أيضًا كان حوله الملائكة صاعدة ونازلة. من الممكن أن الملائكة فى كل وقت كانت صاعدة ونازلة ولكن هنا تم تسجيل الواقعة أن التلاميذ نظروا الملائكة وهى تحوط السيد المسيح أثناء دخوله إلى أورشليم، فقالوا: "مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ، سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي" (لو19: 38).

يذكرنا هذا بتسبحة عيد الميلاد المجيد عندما ظهر جمهور من الجند السماوى حول الرعاة مع الملاك الذى وقف بهم وبدأوا يسبحون الله: "وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ.... وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ" (لو2: 9، 13، 14). وظلت دائرة من الملائكة تدور حولهم وتتسع ثم صعدوا إلى السماء، كما تدل العبارة التى وردت فى إنجيل القديس لوقا "وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ" (لو 2: 15).

سلام في السماء ومجد في الأعالى

نلاحظ أن الآية "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ" (لو2: 14) فيها ثلاث عبارات وكلهم تم تحققهم فى دخوله إلى أورشليم.

وفى يوم أحد الشعانين: "ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ **يَفْرَحُونَ** (هنا المسرة)، وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا. قَائِلِينَ: مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ، **سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي**" (لو19: 37، 38). إذن **السلام والمجد والفرح (المسرة)** تكرر ذكرهم فى يوم أحد الشعانين.

ولكن هناك نقطة هامة وهى أن حدث دخول السيد المسيح إلى أورشليم قد تطور عن حدث ميلاده.. ففى ميلاده كانوا يقولون: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ" (لو2: 14)؛ أى "**عَلَى الأَرْضِ** **السَّلاَمُ**" لأن ملك السلام قد وُلِدَ على الأرض، ولكن فى دخوله إلى أورشليم يقولون: "**سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي**" (لو 19: 38) وأيضًا "أُوصَنَّا لاِبْنِ دَاوُدَ، مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ، **أُوصَنَّا** (أى خلصنا) **فِي الأَعَالِي**" (مت21 : 9)، ومعنى هذا أنه ستتم المصالحة عند الآب فى السماء بين البشر وبين الآب السماوى، ولذلك يقول معلمنا بولس الرسول: "اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ" (2كو5: 19)، ويقول: "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رو5: 1).

**فحدث الميلاد يشير إلى أن ملك السلام قد وُلِدَ، أما حدث الخلاص الذى بدأ بأحداث أحد الشعانين ففيه بدأ الحديث عن سلام فى السماء وليس فقط على الأرض.**

هناك استقبال رائع حدث فى يوم أحد الشعانين حينما دخل السيد إلى هيكله فى أورشليم كما ورد فى نبوة ملاخى النبى: "وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ" (ملا3: 1). وهذا كان رمزًا لدخوله إلى المقدس السماوى فى أورشليم السمائية فقد حدث احتفال ضخم جدًا فى السماء عندما صعد السيد المسيح بعد إتمام الفداء ودخل إلى المقدس السماوى "خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ" (عب8: 2) فكان لابد أن يكون هناك حفلة تمهيدية على الأرض، وهذه الحفلة كانت يوم أحد الشعانين لأن حمل الله دخل من باب الضأن إلى أورشليم ليكون هو الذبيحة الحقيقية التى تفتح الطريق للسماء وتصالح السمائيين مع الأرضيين. وكما نصلى فى القداس الغريغورى فى صلاة الصلح: {صرت لنا وسيطًا لدى الآب... وأصلحت الأرضيين مع السمائيين وجعلت الاثنين واحدًا وأكملت التدبير بالجسد}.

عمل الروح القدس فى التلاميذ

هذه الكلمات التى نطق بها التلاميذ فى أثناء دخول السيد المسيح إلى أورشليم هى بلا شك بالروح القدس الذى نطق على ألسنتهم. فليس بكثير على الروح القدس الذى عمل فى أنبياء العهد القديم، أن يعمل فى تلاميذ السيد المسيح فى هذا الحدث الكبير حتى قبل أن يحل فى يوم الخمسين. أى أن الروح القدس عندما حل فى يوم الخمسين أصبحت النبوة هى حالتهم المستمرة، بمعنى أن حالة النبوة أصبحت لا تنقطع. ولكن فى يوم أحد الشعانين كانت هناك حالة من التجلى غير العادى أى فوق الطبيعة، ولذلك قال لهم السيد المسيح: "أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا" (مت21: 16).

كان المنظر وهو راكب على الأتان والجحش ابن الأتان مملوءًا بالاتضاع وفى نفس الوقت مملوءًا بالمجد، وذلك للذى يريد أن يرى ويؤمن.

من المؤكّد أنه قد حدثت حفلة ضخمة فى السماء عندما دخل السيد المسيح إلى هيكله السماوى مثلما يقول المزمور "صَعِدَ اللهُ بِالتهُليل الرَّبُّ بِصَوْتِ البُوقِ" (مز47: 5) ولكن كان يجب أن تكون هناك حفلة تمهدية ورمزية تشبهها هنا على الأرض، واشتركت الملائكة فيها لأنهم هم الذين احتفلوا فى السماء أما البشر فلم يكونوا موجودين فى السماء عند صعود السيد المسيح بعد قيامته. ولكن هل سيظل البشر فى الرمز فقط؟! لا بل سيدخلوا إلى الحقيقة عندما يُختطفوا لملاقاة الرب فى الهواء.. كما يقول معلمنا بولس الرسول: "ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ" (1تس4: 17).. ويدخل المسيح بعروسه المحبوبة –الكنيسة- بكل المفديين وتحتفل السماء بكل من فيها من ملائكة وبشر بعرس الأبدية؛ ولكن احتفال السماء عندما صعد السيد المسيح كان احتفالاً بانتصار "الرب العزيز القدير القاهر فى الحروب" (مز 23: 8) على الشر، وبتدميره للجحيم بالنسبة للذين رقدوا على رجاء الخلاص، وبفتحه للفردوس وبداية عهد جديد فى حياة البشرية لأن الرب "أبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَ الْخُلُودَ" (2تى1: 10).

أتان وجحش ابن أتان

فى إنجيل معلمنا مار يوحنا الإنجيلى يقول: "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: لاَ تَخَافِي يَا ابْنَةَ صَهْيَوْنَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي جَالِسًا عَلَى جَحْشِ أَتَانٍ. وَهَذِهِ الأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تلاَمِيذُهُ أَوَّلاً وَلَكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هَذِهِ لَهُ" (يو12: 14-16).

ويجب أن نلاحظ جيدًا أن النبوة المذكورة فى إنجيل معلمنا متى قالت على أتان وجحش ابن أتان: "قُولُوا لاِبْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (مت21: 5)، وذلك لأنه كتب لليهود؛ فكان يجب أن يذكر الأتان والجحش ابن الأتان. البعض للأسف كان يظن أن معلمنا متى الإنجيلى قام بإضافة الأتان من عنده، ولكن السيد المسيح قال: "تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا فَحُلاَّهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا" (مت21: 2، 3). والكلام هنا بصيغة المثنى، ثم يكمل ويقول: "فَكَانَ هَذَا كُلُّهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: قُولُوا لاِبْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ، فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلاَ كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ. وَأَتَيَا بِالأَتَانِ وَالْجَحْشِ وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا" (مت21: 4-7) كل الكلام أيضًا بصيغة المثنى. أما القديس يوحنا فعندما ذكر النبوة كانت بطريقة مختصرة -ومن حق أى أحد يذكر عبارة أن يختصرها- لأن القديس يوحنا كتب للأمم فقال: "لاَ تَخَافِي يَا ابْنَةَ صَهْيَوْنَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي جَالِسًا عَلَى جَحْشِ أَتَانٍ" (يو12: 14). فى ذلك الوقت كان اليهود قد اضطهدوا الكنيسة كثيرًا فالقديس يوحنا كتب فى أواخر القرن الأول الميلادى سنة 98م وبدأ يشير إلى مُلك السيد المسيح على الأمم مثلما قال الله فى الأنبياء: "بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ" (تث32: 21). والمقصود بذلك أنه سيقوم بإغاظتهم بأن الأمم سيؤمنون أكثر منهم. ولكن معلمنا متى الإنجيلى لأنه كتب إلى اليهود لم يكن بإمكانه أن يتجاهل نص النبوة بالكامل. خاصة وأنه من ضمن الذين حضروا الحدث ونظروه فهو لا يقول قصة لم يرها.

إن الذين يقولون إن هناك اختلافًا بين الأناجيل يجب عليهم مراعاة كيف وجهت الرسالة وفى أى ظروف كُتبت.

فى إنجيل معلمنا مار يوحنا الإنجيلى البشير يقول: "وَلَكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هَذِهِ لَهُ. وَكَانَ الْجَمْعُ الَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. لِهَذَا أَيْضًا لاَقَاهُ الْجَمْعُ لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هَذِهِ الآيَةَ" (يو12: 16-18).

إلى جوار إقامة لعازر من القبر التى شهد بها الجمع الذى معه كان منظر الكاروبيم وهو يحيط بالسيد المسيح وصاعدًا ونازلاً من السماء والسماء مفتوحة حسب وعده للتلاميذ؛ "تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً وَملاَئِكَةَ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ" (يو1: 51). وبهذا ندرك أن السيد المسيح دخل فى عملية تصعيد منقطعة النظير مع الكتبة والفريسيين "فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا! إِنَّكُمْ لاَ تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ" (يو12: 19).

كيف هتف الجمهور بصلب السيد المسيح؟

لا ينبغى أن نستغرب من الذى حدث يوم محاكمة السيد المسيح أمام بيلاطس، عندما قال الجمع: "اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!" (لو23: 21). ولو قرأنا الأناجيل جيدًا سنفهم أنهم بعدما حاكموه ليلاً تم عمل اجتماع فى الصباح وتشاوروا، ثم تمت إعادة المحاكمة مرة أخرى فى اختصار وقرروا أن يأخذوه ويذهبوا به إلى بيلاطس "فَقَامَ كُلُّ **جُمْهُورِهِمْ** وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ" (لو23: 1). إذًا هؤلاء الذين طالبوا وهتفوا بصلبه هم جمهورهم وليسوا الذين استقبلوا السيد المسيح يوم أحد الشعانين بل جمهورهم وأتباعهم، وطبعًا حتى بعد صعود السيد المسيح إلى السماء استمرت الجماعة المتعصبة اليهودية التى اضطهدت المسيحيين، وصنعت اضطهادًا عظيمًا على الكنيسة بعد رجم إستفانوس، لدرجة أن كل المسيحيين الذين فى أورشليم هربوا منها ما عدا الرسل وتشتت الجميع "فالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ" (أع8: 4). فلا نتعجب.. لأن الذين ذهبوا عند "بنطيوس بيلاطس" هم اليهود الذين أكثر من مرة كانوا يريدون أن يقتلوا السيد المسيح عندما قال لهم: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يو8: 58) وأيضًا عندما قال: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو5: 17). والذين كانوا يجادلونه ويصادرونه والذين تناولوا حجارة ليرجموه، فقد كان هناك عدد غير قليل موجودًا فى أورشليم فى اليهودية رافضًا السيد المسيح ورافضًا أن يصنع معجزات يوم السبت، وحاولوا قتله أكثر من مرة ولم تكن هذه أول مرة. فلا يجب الخلط بين الذين استقبلوه فى دخوله فى يوم أحد الشعانين وبين الذين ذهبوا عند بيلاطس؛ لأن اليهود صمموا أن يقبضوا على السيد المسيح ليلاً لكى يكون الجمع الذى استقبله يوم أحد الشعانين نيامًا وغير مدركين لما يحدث.. وفى الصباح الباكر: "قَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ" (لو23: 1). وهؤلاء هم الذين قالوا اصلبه اصلبه وقالوا: "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا" (مت27: 25).

وقد يسأل سائل عما حدث فى يوم الخمسين من أن بطرس الرسول يقول للجماهير الموجودة: "بِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ" (أع2: 23). ويقول أيضًا: "وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ (الذى هو باراباس)" (أع3: 14). وتعمد ثلاثة آلاف فى هذا اليوم بعد أن نُخسوا فى قلوبهم. فلماذا كان هذا التوبيخ ما دام الجمع الذى استقبل السيد المسيح ليس هو الذى قال "اصلبه"؟!.. لماذا يوبّخ بطرس الرسول الجمهور الذى كان موجودًا؟!

ونجيب على ذلك فنقول إنه كان يوبّخ الذين كانوا واقفين ولابد أن بعضًا منهم كانوا من الذين قالوا "اصلبه". الجمهور الذى اجتمع يوم الخمسين كان بلا شك جزء منه من جمهور اليهود. لأن يوم الخمسين الموقف اختلف عندما حدث هبوب الريح العاصف وبدأ التلاميذ يتكلمون بألسنة جديدة وتجمع أناس كثيرون فكان منهم من استقبله يوم أحد الشعانين، ومنهم من قالوا "اصلبه". فتوبيخ بطرس الرسول كان للذين وقفوا ضده أما الباقون فكانوا يسمعون. ولكن حتى هؤلاء الباقون فقد نُخسوا فى قلوبهم لأن حدث عندهم عملية تشويش عندما وجدوا السيد المسيح قد صُلب؛ لأنه مكتوب فى التوراه أن "المُعَلقَ مَلعُونٌ مِنَ اللهِ" (تث21 : 23). ولكن اللعنة كانت لعنة خطايانا التى محاها بالفداء وليست لعنة تخص المخلّص، وأعلن الآب رضاه عنه بقيامته المجيدة وانتصاره على الموت.

فالذين استقبلوه فى أحد الشعانين؛ حدث عندهم تشوّش لأن السيد المسيح نفسه قال: "أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ" (مت26: 31). وقال لتلاميذه الأخصّاء "كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ" (مت26: 31). فإذا كان تلاميذه الذين قالوا هذه التسابيح والذين كانوا معه فى بستان جثسيمانى؛ قال لهم إنهم سيشكون فيه. فهل نستغرب أن الجموع العادية التى استقبلته تكون قد شكَّت؟ هم أيضًا نخسوا فى قلوبهم مثل الذين قالوا اصلبه لأنهم شكُّوا أنه هو المسيح، ولأن الصلب كان بالنسبة لفهمهم المؤقت لعنة، ودرجات الشك كانت متفاوتة. وعندما سمعوا عن القيامة بشهادة الرسل بتأييد سماوى بصوت الريح وانطلاق الألسنة الجديدة بموهبة الروح القدس زالت شكوك من آمنوا منهم وفهموا التعليم الذى ورد فيما أعلنه بطرس الرسول ومعه باقى الرسل فى عظة يوم الخمسين.

الوحيدة التى لم تشُك على الإطلاق

لكن الوحيدة التى لم يدخل إلى قلبها الشك على الإطلاق التى قال عنها الروح القدس بفم أليصابات أم يوحنا المعمدان "طُوبَى لِلَّتِي **آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ** مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ" (لو1: 45). أى السيدة العذراء القديسة مريم؛ التى آمنت بأن القدوس المولود منها يدعى ابن الله وأنه "يَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ **إِلَى الأَبَدِ** وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لو1: 33). وقال عنها سفر النشيد: "وَاحِدَةٌ هِيَ حَمَامَتِي كَامِلَتِي. **الْوَحِيدَةُ لأُمِّهَا هِيَ**. عَقِيلَةُ وَالِدَتِهَا هِيَ. رَأَتْهَا الْبَنَاتُ فَطَوَّبْنَهَا. الْمَلِكَاتُ وَالسَّرَارِيُّ فَمَدَحْنَهَا، مَنْ هِيَ الْمُشْرِفَةُ مِثْلَ الصَّبَاحِ جَمِيلَةٌ كَالْقَمَرِ طَاهِرَةٌ كَالشَّمْسِ مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ؟" (نش6: 9، 10).

السيد المسيح نفسه كان يعلم أن هذا الشك الذى ذكرناه سوف يحدث حتى من الرسل؛ ورغم ذلك لم يرفضهم. ولكن دخوله إلى أورشليم بهذه الصورة كان لابد أن يحدث. وأيضًا كان لابد أن يفرحوا قبل أن تأتى الصدمة الكبيرة الخاصة بالصلب. وكان لابد أن يأخذهم معه على جبل التجلى حتى يروا السحابة النيرة ويسمعوا صوت الآب "وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا" (مر9: 7). ويا ليت معلمنا بطرس كان قد سمع لكلام السيد المسيح فى موضوع الشك "قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: وَإِنْ شَكَّ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ! فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ الْيَوْمَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ مَرَّتَيْنِ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ بِأَكْثَرِ تَشْدِيدٍ: وَلَوِ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ" (مر14: 29-31). هل معنى هذا الرد أن كلام السيد المسيح لن يحدث؟! لقد سمع معلمنا بطرس الرسول على جبل التجلى صوت الآب يقول: "لَهُ اسْمَعُوا" (مر9: 7). لكن كل هذه كانت ضعفات وتم إصلاحها بعد ذلك.

**ومن ضمن الذين آمنوا** أو تقوى إيمانهم بعد أن سلّم السيد المسيح روحه على الصليب وبعد أن حدثت الزلزلة وتشققت الصخور وتفتحت القبور:

**قائد المئة الرومانى** الذى قال بعدما رأى ما كان وآمن "حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنَ اللَّهِ" (مت27: 54).

وكذلك **يوسف الرامى ونيقوديموس** اللذان لم يهمهما أن الذى يمس ميت يتنجس حسب الشريعة أيضًا لأنهما صارا يعرفان أن الذى يمس السيد المسيح يتطهّر لأنه مكتوب عنه فى نبوة دانيال أنه "قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ" (دا 9: 24)، لذلك أخذاه وأكرماه فى دفنه. وبلا شك أن الروح القدس كان أحيانًا يلهب بعض القلوب لكى تقوم بتصرفات تتمم بها النبوات، ففى سفر أشعياء النبى يقول: "وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَ**مَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ**" (أش53: 9).

إذن بطرس الرسول فى يوم الخمسين كان يوبّخ الجموع التى كانت قد قالت "اصلبه" والتى طلبت إطلاق باراباس، وأما الباقون فكانوا مستمعين، والبعض من الذين قالوا "اصلبه" آمن فى يوم الخمسين وتعمّد، والبعض أيضًا من الذين اعتمدوا هم الذين استقبلوه يوم دخوله إلى أورشليم. وطبيعى أنه ليس فى كل موقف يكون كل الناس موجودين. فمثلاً السيد المسيح عند دخوله أورشليم مر فى مسافات كبيرة جدًا ولكن يوم الخمسين المجموعة التى سمعت بطرس الرسول هى المجموعة التى اجتمعت إثر سماعها الصوت الذى حدث أثناء حلول الروح القدس وبدأوا يتكلمون بألسنة جديدة وكان هناك أناس من خمس عشرة لغة أى من بلاد كثيرة جدًا، وليس شرطًا أن كل الذين حضروا يوم الخمسين يكونوا قد حضروا أحد الشعانين، والمكان نفسه مختلف فمكان دخوله أورشليم غير مكان العلية التى هى بيت القديس مرقس الذى اجتمعت الكنيسة فيه فى يوم الخمسين.

يوم الاثنين من البصخة المقدسة

البر الشكلى

بدأت أحداث يوم الاثنين من البصخة المقدسة بشجرة التين التى لعنها السيد المسيح أو التى قال لها: "لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ" (مر11: 14). ولعل السيد المسيح أراد أن يحارب خطية النفاق والرياء بهذا الأسلوب وفى بداية رحلة هذا الأسبوع بعد دخوله إلى أورشليم. **تلك الشجرة التى كانت ترمز إلى حياة البر الشكلى** الذى ليس له جوهر ولا ثمر حقيقى. لم يكن أوان التين وكانت الشجرة مورقة، وكان المفروض أن تخرج الثمار قبل الورق، لأن شجر التين يخرج ثماره قبل الأوراق، لكن هذه التينة أخرجت ورقًا مبكرًا. وحيث إنها أخرجت ورقًا مبكرًا فكان لابد أن يكون بها ثمر. كانت هذه الشجرة ترمز إلى الأمة اليهودية التى وجدها السيد المسيح خالية من الثمار.

إن نبوات الساعة الثالثة من يوم الاثنين من البصخة المقدسة يذكر فيها النبوة التى تقول: **"وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا الْقائلِينَ عن الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا. وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ**... الَّذِينَ يُبَرِّرُونَ الشِّرِّيرَ مِنْ أَجْلِ الرَّشْوَةِ. وَأَمَّا حَقُّ الصِّدِّيقِينَ فَيَنْزِعُونَهُ مِنْهُمْ. لِذَلِكَ كَمَا يَأْكُلُ لَهِيبُ النَّارِ الْقَشَّ وَيَهْبِطُ الْحَشِيشُ الْمُلْتَهِبُ يَكُونُ أَصْلُهُمْ كَالْعُفُونَةِ وَيَصْعَدُ زَهْرُهُمْ كَالْغُبَارِ لأَنَّهُمْ رَذَلُوا شَرِيعَةَ رَبِّ الْجُنُودِ وَاسْتَهَانُوا بِكَلاَمِ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ وَمَدَّ يَدَهُ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ حَتَّى ارْتَعَدَتِ الْجِبَالُ وَصَارَتْ جُثَثُهُمْ كَالزِّبْلِ فِي الأَزِقَّةِ. مَعَ كُلِّ هَذَا لَمْ يَرْتَدَّ غَضَبُهُ بَلْ يَدُهُ مَمْدُودَةٌ بَعْدُ. فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ وَيَصْفِرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا. لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلاَ عَاثِرٌ. لاَ يَنْعَسُونَ وَلاَ يَنَامُونَ وَلاَ تَنْحَلُّ حُزُمُ أَحْقَائِهِمْ وَلاَ تَنْقَطِعُ سُيُورُ أَحْذِيَتِهِمِ. الَّذِينَ سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ وَجَمِيعُ قِسِيِّهِمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَّانِ وَبَكَرَاتُهُمْ كَالزَّوْبَعَةِ" (إش 5: 20-28). كل هذا وصف للأمم التى دعاها الرب لكى تنتقم من خطايا بنى إسرائيل.

إنها حرب مع خطية الرياء والنفاق وهذه هى شجرة التين المورقة التى بلا ثمر...

الرذيلة المرتدية ثوب الفضيلة

ربما يقول كل إنسان أنا لست مثل هؤلاء الناس أنا لا أقول عن الخير شرًا ولا عن الشر خيرًا. ولا أجعل الظلمة نورًا ولا النور ظلمة... ليس من السهل أن يقتنع إنسان أنه من هذا الصنف. لذلك وأعقبه التحذير التالى فهو مباشرة يقول: "وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ".

كثيرًا ما يقول الإنسان عن الخير إنه شر وعن الشر إنه خير، ويلبس الرذيلة ثوب الفضيلة، ويكون حكيمًا فى عينى نفسه. فخطية البخل مثلاً يسميها حسن تدبير أو ترشيد استهلاك فى حياته. ولأن حسن التدبير شيء ممدوح فهو يلبس الرذيلة ثوب الفضيلة. هكذا أيضًا شخص مسرف يبرر الإسراف ويلبسه ثوب الفضيلة، فيسميه كرم وسخاء. فى كل الاتجاهات ممكن أن يكون عقل الإنسان خادمًا جيدًا لإرادته. ممكن أن يكون إنسان عنيف أو قاسى القلب ويسمى هذا العنف وهذه القسوة إنها نوع من الحزم وقوة الشخصية، أو الدفاع عن الحق. وممكن أن يكون الإنسان المسئول متهاون ومتراخى ومتساهل مع الشر والخطية ويسمى ذلك طيبة قلب وطول أناة ومحبة للآخرين، ولا يهتم بما يسببه تراخيه من عثرات مهلِكة. ممكن أن يكون لا يتحرك فى داخله الروح بمعنى أن روحه لا تحتد فيه إذا رأى المدينة مملوءة أصنامًا مثلما حدث مع بولس الرسول فى أثينا. أو إذا رأى الحياة مملوءة من الشر والخطية. ويعتبر ذلك شيء عادى ولطيف جدًا؛ ويسمى ذلك نوع من طول الأناة وعدم الغضب والوداعة وكل الفضائل الممكنة ينسبها إلى نفسه وهو إنسان ليس فيه حرارة الروح. وهو لا يكتفى بذلك بل إن رأى إنسانًا حارًا بالروح؛ ينتقده ويقول إن هذا الشخص هو إنسان عنيف. وبنفس الصورة إذا رأى الشخص العنيف إنسانًا وديعًا وداعة حقيقية؛ يقول إنه إنسان ليّن وليست لديه شهامة وليس لديه حزم. لذلك قال الكتاب: "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا الْقائلِينَ عن الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا".

الأمر يحتاج أن يراجع الإنسان نفسه باستمرار فى ضوء النعمة الإلهية ليعرف إن كانت مقاييسه سليمة أم لا. وطبعًا المثل الأعلى معلم الفضيلة هو السيد المسيح. كما يمكننا أن نقتدى أيضًا بالرسل الأطهار وبالقديسين... لكن بحكمة لكى نقتدى بهم بما يناسب حياتنا، وما يناسب قامتنا الروحية، وطبيعة الرسالة التى نقوم بها. بمعنى ألا يجعل خادم قدوته دائمًا هى لقديسين من الرهبان لأن الرهبنة شيء والخدمة شيء، فإذا جعل الرهبنة هى الوسيلة التى ينال بها كل الفضائل الخاصة بحياته كخادم سوف تتعثر خدمته. وهكذا أيضًا لا يجعل الراهب مصدر فضائله الروحية بقياس حياة خدّام قديسين؛ لأن حياة الرهبنة بها هدوء وبُعد عن العالم والاكتفاء بخلاص نفس الراهب. لكن حياة الخدمة بها سعى مستمر نحو الآخرين، وفيها تحمل للمسئولية ولا تناسبها الإكتفاء بالحياة الشخصية فقط.

لابد أن تكون لنا مقاييس نقيس عليها حياتنا من قديسين سبقونا ورسموا لنا الطريق، فنعرف ما عملوه فى نفس الموقف الذى نتعرض له. ليس من الصواب أن يطبّق شخص سيرة وحياة راهب على الخدمة فى حياته، هذا ينتج عنه تشويش. من الممكن أن يأخذ بعض لمسات من حياة الرهبان القديسين. وأنا حينما أتكلم هنا عن الرهبنة أتكلم عن هدوء الرهبنة وصمتها وبعدها عن الناس وليس عن كل نواحيها طبعًا، فلست أتكلم عن الرهبنة فى زهدها مثلاً لأن زهد الرهبان من الممكن أن يكون قدوة للكل سواء فى الحياة الخاصة أو العامة حسبما تسمح ظروف الإنسان.

نجد أن الإنسان يحاول أن يبرر لنفسه تصرفات كثيرة هى انحدار سريع نحو الهاوية ونحو الخطية لأنه "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ" (أم14: 12). بعض الناس تحت ستار الدفاع عن الحق يسقطون فى خطية الإدانة (إدانة الآخرين) باستمرار. بل ويغضبوا من غيرهم إن رفضوا الاشتراك معهم فى هذا الأسلوب. لذلك يقول "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا". وإذا رفض شخص سماع سيرة الآخرين يقولون عنه إنه إنسان سلبى لا يشارك فى تقييم الأمور. وآخر تحت ستار عدم الإدانة يتواطأ مع الشر أو مع الخطية ويسكت عليها وهو مسئول عن تقويمها وكأن الأمر لا يعنيه فى شيء. لأنه ربما يشعر أن هذا الوضع يريحه من متاعب كثيرة. تجد الإنسان يرى ما يريحه وما سوف يكون من ورائه مكسبًا له ثم يبحث لذلك عن فضيلة تناسب الموقف. فيقول مثلاً لن أتكلم فهذه فضيلة عدم الإدانة.

وفى الجانب الآخر إنسان يريد أن ينفث عن حقد بداخله وغيظ ونوع من التحطيم والتدمير لكى يصفّى حسابات فيتكلم ضد هذا الشخص وإن أنبه ضميره يرد على نفسه ويقول يجب علينا أن نحارب الباطل ونحارب الشر، لأنه مكتوب "غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي" (مز69: 9)؛ فأنا علىّ أن أحارب هذا الموقف فى كل وقت وفى كل مكان وفى كل مناسبة.

ومن هنا نجد أن أى تصرف خاطئ من الممكن أن يلبس ثوب الفضيلة، وهنا تقف هذه الكلمات "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا الْقائلِينَ عن الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا".

المسألة تحتاج أن الإنسان يضع نفسه فى ضوء النعمة الإلهية، وأن الروح القدس يتحرك من الداخل لكى يحكم الحكم السليم بمعنى أن يقتنى فضيلة الإفراز والتمييز كما يقول معلمنا بولس الرسول "حَتَّى تُمَيِّزُوا الْأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ" (في1: 10). إن الميزان الحساس، ميزان الذهب، هذا هو ميزان الروح القدس. رأى الإنسان الشخصى من الممكن أن يكون خطأ، وفى النهاية يفاجأ الإنسان أن أحكامه قد أضاعته، لأن الآية تقول "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا" (إش5: 20). وما دامت المسألة خطيرة بهذه الصورة فلابد أن يراجع الإنسان نفسه باستمرار.

الصلاة الدائمة والسهر الروحى

هنا تأتى فائدة الصلاة، لقد كان السيد المسيح دائمًا يقول "اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ" (مت26: 41)، "احْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ... فَيُصَادِفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً" (لو21: 34). لكن ماذا نفعل لكى نحترز لأنفسنا؟ يقول لنا: **"َتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلاً لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْمُزْمِعِ أَنْ يَكُونَ وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الإِنْسَانِ" (لو21: 36)**. ويقول السيد المسيح أيضًا: "أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ" (لو18: 7)..

بلا شك لا يستطيع إنسان أن يدّعى أنه قد ملك ناصية الحكمة والتدبير منفردًا برأيه فى كل الأوقات. بل لابد أنه سيشعر بالحيرة فى وقت ما، وسيشعر أنه لا يعرف أين الطريق.. وهنا ينبغى أن يصرخ إلى الله، وفى وسط هذا الصراخ يأتيه صوت الله قائلاً: "**أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ" (مز32: 8)،** ويقول أيضًا فى المزمور الكبير الذى نصليه فى صلاة نصف الليل: "طُوبَاهُم الذينَ بِلا عَيب فى الطَرِيق، السَّالِكونَ فِي ناموس الرَّبِّ. طُوبَاهُم الذينَ يفحصون عن شَهَادَاتِهِ، ومِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ يَطْلُبُونَهُ" (مز119: 1، 2).

الإنسان الذى يريد مشيئة الله من كل قلبه، إذا اختلط عليه الأمر أو إذا استخدم أسلوبًا خاطئًا واكتشف أن الروح القدس يوبّخه ويبكته على هذا الأمر؛ يتراجع عنه. ولذا مطلوب أن يتضرع الإنسان باستمرار، كما ورد أيضًا فى قراءات يوم الاثنين من البصخة المقدسة وسبق أن ذكرناه (لو21: 36).

لا يستطيع أحد أن يتصور أنه قد عرف ما هو المقياس السليم للأمور. وأما من يعتبر نفسه أنه أصبح يفهم أين الطريق، فهذا النوع من البشر علاجه صعب وعسير جدًا، لأن الكتاب يقول **"وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ" (إش5: 21).** الإنسان المتضع يقف أمام الله ويقول له: أنا يارب لا أفهم أى شيء "صِرْتُ كَبَهِيمٍ عِنْدَكَ. وَلَكِنِّي دَائِمًا مَعَكَ" (مز73: 22، 23)، بمعنى أننى يا رب أمامك مثل البهيمة التى لا تفهم شيئًا ولكن مع هذا أنا دائمًا معك، ولهذا فأنا أطلب المعرفة والإرشاد من عند الرب. مثل هذا الإنسان سوف ينال حكمة من عند الرب، لأن "كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ" (يع1: 17)، و"**إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ" (يع1: 5).**

الأساليب الملتوية

يسير البعض بأساليب بعيدة كل البعد عن الوصية الإلهية، من كسب غير مشروع، وهروب من الضرائب أو الجمارك.. إلخ، وتقف هذه الكلمات "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا".

يقول أحدهم: لقد وقف معى مارجرجس فى الشهر العقارى اليوم. ماذا عمل لك مارجرجس؟ بدلاً من أن أكتب عقد بيع الأرض بخمسة عشر آلاف من الجنيهات كتبته بألف وخمسمائة فقط. والموظف قال لى لا تكتب رقم كبير يكفى هذا الرقم الصغير وينطبق على ذلك قول الرب: "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا" (إش5: 20). هو عمل وهو يظن أن هذا مستوى من المهارة. أمر غريب أن تختل المقاييس بهذه الطريقة! من الأساليب التى يظنونها نوعًا من المهارة!! ويكون الإنسان مقتنعًا بهذا الكلام، وليس هذا فقط بل ويريد أن يقنع به غيره، وأن يقنع به الكنيسة. ويستمرون فى هذا الأسلوب إلى أن يصلوا إلى أبعاد خطيرة. بينما الكتاب ما زال يصيح محذرًا: "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا، الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا، الْقائلِينَ عن الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا" (إش5: 20).

وصايا الرب

هناك وصايا كثيرة قالها السيد المسيح أو وردت فى الأسفار النبوية، والبعض يحاولون التهرب من تنفيذها، ومن أمثلة ذلك:

✞"لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا" (مت5: 39).

✞"أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت5: 44).

✞"الَّذِينَ يُبَرِّرُونَ الشِّرِّيرَ مِنْ أَجْلِ الرَّشْوَةِ. وَأَمَّا حَقُّ الصِّدِّيقِينَ فَيَنْزِعُونَهُ مِنْهُمْ. لِذَلِكَ كَمَا يَأْكُلُ لَهِيبُ النَّارِ الْقَشَّ وَيَهْبِطُ الْحَشِيشُ الْمُلْتَهِبُ يَكُونُ أَصْلُهُمْ كَالْعُفُونَةِ وَيَصْعَدُ زَهْرُهُمْ كَالْغُبَارِ لأَنَّهُمْ رَذَلُوا شَرِيعَةَ رَبِّ الْجُنُودِ وَاسْتَهَانُوا بِكَلاَمِ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ" (إش5: 23، 24).

✞يا أحبائى؛ كل ما يتعارض مع ناموس المحبة الصادقة الحقيقية فليس من الله لأن "اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (1يو4: 16). أى عمل مهما بدا رائعًا، شجاعًا، براقًا، نافعًا؛ إذا اصطدم بناموس المحبة فلا يمكن أن يكون مقبولاً من الله.

وقد سمعت مرة كلمة لقداسة البابا شنودة الثالث يقول: [**إن الله سيكافئنا عن ما نفعل من فضائل بمقدار ما فى هذه الفضائل من حب واتضاع، وأى فضيلة تخلو من المحبة فليس لها أجر عند الله إطلاقًا**].

ليتنا دائمًا نقيس أنفسنا وتصرفاتنا ومفاهيمنا على قياس الكلمة الإلهية. فكلمة الله قوية، واضحة "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عب4: 12).

أتعجب كثيرًا من أناس يكونون قد عاشوا فى الكنيسة طوال حياتهم، وتكون النتيجة فى النهاية أنهم يخرجون بتعاليم ضد وصية الله؛ ضدها على طول الخط. وليس هذا فقط بل أيضًا يجرّون خلفهم الكثير من البشر. ليس فى أمر يصعب فهمه مثل العقائد أو أمثال هذه الأمور التى قد يختلف فيها اللاهوتيون؛ لأن هناك أمورًا أحيانًا تكون عسرة الفهم. لكن هناك مسلمات أولية مثلاً "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ.. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" مثل هذه الوصايا أين ذهبت؟ وكيف نسيناها!!

لا ننكر أن كل إنسان منا لو راجع حياته سوف يجد بعض الوصايا تغيب عن ذهنه أو بعض المقاييس المقلوبة فى حياته، وهذا هو السبب فى إننا لابد أن نضع أنفسنا أمام الله باستمرار ونصرخ إليه من كل القلب أن يرشدنا إلى طريق الخلاص وإلى طريق الملكوت.

سيروا زمان غربتكم بخوف

"إِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَبًا الَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ، فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ" (1بط1 : 17)، هذه المخافة تدفعنا أن نراجع أنفسنا باستمرار وأن نطلب من الله أن يكشف لنا عن مشيئته المقدسة لئلا نسلك ونسعى باطلاً؛ مثلما قال معلمنا بولس الرسول "صَعِدْتُ أَيْضًا إِلَى أُورُشَلِيمَ.. وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ بِالاِنْفِرَادِ عَلَى الْمُعْتَبَرِينَ، **لِئَلاَّ أَكُونَ أَسْعَى أَوْ قَدْ سَعَيْتُ بَاطِلاً"** (غل2: 2). أى أن معلمنا بولس الرسول يقول إنه قد أتى إلى أورشليم ليسأل القديسين، ولكى يستلهم صوت الله فى وسط الجماعة، لكى أقول "أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ" (مز22: 22). فى وسط الجماعة يكون صوت الله أقوى لأن هناك تبادل للخبرات وتعلُّم. وكما يقول الكتاب "وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضًا" (1تس5 : 11).

فالإنسان يظل طوال حياته يتعلم ولا يعتبر أنه قد ملك المعرفة، بل يتعلم، يتعلم من غيره ويراجع نفسه "وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ" (يو6: 45)، وهذا هو عمل الروح القدس فى داخل حياتنا.

لقد اصطدم السيد المسيح مع الرياء، ومع النفاق، ومع أصحاب الموازين المقلوبة الذين يقولون للنور ظلمة وللظلمة نورًا، لكى يفجر ذلك الضياء العجيب وهو نور العهد الجديد، حينما يسود الله على قلب الإنسان ويبدد كل ظلمة فى حياته.

ليلة الثلاثاء من البصخة المقدسة

هناك نبوة أريد أن أضيفها إلى نبوات يوم الأحد أو ليلة الاثنين من البصخة المقدسة، لأنى لا أستطيع أن أتكلم فى هذه المرحلة دون ذكرها. هذه النبوة هى من سفر ملاخى النبى الأصحاح الثالث والرابع:

"هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. **وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ**. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟" (مل3: 1، 2).

يوحنا المعمدان

عبارة "**هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي**" هى عن القديس يوحنا المعمدان، ومن الملاحظ أنه فى نهاية النبوة من سفر ملاخى يتكلم عن الملاك الذى سيتقدم مجيء الرب فيقول "هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (مل4: 5) وقد قيلت هذه العبارة أيضًا عن يوحنا المعمدان. وفى سفر إشعياء قيل عنه: "صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا" (إش40: 3). وفى البشارة بميلاده قال الملاك لأبيه زكريا الكاهن: "لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ" (لو1: 17)، وهى مأخوذة من نبوة ملاخى النبى الذى قال: "فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ" (مل 4: 6).

فى أثناء نزول بطرس ويعقوب ويوحنا من جبل التجلى مع السيد المسيح سألوه قائلين: "لِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟" (مت17: 10)، **فقال لهم: "إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أولاً وَيُرُدّ كُلَّ شَيْءٍ. ولكنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إن إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا... حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (مت17: 11-13).**

ولم يكن هذا كلامًا غريبًا لأن الملاك نفسه قال لزكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان عنه إنه: "**يَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا" (لو1: 17).**

لا يوجد تداخل بين شخصية كل من يوحنا المعمدان وإيليا النبى، **ولكن المقصود بهذه العبارات فى المجيء الأول هو يوحنا المعمدان، والمقصود بها فى المجيء الثانى هو إيليا النبى.** وإيليا النبى لازال حيًا حتى الآن لذلك يستطيع أن يأتى فى المجيء الثانى. وعندما قال السيد المسيح للتلاميذ إن إيليا قد جاء كان يقصد المرموز إليه بإيليا أى يوحنا المعمدان، الذى قال عنه الملاك فى البشارة صراحة: "وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ"، طبعًا ليس المقصود هو أن يموت إيليا وتخرج روحه ثم تدخل فى أحشاء أليصابات **فيحدث عودة التجسد Re incarnation كما يعتقد البعض مثلما يعتقد الهندوس**، إنما المقصود هو أن يوحنا سوف تكون له قوة إيليا وغيرته النارية، وهو الذى صعد فى مركبة نارية تجرها خيل من نار إلى السماء.

هناك تقارب كبير جدًا بين شخصية يوحنا المعمدان النارية وبين طبيعة إيليا النبى الروحية، لذلك قيل عن يوحنا المعمدان يأتى "بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ" أى بالمواهب الروحية التى يمنحها الروح القدس للأنبياء فى خط النبوة الخاص بهم، فكما كان إيليا النبى يوبّخ آخاب الملك ويقول: "حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ" (1مل18: 15) أن يحدث كذا أو كذا أو كذا... ولم يكن يخشى، هكذا أيضًا كان يوحنا المعمدان يقف أمام هيرودس الملك ويقول له: "لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ" (مر6: 18)، فهناك تشابه بين الشخصيتين وبين المواهب الروحية التى لهما.

ولكن يوحنا المعمدان -بغير منازع- قال عنه السيد المسيح: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ" (مت11: 11)، (الأصغر سنًا بستة أشهر هو السيد المسيح فهو أصغر من ناحية الجسد أى من ناحية الناسوت).

من المفهوم أن عبارة "هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي" هى عن يوحنا المعمدان أو عن إيليا النبى، ولكن بالنسبة للمرحلة التى نحن بصددها الآن وهى مرحلة مجيء السيد المسيح إلى العالم فى مجيئه الأول فإن ما يهمنا هو أنها تنطبق على يوحنا المعمدان حتى وإن كانت تنطبق على إيليا النبى فى المجيء الثانى.

لقد ذُكرت هذه العبارة بالنسبة للمجيء الثانى بطريقة أخرى فى نفس نبوة ملاخى النبى: "هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (مل4: 5).

عبارة "هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ" تنطبق على يوحنا المعمدان بصورة واضحة جدًا، وليست خافية لأن الأناجيل حينما كُتبت، أشارت إلى هذه الحقيقة كما فى إنجيل القديس مرقس مثلاً الذى قال: "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ، صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً، **كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا**" (مر1: 2-4).

نحن الآن نتكلم فى اتجاه المجيء الأول، وهذا لا يلغى النبوة فى مداها البعيد الذى هو أيضًا "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (مل4: 5)..

يوم الرب

إن "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (مل4: 5).. ليس هو يوم الفداء فقط ولكنه يوم الدينونة أيضًا. ويوم الفداء كان فى حد ذاته يوم دينونة، لأن السيد المسيح وفّى الدين فكان "يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ19: 15) كما هو مكتوب فى سفر الرؤيا.

والسيد المسيح وفّى الدين، وحمل الدينونة، وقدّم نفسه ذبيحة تكفيرًا عن خطايا العالم، يستفيد منها كل من يقبل ومن يؤمن. إذن عبارة "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" تنطبق على يوم الصليب، وتنطبق أيضًا على يوم الخمسين، لأن يوم الخمسين هو ثمرة لما فعله السيد المسيح فى مصالحته للبشرية مع الآب لذلك قال لتلاميذه: "هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي" (لو24: 49). ولذلك يقول فى نبوة يوئيل النبى التى ذكرها القديس بطرس فى عظته فى يوم الخمسين: "يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤىً وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ، وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: **دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ، تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ** وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ **يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ**" (أع2: 17-20).

ما المقصود بالدم والنار والدخان؟

**الدم** هو دم السيد المسيح.

**والنار** هى التى كانت فى العهد القديم تنزل لتلتهم الذبيحة، وهذا ما عمله الروح القدس فى الجلجثة فكان هو النار الإلهية.

أما **بخار الدخان** فلأننا نقول فى الصلوات والألحان الكنسية عن السيد المسيح {هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فأشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}. لأن ذبيحة المحرقة فى العهد القديم كانت تُقدّم على المذبح وكان بخار دخانها (الناتج عن شواء اللحم) يصعد ويشتمه الله رائحة سرور (انظر لا1: 9، 13، 17).

يوم الصلب ويوم المجيء الثانى للسيد المسيح

لقد جمع القديس بطرس الرسول فى عظته فى يوم الخمسين بمهارة بإرشاد من الروح القدس بين يوم الصلب ويوم مجيء المسيح الثانى فقال: "تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ"، هذه النبوة لها بُعد أخروى فى مجيء المسيح الثانى، فالسيد المسيح نفسه عندما تكلم عن نهاية العالم قال: "الشَّمْسُ تُظْلِمُ وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ" (مر13: 24). وعندما تكلم القديس بطرس عن يوم الرب العظيم الشهير فى يوم الخمسين كان يشير إلى الجلجثة وحدث الصليب، هذه الأحداث أى الجلجثة ويوم الخمسين ليس فيها انفصال فحدث الخلاص هو حدث واحد، والكتاب يقول "أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ" (2بط3: 8).

وعندما نقول: "**هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ**" (مز118: 24)، فهل هو يوم الجمعة العظيمة؟.. أم يوم أحد القيامة حيث قام السيد المسيح من الأموات؟.. أم هو بداية الأسبوع الثامن فى يوم الخمسين وإرسال الروح القدس إلى الكنيسة حسب وعد الآب السماوى؟

إن الآب يقول فى المزمور عن ولادة الابن الوحيد الجنس قبل كل الدهور: "أَنْتَ ابْنِي، أَنَا **الْيَوْمَ** وَلَدْتُكَ" (مز2: 7)، فما هو هذا اليوم؟ يقول أيضًا المزمور: "من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك" (مز109). فما هو معنى "**الْيَوْمَ** وَلَدْتُكَ"؟ معناها استمرارية الولادة غير المنقطعة بالرغم من أنها "قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (2تي1: 9)، و"قبل كوكب الصبح".

هناك شاعر فرنسى اسمه "دى لامارتين" De Lamartin قال عبارة تعجبنى وهى: {**إن كينونة يهوه لا تقاس بالشهور والأيام، فيومه يوم أزلى وهو الكائن على الدوام**}.

إن يوم الرب لا يُقاس ولا يحدد بأربع وعشرين ساعة، هكذا فإن يوم الرب العظيم والمخوف أو الشهير ينطبق على يوم الدينونة، وعلى يوم الجلجثة، وعلى يوم الخمسين، وعبارة "هَذَا هُوَ **الْيَوْمُ** الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ" نقولها يوم الأحد فى تذكار قيامة الرب، وهو اليوم الذى أعطانا فيه الرب أو صنع فيه الرب عطية الحياة الجديدة إذ "أَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ" (2تي1: 10). أقول هذا حتى لا يختلط الأمر على أحد فيظن أن "اليوم" هو مجرد 24 ساعة.

قال السيد المسيح لليهود: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى **يَوْمِي** فَرَأَى وَفَرِحَ" (يو8: 56)، فما هو هذا اليوم؟ لقد رأى إبراهيم الصلب والقيامة وماذا أيضاّ يا ترى؟؟..

لقد رأى داود النبى تفاصيلاً وصفها القديس بطرس فى عظة يوم الخمسين بقوله: "لأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ: كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي لِكَيْ لاَ أَتَزَعْزَعَ، لِذَلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ، لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا، عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَتَمْلأُنِي سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ، أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هَذَا الْيَوْمِ، فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، **سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ** **أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا**" (أع2: 25-31).

إن قوله: "سَبَقَ **فَرَأَى وَتَكَلَّمَ** عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ" تدل على أن داود **رأى** وليس فقط تنبأ. بمعنى أن نبوة داود النبى اصطحبت برؤى العين وليس مجرد المعنى أو الكلمات. وليس فقط القيامة بل أيضًا "أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ" أى أن داود النبى رأى السيد المسيح وهو يدمّر الجحيم ويخرج القديسين، وقد خرج منتصرًا ومعه إبراهيم وداود والقديسين.

لقد رأى داود النبى نفسه خارجًا من الجحيم قبلما يولد السيد المسيح بألف عام، رأى ما سيعمله المسيح الذى سوف يخرج من صلبه بحسب الجسد أى من نسله.

وليس فقط "لم تُترك نفسه فى الهاوية" بل أيضًا "وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا" وهذا يعنى أن داود تنزه بروح النبوة داخل قبر السيد المسيح الموضوع عليه الحجر، ورأى الأكفان، ورأى السيد المسيح بعد موته على الصليب بثلاثة أيام أن جسده لم يرَ فسادًا، ورأى جسد السيد المسيح داخل الأكفان وليس مجرد الكفن من الخارج.. **باختصار رأى داود النبى كل أحداث صلب المسيح، ودفنه، ونزوله الجحيم، وفتحه للفردوس، وقيامته من الأموات.. رآها بعينه**...

لخّص السيد المسيح الأمر بالنسبة لإبراهيم بقوله: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى **يَوْمِي** فَرَأَى وَفَرِحَ".. فقد رأى إبراهيم كل ما رآه داود، لأنه من غير المعقول أن يرى داود أكثر مما رآه إبراهيم.. رأى إبراهيم كل هذا.. **ونحن نُرجّح أن إبراهيم رأى كل هذه الأحداث عندما كان مزمعًا أن يقدّم إسحق ابنه لأنه ضبط أجهزة الاستقبال الروحية عنده على موجة إرسال الله بالروح القدس أنه يقدم ابنه الوحيد، فالمُستقبل Receiver التقط الإرسال السماوى فانفتحت الرؤيا، ورأى السيد المسيح.**

إن عبارة "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" تدل على أن إبراهيم لم يُجبر على تقديم ابنه بل هو السبب إذ ظل إبراهيم يطلب من الله بإلحاح أن يعرف كيف سيتم الخلاص. وكأن الله يقول له ألا يكفيك مولد إسحق وأنك فرحت به، لكن إبراهيم كان يعرف أن إسحق وهو إنسان تحت الآلام مثلنا لن يخلّص العالم... فظل يلح. وعندما وجد الله إصراره قال له: "خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ" (تك22: 2)، **فأدخله بهذا فى مشاعر تقديم الابن الوحيد لكى يكون للرؤيا مذاق**.

**بهذا نكون قد فهمنا أن "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" هو حدث متكامل وليس مجرد أربع وعشرين ساعة.**

يَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ

كل ما قلناه هو مجرد مقدّمة لِما نريد أن نقوله، وهو أننا أمام نبوة تقشعر لها الأبدان ويقف أمامها الإنسان مبهورًا.. فبعدما قال الرب: "هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي" قال: "**وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ** **الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ**، هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟"

"وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ **السَّيِّدُ** الَّذِي تَطْلُبُونَهُ" المقصود بالسيد هنا طبعًا هو السيد المسيح، وملاك מַלְאַ֙ךְ (مل آخ) فى اللغة العبرية تعنى "مرسَل" وقيلت عن يوحنا المعمدان فى نفس النبوة، وقيلت مرارًا عديدة عن السيد المسيح فى ظهوراته فى العهد القديم وكان يلقب بعبارة "ملاك الرب" ثم يُقال عنه هو نفسه أنه هو "الرب" أى "يهوه" [انظر ظهور الرب لجدعون فى (قض6: 11-24)].

"يَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ".. لقد دخل السيد المسيح إلى الهيكل كثيرًا، إذ دخله وهو طفل بعد ولادته بأربعين يومًا وفى عيد الفصح كل عام قبل وبعد عودة العائلة المقدسة من مصر، ثم وهو فى سن الثانية عشرة، وعلّم فى الهيكل كثيرًا بعد بداية خدمته. لكن دخوله فى هذه المرة يختلف عن كل المرات الأخرى. وهذا ما تمت قراءته فى إنجيل الساعة التاسعة من أحد الشعانين حيث يقول: "وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ **ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا** قَائِلَةً: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: هَذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ، **وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللَّهِ** وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ، وَقَالَ لَهُمْ: مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ" (مت21: 10-13).

تكلّمنا فى يوم أحد الشعانين عن دخول السيد المسيح الحافل إلى أورشليم، ولكن الآن نريد أن نتكلم عن دخوله إلى الهيكل: "فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ وَالأَوْلاَدَ يَصْرَخُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ: أُوصَنَّا لاِبْنِ دَاوُدَ غَضِبُوا، وَقَالُوا لَهُ: أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَؤُلاَءِ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا" (مت21: 15، 16)، **هذا الدخول بالذات إلى الهيكل هو الذى تنبأ عنه ملاخى النبى، هذا هو اليوم الذى استُقبل فيه كملك وكمخلّص والذين رافقوه والذين استقبلوه قالوا له: أوصنا** (أو هوشعنا) فى الأعالى أى "خلصنا فى الأعالى"، "سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي" (لو19: 38) ولذلك يقول النبى: "وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ".

لم يكن أحد يتوقع مجيء السيد المسيح فى هذا اليوم لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه خاصة بعدما أقام لعازر من الأموات.

بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى

هل السيد المسيح عندما قال عبارة "بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى" (مت21: 13) كان يتكلم عن الآب السماوى؟

تقول نبوة ملاخى النبى: "وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى **هَيْكَلِهِ** السَّيِّدُ" وهذا يعنى أن الذى دخل إلى الهيكل **هو صاحب الهيكل**، إذن عندما قال: "بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى" كان يتكلم عن بيته هو.. وهذا البيت هو بيت الآب أيضًا بالطبع لأن السيد المسيح قال من قبل للسيدة العذراء وخطيبها القديس يوسف عن بقائه فى الهيكل بعد انصرافهم فى العيد: "أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ **فِي مَا لأَبِي**؟" (لو2: 49). إلا أن الوحى أشار فى هذا الموقف بالذات إلى أنه هو صاحب البيت، وسيد البيت، ورب البيت. ففى قوله: "**بَيْتِي** بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ" هو يتكلم باعتباره **السيد الذى جاء إلى هيكله الخاص**.

ثم تقول نبوة ملاخى: "الذى تطلبونه" لأن اليهود كانوا فى انتظار مجيء المسيح. وعندما سألوا يوحنا إن كان هو المسيح: "اعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ وَأَقَرَّ أَنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ، فَسَأَلُوهُ: إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟ فَقَالَ: لَسْتُ أَنَا. **أَلنَّبِيُّ** أَنْتَ؟ فَأَجَابَ: لاَ" (يو1: 20، 21). يقول عن نفسه أنه ليس "النبى" بينما هو أعظم مواليد النساء من الأنبياء. فهو نبى ولكن ليس "النبى" بمعنى "المسيا" المنتظر الذى قال عنه اليهود "هَذَا يَسُوعُ **النَّبِيُّ**" (مت21: 11).

"وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ **السَّيِّدُ** الَّذِي تَطْلُبُونَهُ"، لقد تكلم الكتاب المقدس كثيرًا فى العهد القديم عن المسيح أنه هو الرب "يهوه"، لكن هنا ذكره قائلاً "السيد" ولم يقل "الرب الذى تطلبونه"، لأن هذه قد يفهم منها من يقولون له "يا رب" طوال النهار وطوال الليل. بينما "السيد" هو ملك اليهود؛ هو السيد الذى تريدونه أنتم أن يقيم خيمة داود الساقطة ويبنى ردمها (انظر عا9: 11)، أى المسيا الذى يملك.

مَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ

لكن لئلا يظن أحد أنه مجرد "سيد" قال: "**وَمَلاَكُ الْعَهْدِ** الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ"، و"الملاك" هنا ليس هو يوحنا المعمدان، لأنه انتقل من الكلام عن يوحنا المعمدان بعدما قال: "أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي" فقال: "وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَ**مَلاَكُ** الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ" (مل3: 1).

كلمة "ملاك" فى اللغة العبرية تعنى "سفير" وليس من المشترط أن يكون أحد الملائكة خدام الله السمائيين.

لقد صنع السيد المسيح عهدًا جديدًا كما قال أرميا النبى: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا **عَهْدًا جَدِيدًا**، **لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ** يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ" (أر31: 31، 32).

وكلمة "العهد" فى عبارة "مَلاَكُ الْعَهْدِ" معناها العهد الجديد فيكمل "تُسَرُّونَ بِهِ".

القديس إسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء كان يفهم أسفار العهد القديم جيدًا لذلك نجده يقول: "هَذَا هُوَ مُوسَى الَّذِي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ، هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ **الْمَلاَكِ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ** وَمَعَ آبَائِنَا. الَّذِي قَبِلَ أَقْوَالاً حَيَّةً لِيُعْطِيَنَا إِيَّاهَا" (أع7: 37، 38)، طبعًا معروف أن الذى كان يكلم موسى على جبل سيناء هو الله الكلمة أى الابن الوحيد الجنس الذى قال لموسى حينما طلب موسى أن يرى مجده الكامل: "الْإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ" (خر33: 20).

يقول القديس إسطفانوس: "**الْمَلاَكِ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ**"، بعدما قال: "هَذَا مُوسَى الَّذِي أَنْكَرُوهُ قَائِلِينَ: مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا؟ هَذَا أَرْسَلَهُ اللهُ رَئِيسًا وَفَادِيًا بِيَدِ **الْمَلاَكِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ فِي الْعُلَّيْقَةِ**" (أع7: 35). فكرر القديس إسطفانوس كلمة "الملاك" مرتين: إحداهما عن الملاك الذى ظهر لموسى النبى فى العليقة، والأخرى عن الملاك الذى كان يكلّم موسى فى جبل سيناء.

لقد أدرك القديس إسطفانوس تمامًا أن يهوه יְהוָ֥ה الذى كلّم موسى وقال له حينما سأله موسى عن اسمه أن اسمه "يهوه" (انظر خر3) هو نفسه الذى كان يظهر له فى جبل سيناء وسماه "ملاك". وتقول نبوة ملاخى النبى أن اسمه "مَلاَكُ الْعَهْدِ". ونحن نعرف أن عبارة "مَلاَكُ الرَّبِّ" أو "ظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ" ذُكرت فى مواضع كثيرة، ولكن ملاخى النبى قال: "مَلاَكُ الْعَهْدِ" وهذا يعنى أن "سفير يهوه" هو نفسه "سفير العهد"، ولذلك يكلم الآب الابن فى سفر إشعياء النبى قائلاً: "أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ **وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ** وَنُورًا لِلأُمَمِ، لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ (الجحيم) الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ" (إش42: 6، 7).

**إذن نبوة ملاخى النبى تكشف لقبًا خطيرًا جدًا للسيد المسيح وهو لقب "مَلاَكُ الْعَهْدِ"** والملاك هنا بمعنى "سفير" كما قلنا وقال لهم "**مَلاَكُ الْعَهْدِ** الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ".

لكن عندما نقرأ تكميل النبوة: "هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟" إن الذين سروا به هم أصحاب القلوب المستعدة لقبول الخلاص. أما اليهود الأشرار مثل رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين فى ذلك الزمان فلم يحتملوا تعاليم السيد المسيح وتآمروا عليه، كما أنهم فى مجيئه الثانى لن يحتملوا ظهوره للدينونة، لذلك تقول النبوة "وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟" (ملا3: 2). وكما ذكرنا، فقد كان استقبال أحد الشعانين رمزًا لدخول السيد المسيح إلى السماء وإلى المَقدِس السماوى، ولذلك نفس هذه العبارة يقولها بولس الرسول بطريقة أخرى إذ يقول: "لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عب7: 26)، "خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ" (عب8: 2).

شجرة التين ومتى يبست؟

من ضمن قراءات هذه المرحلة موضوع شجرة التين. وشجرة التين ترمز إلى الأمة اليهودية لأن السيد المسيح وجد شجرة التين مليئة بالأوراق ولكن ليس بها ثمر بينما طبيعة التين أن يُخرج الثمر قبل الورق فقال لها: "لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ" (مر11: 14) فيبست التينة، والتلاميذ "فِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوُا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ" (مر11: 20).

**هل يبست التينة فى اللحظة التى لعنها فيها السيد المسيح أم يبست فى اليوم التالى؟**

إذا دققنا فى القراءة نجد أن عبارة "يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ" تعنى أنها فى البداية عندما يبست كانت الأغصان الخضراء هى التى يبست لكن فى اليوم التالى يبست من جذورها السفلية. وطبعًا عندما تيبس الشجرة من الأصول تبدأ فى السقوط فليس هناك تعارض بين ما ذكر فى الأناجيل كما يدّعى البعض.

مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا

هناك عبارة أخرى قالها السيد المسيح عن شجرة التين عندما كان يتكلم عن نهاية العالم فقال: "فَمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: **مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا** تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ" (مت24: 32)، بمعنى عندما ترون شجرة التين وقد أخضرت أوراقها مرة أخرى.. أى عندما يؤمن كل اليهود؛ فاعلموا أن مجيء الرب أى مجيء المسيح قد اقترب.

قد يقول قائل إن السيد المسيح قال لشجرة التين: "لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ"، فكيف بعدما قال "إلى الأبد" تعود فتخضر أوراقها مرة أخرى، ويقول هو "مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا"؟

للرد نقول: إن عبارة "إلى الأبد" فى الكتاب المقدس تختلف عن عبارة "إلى أبد الآبدين"..

فمثلاً: عندما قال الرب عن الختان: "يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ **عَهْدًا أَبَدِيًّا**" (تك17: 13) فبعبارة العهد الأبدى هو يقصد إلى مدى الزمان أو إلى زمان طويل.

ولكن عندما يقول: "وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى **أَبَدِ الآبِدِينَ**" (رؤ14: 11) هنا يقصد **الأبد الذى ليس له نهاية**..

فلابد أن نميز الفرق بين عبارة "إلى الأبد" وعبارة "إلى أبد الآبدين".

نفس الكلام ينطبق على "**الدهر**".. فعندما قال زكريا الكاهن عن نبوات الأنبياء: "كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ **مُنْذُ الدَّهْرِ**" (لو1: 70) فإنه يقصد **منذ زمن قديم**.

لكن عبارة "**دهر الدهور**" تختلف عن عبارة "**منذ الدهر**"، فعندما نقول فى قانون الإيمان عن السيد المسيح: [المولود من الآب **قبل كل الدهور**] تعنى **قبل الزمن كله** أى قبل أن يوجد زمن.. لذلك كتب معلمنا بولس الرسول "بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ **قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ**" (2تى1: 9) فعبارة "قبل الأزمنة الأزلية" مساوية لعبارة "**قبل كل الدهور**". لكن عبارة "منذ الدهر" تعنى فقط منذ زمان قديم. إذن عبارة "إلى الأبد" تعنى "إلى زمان طويل"، لكن عبارة "إلى أبد الآبدين" تعنى إلى ما لا نهاية.

ولكن على العموم فإن الشجرة بعينها التى يبست لم تثمر بعد ذلك. ولكن إذا أخذناها كرمز للأمة اليهودية فإن الأمر مختلف وتكون عبارة "إلى الأبد" تعنى إلى زمان طويل.

كان يقضى النهار فى الهيكل

وكما ذُكر فى قراءات أناجيل هذا اليوم كان السيد المسيح يذهب كل يوم إلى الهيكل ثم يبيت خارج المدينة، فى بيت عنيا مثلاً، فقيل "وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ" (مر11: 19). لم يكن السيد المسيح يبيت داخل أورشليم ليلاً لكى لا يقبض عليه اليهود. ولكن خلال اليوم كانت الجموع تلتف حوله فلم يستطع اليهود أن يقتربوا منه فكانوا يكتفون بأن يجادلوه ويصطدموا به بالكلام فقط. فمثلاً سألوه عندما قام بتطهير الهيكل: "بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ؟" (مت21: 23)، فقال لهم: "أَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَإِنْ قُلْتُمْ لِي عَنْهَا أَقُولُ لَكُمْ أَنَا أَيْضًا بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا، مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟" (مت21: 24، 25)، "فَأَجَابُوا يَسُوعَ: لاَ نَعْلَمُ. فَقَالَ لَهُمْ هُوَ أَيْضًا: وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا" (مت21: 27).

هل بعد كل هذه السنوات يسألونه بأى سلطان تفعل هذا؟! هل بعدما أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام؛ يسألونه بأى سلطان يفعل هذا؟! وقد أعلمهم السيد المسيح مرارًا كثيرة أن الآب هو الذى أرسله "الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو8: 18)، وقال لهم أيضًا: "لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الاِبْنُ كَذَلِكَ" (يو5: 19)، وقال: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو5: 17)، فكيف يسألونه بأى سلطان تفعل هذا؟!.

فى إحدى المرات سألهم السيد المسيح قائلاً: "مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ابْنُ دَاوُدَ، قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبًّا قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ، فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟... **وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً**" (مت22: 42-46)، لأنه أثبت لهم من المزامير أن المسيح ابن داود هو الرب، بينما كان اليهود يعتبرون أن المسيح هو مجرد ملك يملك على إسرائيل ويعيد مجد مملكة إسرائيل. لكنهم لا يؤمنون بالثالوث القدوس ولا بأن المسيح هو ابن الله. ولذلك فى ليلة الصلب سأله رئيس الكهنة "أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟ فَقَالَ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ" (مر14: 61، 62)، "أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ، فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً: قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ" (مت26: 63-65).

لذلك عندما وقف السيد المسيح أمام بيلاطس البنطى قال اليهود لبيلاطس: "حَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ **لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ**" (يو19: 7). لقد اعتبروا أنه يجدف لأنه قال عن نفسه إنه ابن الله.

اليهود إلى يومنا هذا لا يؤمنون بالثالوث القدوس، ولا يؤمنون بلاهوت المسيح، سواء كان هو يسوع الناصرى أو غيره. المشكلة لم تكن تخص يسوع فحسب لكن المشكلة هى فى عقيدتهم وإيمانهم الذى لا يستطيع أن يفهم لأن بولس الرسول قال: "َلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (1كو12: 3).

لقد كان الوضع سيئًا جدًا لأن رئيس الكهنة نفسه لم يكن يؤمن بالقيامة وكان من شيعة الصدوقيين، لذلك قال لهم السيد المسيح: "تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللَّهِ" (مت22: 29).

بالرغم من أن الفريسيين يؤمنون بالقيامة إلا أنهم تركوا قيافا رئيس الكهنة، وذلك بسبب المصالح المشتركة فى تكوين ثورة ضد الرومان. وعندما روى الحراس الذين كانوا يحرسون القبر المقدس ما حدث فى القيامة وكان يثبت أن المسيح قام من الأموات كان ذلك بالنسبة لرؤساء الكهنة كارثة مضاعفة: فمن ناحية هم أصلاً لا يؤمنون بالقيامة، ليس فقط قيامة يسوع ولكن قيامة أى شخص والقيامة الأخيرة. ومن ناحية أخرى قالوا: "تُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هَذَا الإِنْسَانِ" (أع5: 28)، لأنهم أجرموا عندما قتلوا السيد المسيح، فقاوموا الحقيقة التى وصلت إليهم. ونحن نقصد هنا القيادات التى استمرت فى طغيانها وغيّها، ودبرت المؤامرة وتجاهلت كل النبوات الموجودة فى الأسفار المقدسة. لذلك عندما أراد السيد المسيح أن يذكّرهم وقال على الصليب: "إِلَهِي! إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي" (مت27: 46)، لكى يتأملوا فى المزمور الثانى والعشرين الذى يقول: "جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي، ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ" (مز22: 16)، نجدهم يقولون: "إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا" (مت27: 47)، حيث إن السيد المسيح كان يتكلم باللغة الأرامية فقال: "ألوى ألوى لما شبقتنى" فكلمة "ألوى" تشبه كلمة "إيليا"، بينما يعرف اليهود أن ترجمة عبارة ألوى ألوى هى: "إلهى إلهى" وهى بداية المزمور الثانى والعشرين، ولكنهم لا يريدون أن يقبلوا الحق فاتجاه تفكيرهم هو فى الاتجاه الخاطئ دائمًا.

لابد أن نفهم فى بداية رحلة الآلام أو بعدها بقليل أن هؤلاء الناس لا يؤمنون بالقيامة والحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالقيامة والحياة الأبدية يكون رجاؤه كله على الأرض.. فى المادة.. فى الجسد.. فى المجد الأرضى. ليس مجد الله، ولكن مجد إسرائيل كدولة وكيان أرضى. ولذلك باعوا كل شيء فى مقابل هذا الأمر، وأعميت أعينهم عن أن تتطلع نحو الحق الذى جاء كنور للعالم كله وقال: "حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ" (يو9: 39).

نصيحة روحية

🕆 لابد أن يراجع كل منّا نفسه هل هو يقاوم الحق؟! إذا أعلن له الرب حق ما؛ فهل يحاول الهروب منه؟ وإذا وضع الله أمامه مبدًأ روحيًا هل يحاول أن يعمل عكسه؟

إن المبدأ الروحى والسلوك الفعلى هى أمور تحتاج إلى مراجعة.

🕆 المبدأ الروحى واضح: "**مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ**" (مت23: 12)، أن تجلس فى المتكأ الأخير "**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا**" (مت20: 26).

🕆 والمبدأ الروحى **فى المحبة** واضح.. لا يليق أن يبرر الإنسان نفسه كلما تعرّض لموقف تاركًا المبدأ الروحى، وتعاليم الكتاب المقدس، وتعاليم السيد المسيح، وتعاليم الرسل محتجًا بأن هذا ليس زمانها.

🕆 لابد لأن تفكروا هل أنتم تقبلون **صوت الحق** فى داخلكم أم لا: "لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا" (1كو11: 31).

يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة

كرسيك يا الله إلى دهر الدهور

من أهم ساعات البصخة اليوم هى **الساعة الحادية عشر من يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة** الذى يقال فيه لحن **بيك إثرونوس** وهو مزمور "**كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك**" (نفس اللحن يقال فى الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة العظيمة) فما السبب فى ذلك؟ ولماذا وضعت الكنيسة هذا المزمور مع فصل من إنجيل معلمنا متى الإصحاح الخامس والعشرين والسادس والعشرين؟

السبب هو أن السيد المسيح فى كلامه فى هذه الفقرة يقول:

"وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ **فِي مَجْدِهِ** وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ **فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ**. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ. فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ **الْمَلِكُ** للَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ: **يَا رَبُّ** مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ **الْمَلِكُ**: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ. ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا للَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ. لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضًا: **يَا رَبُّ** مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطْشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ عُرْيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فَيُجِيبُهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (مت25 :31- 46).

يتكلم السيد المسيح عن نفسه ويقول: "وَمَتَى جَاءَ **ابْنُ الإِنْسَانِ**"، ثم يقول: "**يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ**"، ويقول أيضًا: "ثُمَّ يَقُولُ **الْمَلِكُ** للَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ" إذًا هو يقول عن نفسه إنه **الملك**.

لقد ذُكرت هذه العبارة على فم السيد المسيح عن مجيء ابن الإنسان فى نهاية العالم مرتين فى إنجيل متى؛ الأولى فى قوله: "لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ فَإِنَّ **ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ** وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ" (مت16: 26، 27)، والثانية: "وَمَتَى جَاءَ **ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ** الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ..." (مت25: 31، 32).

يأتى ابن الإنسان فى مجده وفى مجد أبيه

لقد استخدم السيد المسيح لقب ابن الإنسان وهو يتكلم عن شيء يخص مجده، فقال: "َمَتَى جَاءَ **ابْنُ الإِنْسَانِ** **فِي مَجْدِهِ**" أو "**ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي** **فِي مَجْدِ أَبِيهِ**". وعبارة "مجد أبيه" تعنى "مجد الله الآب"، لذلك كنا نتخيل أن يقول مثلاً "متى جاء ابن الله" أو "أن ابن الله سوف يأتى فى مجد أبيه"، ولكنه قال: "**ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ**". لقد استخدم لقب "ابن الإنسان" بدلاً من لقب "ابن الله"؛ بل فى نفس الموقف الذى ذكر فيه ما معناه بوضوح أنه هو ابن الله؛ لأنه عندما يقول "مجد أبيه" هو يعنى أباه السمائى بمعنى أنه هو ابن الله، وكل ذلك لكى يؤكّد أن ابن الإنسان هو ابن الله.

من الأشياء الهامة إنه فى إنجيل متى ذكر مرة "ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي **فِي مَجْدِ أَبِيهِ** مَعَ مَلاَئِكَتِهِ" (مت16: 27)، وفى مرة أخرى قال: "وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ **فِي مَجْدِهِ**" (مت25: 31)، وليس فى مجد أبيه.. وكان يتكلم عن نفس الموقف لأنه يقول: "يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ" (مت16: 27)، أو يتكلم عن تمييز الشعوب إلى عذاب أبدى أو إلى حياة أبدية "فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (مت25: 46)، فهو يتكلم فى كلا الموضعين عن مجيئه فى اليوم الأخير أى المجيء الثانى، **وهذا يوضح أن مجده هو مجد أبيه**.

فى المرة الأولى حينما قال: "**مَجْدِ أَبِيهِ**" كان يتدرج بالشعب لكى يُدرك أن مجده هو مجد أبيه. ولكن عندما اقترب من الصلب والقيامة والصعود بدأ يقول: "**فِي مَجْدِهِ**" هو نفسه. ومن الجميل أن نخرج من العبارتين **بأن مجد الآب هو نفسه مجد الابن.**

ملائكته

ملاحظة أخرى أنه يقول: "فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ" (مت 25) ويقول: "**فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ**" (مت 16)، فهو يسمى الملائكة ملائكته. إذن ملائكة السماء هم ملائكة السيد المسيح كما أنهم ملائكة الآب. وهو نفسه قال ليشوع ابن نون: "**أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ**. الآنَ أَتَيْتُ. فَسَقَطَ يَشُوعُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ" (يش5: 14). وهذا لا يعنى أنه من الملائكة الخدام للرب، ولكنه هو "**رئيس جند الرب**" لأنه هو ملك الملوك ورب الأرباب، فهو القائد الأعلى للقوات السمائية. لذلك أمر يشوع أن يخلع نعليه (انظر يش5: 15)، مثلما قال لموسى عندما ظهر له فى نار العليقة.

بعد أن حل الشيطان من سجنه: "حَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ. وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ، وَلَمْ يَقْوُوا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ" (رؤ12: 7، 8). فبعد أن يحل الشيطان من سجنه قرب نهاية العالم سوف يحاول أن يغزو السماء. لكن لأن السيد المسيح لا يضع نفسه فى مستوى الشيطان أمر ميخائيل أن يخرج ليحاربه. فخرج ميخائيل بجيشه وحاربوا التنين وغلبوه وقالوا: "الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ" (رؤ12: 10). هذه الأحداث جميعها كانت فى السماء. وقالوا أيضًا: "وَيْلٌ لِسَاكِنِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ، عَالِمًا أَنَّ لَهُ زَمَانًا قَلِيلاً" (رؤ12: 12). وهذه هى مرحلة ظهور الوحش والارتداد ونهاية العالم.

لن يخرج وقتها السيد المسيح لكى يحارب الشيطان لأن هذا ليس مستواه، لذلك يقول معلمنا بولس الرسول عن مجيء السيد المسيح فى نهاية العالم لإبادة الوحش الذى بداخله إبليس "الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ" (2تس2: 8)، أى أنه بنفخة واحدة يباد الوحش وإبليس والنبى الكذاب.

ولكن لماذا حارب السيد المسيح الشيطان وهو على الأرض؟

ذلك لأنه حينما جاء على الأرض جاء ليخلصنا نحن، وقيل عنه: "لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ وَإِذْ وجد في الهَيْئَةِ كإِنْسَانٍ، وضع نفسه، وأطاع حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتِ الصَّلِيبِ" (في2: 7، 8). ولذلك قال للآب قبل الصلب: "أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ" (يو17: 4، 5).

لقد قبل السيد المسيح وهو على الأرض أن يدخل فى صراع مع الشيطان ليس من حيث إنه يضع نفسه فى مستوى الشيطان، إطلاقًا، وإنما لأنه فى هذا الوضع كان قد وضع نفسه فى دائرة الإخلاء، وصار قابلاً أن يكون اسمه آدم الثانى. لقد جاء ليسجل انتصارات على الشيطان لحساب الجنس البشرى الذى سوف يؤمن به، جاء ليسجل انتصارات لحسابنا فى جسم بشريته. ولكن بعد أن رُفع فى المجد وجلس عن يمين الآب، لم يعد يقبل أن يدخل مع الشيطان فى منازلة الند للند على الإطلاق، لأنه بعمل الفداء هو أعلن حب الله، ورد على افتراءات إبليس بأن الله قد خلق الخليقة لكى يذّلها، فكأنه يقول له أنت الذى تقوم بإذلال البشرية بالخطية، أما أنا فقد قبلت من أجل البشرية أن أهان، وأقيد، وأسمّر لكى أحررها. أنا إله الحرية وأنت سيد العبودية، أنا إله المجد وأنت سيد العار، أنا الحق وأنت الكذب.

إن مرحلة أن السيد المسيح يخلى نفسه ويأخذ صورة العبد ويقبل أن يحمل خطايانا، هذا كله هو بدافع حبه لنا ولإدانة الخطية ولإيفاء العدل الإلهى حقه. أما فى المجيء الثانى فسوف يقول أتباع الشيطان: "لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ اُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ" (رؤ 6: 16، 17). كذلك سوف يكون هناك رعب فى مملكة إبليس. وسوف يلقى السيد المسيح الشيطان والوحش والنبى الكذاب فى جهنم الأبدية (انظر رؤ20: 10).

يقول السيد المسيح: "لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلاِبْنِ. لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الاِبْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الاِبْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ" (يو5: 22، 23). يجب أن يأخذ الابن وضعه، ويعرف الجميع كرامته ومقداره، بما فى ذلك إبليس والوحش والنبى الكذاب وكل من يحب ويصنع شرًا، لأن الكل سوف يكون خاضع بعنق العبودية تحت خضوع قضيب ملكه.

لقد كتب: "وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ **فِي مَجْدِهِ** وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ **يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ**" (مت25: 31)، وهو هنا لم يقل فقط أن "**يأتى فى مجده**" بل "**يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ**". ولهذا فقد رتبت الكنيسة فى الساعة الحادية عشر من يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة أن تقول له: "**كرسيك يا الله** الى دهر الدهور قضيب استقامة هو قضيب ملكك".

إن الكنيسة فى نظرة واعية ومدركة تذكر هذا الموقف قبل موقف الصلب الذى سوف نقول فيه أيضًا لحن بيك إثرونوس (كرسيك يا لله إلى دهر الدهور) لأن "الرب ملك على خشبة" (مز95: 10) حسب الترجمة السبعينية.

هذا لئلا تأتى غشاوة على أى عقل وينظر للصليب بما فيه من عار ومهانة ومذلة وينسى أن من نقول له "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" وهو على الصليب، هو نفسه الذى سوف يأتى ليجلس على عرش مجده ويدين العالم بأكمله. ولهذا فقد أعدت الكنيسة لنا فى يوم الثلاثاء الحدث الذى لم يكن قد حدث بعد، قبل أن يحدث فعليًا لترفع عقولنا إلى مشهد المجد العظيم، لكى عندما نقول له "لك القوة والمجد والبركة" نقولها ونحن متشبعين بفكرة أن الذى نقول له إنه "ملك على خشبة"، هو نفسه سوف يجلس على عرش مجده ويدين العالم كله.

أهمية الأعمال

هناك فقرات كثيرة فى الكتاب المقدس تتحدث عن أهمية الإيمان والخلاص بالمعمودية والإيمان بالمسيح كشرط للحياة الأبدية، ولكننا هنا أمام حدث يهز مشاعرنا وهو أن السيد المسيح فى هذا الشرح وهو يتكلم عن نهاية العالم ركز على ما عمله الناس، وهذا ما لخّصه فى قوله: "وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ" (مت16: 27). وقد قال السيد المسيح أيضًا: "منْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ" (مر16: 16). وقال يوحنا المعمدان: "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ والَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ" (يو3: 36).

هناك عبارات كثيرة تتحدث عن الإيمان ولكن عندما تحدث السيد المسيح عن مثل العبد الوكيل؛ قال إنه إن لم يكن أمينًا فى الوكالة: "يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا فَيَشقهُ من وسطه وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ" (لو12: 46). هو هنا يتكلم عن شخص يعتبر نفسه مؤمنًا.. ولكن السيد المسيح فى حديثه عن نهاية العالم ومجيئه فى مجده لم يذكر الإيمان مطلقًا ولكن قال: "لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ" (مت25: 36)، "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت25: 40).

هذه الفقرة موجهة إلى المؤمنين وليس لغير المؤمنين.. فهو لم يطالب غير المؤمنين أن يكسوا عريانًا أو يشبعوا جائعًا لأن غير المؤمنين مطالبون أولاً بالإيمان أو الخلاص بالإيمان والمعمودية. ولكن هو هنا يخاطب المؤمنين ويقول: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ".

إذن السيد المسيح قد أوضح فى هذه الأحاديث عن أهمية الأعمال الصالحة، وخاصة العناية بالفقراء والمرضى وكل من هم فى ضيقة، واعتبر أن من يخدمهم يخدمه هو شخصيًا، ومن يهملهم فقد أهمله هو شخصيًا.

الرهبان والخدمة

يحارَب كثير من الرهبان بأنهم بعد ترك العالم لن تكون لهم فرصة لخدمة الفقراء. نحن نقوم بدلاً عنهم بهذه المأمورية، أما الرهبان والراهبات فعليهم أن يصلوا من أجل الكنيسة والخدمة. فهناك طغمة من الملائكة محيطة بالعرش مثل الأربعة أحياء غير المتجسدين؛ هؤلاء ليس دورهم أن يحاربوا إبليس وإنما الملاك ميخائيل لديه جيش من الملائكة تحارب معه، أما الأربعة أحياء غير المتجسدين فكل وظيفتهم هى أن يسبحوا الرب. وكذلك الأربعة وعشرون سفيرًا أو شفيعًا لا يتركون موقعهم من رفع صلوات القديسين وذلك لكى يحاربوا إبليس، هذه ليست وظيفتهم. وموسى النبى كان يصلى على الجبل وكلما خفض يديه كان الشعب ينهزم، وبمجرد أن يرفع يديه بالصلاة كان الشعب ينتصر، حتى احتاج لاثنين يحملون يديه وهو يصلى لكى لا ينهزم الشعب.

إن خدام الله هم طغمات أنواع.. فمنهم من يصلى ويسبح ومنهم من يخدم..

هنا ولن أذكر مرثا وقت أن وبَّخها السيد المسيح كمثال للخدام؛ لأن مرثا وقتها كانت تهتم بالمطبخ وأعمال المنزل وليس بخدمة الكلمة أو بالخروج للخدمة والتبشير. فمرثا لا تمثل الخدام، بل الخدام والرهبان مثل مريم اختاروا النصيب الصالح. ومريم هى نوعان: واحدة كانت تجلس عند قدمى السيد المسيح لتسمع تعليمه، والثانية تسكب الطيب عند قدمى السيد المسيح وتمسحهما بشعر رأسها، أى تعمل عملاً وليس مجرد سماع. مرثا بعد ذلك كان لها دوراً رائعاً فى قيامة لعازر من بين الأموات، وقال لها السيد المسيح: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. **أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا، قَالَتْ لَهُ: نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ**" (يو11: 26، 27). وفى هذا الوقت لم تكن تعمل فى المطبخ بل ساهمت فى الأحداث الهامة التى سبقت وصاحبت إقامة لعازر من الأموات. وهذه تعتبر خدمة بلا شك، أما خدمة المطبح فهى خدمة ثانوية، وليست هى مثل خدمة الكهنة والأساقفة وخدام الكلمة والمبشرين.

البعض يقولون إن مرثا تمثل الخدام والكهنة والأساقفة ومريم تمثل الرهبان، فهل نصنف معلمنا بولس الرسول أنه تبع خدمة المطبخ مع مرثا!؟! لقد عاش معلمنا بولس الرسول ثلاث سنوات فى البرية، ولكنه قضى بعد ذلك عمره كله فى الكرازة.

إن الراهب الذى يعمل بيديه فى قلايته يساهم فى خدمة الفقراء، حتى إن لم يكن هو الذى يفتش عنهم بل الخدام الذين يقومون بهذا الدور. والراهب الذى يصلى من أجل الكنيسة والخدمة يسند الخدام الذين يكافحون ضد الشيطان حتى يُحضروا الناس لله. فيقول معلمنا بولس الرسول: "مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي، **لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَارًا بِسِرِّ الإِنْجِيلِ**" (أف6: 18، 19).

إن لم يكن هناك من يصلى فى الكنيسة فياللحزن عليها. إن حياة التسبيح والصلاة هى جزء لا يتجزأ من حياة الكنيسة. فمن خدام الله من يصلى ومنهم من يكرز..

فى حياة الرهبنة هناك من يتعرض للمرض داخل الدير، وهناك من يحتاج إلى عناية خاصة، وهنا يأتى دور الخدمة داخل الدير. فحتى فى حياة الرهبنة، تُتاح للإنسان فرص لتنفيذ الوصية ولكن على نطاق أضيق، لأن عدد الفقراء والمرضى والجائعين والمعوزين خارج الدير أكثر ممن فى الدير.

الأعمال الصالحة شرط لميراث الحياة الأبدية

ولكن لنرجع الى الموضوع الرئيسى وهو حديث السيد المسيح فنجده يخاطب المؤمنين. **فالأعمال الصالحة هى من** **شروط ميراث الحياة الأبدية. فالخلاص ليس** **بالإيمان فقط**. لذلك يقول معلمنا يعقوب الرسول: "**أرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي**" (يع2: 18). يجب أن يكون الإيمان عاملاً بالمحبة. والأعمال تدل على أن الإيمان صحيح، ومؤيد بمعونة من الروح القدس.

لازلت أقف مبهورًا أمام هذا الحديث للسيد المسيح الذى ركز فيه جدًا على خدمة المحتاجين.. فهو لم يذكر الاهتمام ببناء الكنائس أو الأديرة ولا المؤسسات، ولا حتى على الوعظ، إنما كان تركيز السيد المسيح على أن يأكل الجائع، ويروى العطشان، ويكسى العريان، ويزار المريض، ويهتم بالمحبوس. كما أنه لم يذكر الإيمان لأنه كان يناقش المؤمنين الذين قالوا له "يا رب".

بعد أن يذكر أن الملك يجلس على عرشه المجيد فى وضع مهيب نجد أن كل كلامه هو عن الفقراء والمحتاجين والمرضى والمحبوسين.

علاقة أحداث ثلاثاء البصخة بالمزمور 109

هنا يستوقفنى جزء من المزمور 109، فما هى علاقة ثلاثاء البصخة بالمزمور 109؟

إن ثلاثاء البصخة يرتبط بهذا المزمور ارتباطًا وثيقًا لأنه يتحدث عن يهوذا الإسخريوطى:

"فَأَقِمْ أَنْتَ عَلَيْهِ شِرِّيرًا وَلْيَقِفْ شَيْطَانٌ عَنْ يَمِينِهِ. إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِبًا وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً. لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً **وَوَظِيفَتُهُ، لِيَأْخُذْهَا آخَرُ**. لِيَكُنْ بَنُوهُ أَيْتَامًا وَامْرَأَتُهُ أَرْمَلَةً. لِيَتِهْ بَنُوهُ تَيَهَانًا وَيَسْتَعْطُوا وَيَلْتَمِسُوا خَيْرًا مِنْ خِرَبِهِمْ. لِيَصْطَدِ الْمُرَابِي كُلَّ مَا لَهُ وَلْيَنْهَبِ الْغُرَبَاءُ تَعَبَهُ. لاَ يَكُنْ لَهُ بَاسِطٌ رَحْمَةً وَلاَ يَكُنْ مُتَرَغِّفٌ عَلَى يَتَامَاهُ. لِتَنْقَرِضْ ذُرِّيَّتُهُ. فِي الْجِيلِ الْقَادِمِ لِيُمْحَ اسْمُهُمْ. لِيُذْكَرْ إِثْمُ آبَائِهِ لَدَى الرَّبِّ وَلاَ تُمْحَ خَطِيَّةُ أُمِّهِ. لِتَكُنْ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِمًا وَلْيَقْرِضْ مِنَ الأَرْضِ ذِكْرَهُمْ. **مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً بَلْ طَرَدَ إِنْسَانًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ لِيُمِيتَهُ"** (مز109: 6-16).

كل هذا.. كل ما فى الآيات من 6-15 قيل عن سببها "أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً بَلْ طَرَدَ إِنْسَانًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا". لقد كان يهوذا يسرق أموال الفقراء فقيل عنه: "قَالَ هَذَا **لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ**" (يو12: 6). كل هذا قيل عن يهوذا وذكرت أيضًا خطايا أبويه.

إن من يسرق أموال الفقراء ولا يبالى بهم من الممكن أن يبيع السيد المسيح نفسه أيضًا لأنه قال: "**بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ**" (مت25: 40). أما يهوذا فلم يفعلها مع أحد الفقراء وإنما مع رب الفقراء نفسه. قيل "أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً بَلْ طَرَدَ إِنْسَانًا مسْكِينًا وَفَقِيرًا، **وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ لِيُمِيتَهُ**" (مز109: 16).

وهنا يتبادر السؤال التالى إلى الأذهان: **من الذى طرده يهوذا وكيف طرده؟**

للإجابة نقول إنه عندما أسلم يهوذا يسوع إلى اليهود يعتبر هذا طرد، فقد طردوه من وسط الجماعة وأسلموه إلى الرومان، لذلك يقول "بَلْ طَرَدَ إِنْسَانًا مسْكِينًا وَفَقِيرًا وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ **لِيُمِيتَه**". إن من يهمل مريضًا يعرّضه للموت، ومن يهمل جائعًا يعرّضه للموت جوعًا.

يكمل المزمور: "وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ. وَلَبِسَ اللَّعْنَةَ مِثْلَ ثَوْبِهِ فَدَخَلَتْ كَمِيَاهٍ فِي حَشَاهُ وَكَزَيْتٍ فِي عِظَامِهِ. لِتَكُنْ لَهُ كَثَوْبٍ يَتَعَطَّفُ بِهِ وَكَمِنْطَقَةٍ يَتَنَطَّقُ بِهَا دَائِمًا. هَذِهِ أُجْرَةُ مُبْغِضِيَّ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأُجْرَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ شَرًّا عَلَى نَفْسِي. أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ السَّيِّدُ فَاصْنَعْ مَعِي مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ. لأَنَّ رَحْمَتَكَ طَيِّبَةٌ نَجِّنِي. فَإِنِّي فَقِيرٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا وَقَلْبِي مَجْرُوحٌ فِي دَاخِلِي. كَظِلٍّ عِنْدَ مَيْلِهِ ذَهَبْتُ. انْتَفَضْتُ كَجَرَادَةٍ. رُكْبَتَايَ ارْتَعَشَتَا مِنَ الصَّوْمِ وَلَحْمِي هُزِلَ عَنْ سِمَنٍ. وَأَنَا صِرْتُ عَارًا عِنْدَهُمْ. يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَيُنْغِضُونَ رُؤُوسَهُمْ. أَعِنِّي يَا رَبُّ إِلَهِي. خَلِّصْنِي حَسَبَ رَحْمَتِكَ. وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ هِيَ يَدُكَ. أَنْتَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ هَذَا. أَمَّا هُمْ فَيَلْعَنُونَ وَأَمَّا أَنْتَ فَتُبَارِكُ. قَامُوا وَخَزُوا أَمَّا عَبْدُكَ فَيَفْرَحُ. لِيَلْبِسْ خُصَمَائِي خَجَلاً وَلْيَتَعَطَّفُوا بِخِزْيِهِمْ كَالرِّدَاءِ. أَحْمَدُ الرَّبَّ جِدّاً بِفَمِي وَفِي وَسَطِ كَثِيرِينَ أُسَبِّحُهُ. لأَنَّهُ يَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْمسْكِينِ لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الْقَاضِينَ عَلَى نَفْسِهِ" (مز109: 17-31). أى يقيمه من الأموات.

ومما يثبت أن هذا المزمور هو عن يهوذا؛ أن معلمنا بطرس الرسول اقتبس منه عندما وقف بعد صعود السيد المسيح ليتكلم عن أن يهوذا هلك وضاع وأننا سوف نختار آخر بدلاً منه. فقال: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ **كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ عَنْ يَهُوذَا** الَّذِي صَارَ دَلِيلاً للَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ. إِذْ كَانَ مَعْدُوداً بَيْنَنَا وَصَارَ لَهُ نَصِيبٌ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ. فَإِنَّ هَذَا اقْتَنَى حَقْلاً مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسَطِ فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا. وَصَارَ ذَلِكَ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ حَتَّى دُعِيَ ذَلِكَ الْحَقْلُ فِي لُغَتِهِمْ حَقْلَ دَمَا، **لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ: لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آَخَرُ**" (أع1: 16-20). وهذه الآية الأخيرة مقتبسة من مزمور 109: "**لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ**" (مز 109: 7).

ولئلا يقول قائل إن اليهود -أعداء المسيح- ويهوذا قد تسببوا فى إتمام الفداء فلماذا نلومهم؟ للرد نقول إن هناك آية هامة جدًا فى هذا المزمور تقول: "**وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ هِيَ يَدُكَ. أَنْتَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ هَذَا**. أَمَّا هُمْ فَيَلْعَنُونَ وَأَمَّا أَنْتَ فَتُبَارِكُ. قَامُوا وَخَزُوا أَمَّا عَبْدُكَ فَيَفْرَحُ لِيَلْبِسْ خُصَمَائِي خَجَلاً وَلْيَتَعَطَّفُوا بِخِزْيِهِمْ كَالرِّدَاءِ" (مز109: 27-29). بمعنى أن الله هو الذى دبّر الخلاص وأدان الخطية وقام الأشرار بدورهم لتفتضح خطاياهم ويصيروا عبرة.

هناك عبارات كثيرة هامة فى هذا المزمور مثل "**وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ** وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ. وَلَبِسَ اللَّعْنَةَ مِثْلَ ثَوْبِهِ فَدَخَلَتْ كَمِيَاهٍ فِي حَشَاهُ وَكَزَيْتٍ فِي عِظَامِهِ" (مز 109: 17، 18).

يقول معلمنا بطرس الرسول: "فَإِنَّ هَذَا اقْتَنَى حَقْلاً مِنْ أُجْرَةِ الظُّلْمِ وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسَطِ فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ: لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آَخَرُ" (أع1: 18، 20)، وأخيرًا قال الرسل عمن سوف يختاروه "لِيَأْخُذَ قُرْعَةَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ وَالرِّسَالَةِ الَّتِي تَعَدَّاهَا يَهُوذَا لِيَذْهَبَ إِلَى مَكَانِهِ" (أع1: 25). وعبارة "مكانه" تعنى مكانه فى الهاوية أو فى الجحيم.

كتبت عبارة هامة جدًا فى سفر الأعمال وهى "وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسَطِ فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا. **وَصَارَ ذَلِكَ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ** حَتَّى دُعِيَ ذَلِكَ الْحَقْلُ فِي لُغَتِهِمْ حَقْلَ دَمَا" (أع1: 19). فعند كتابة سفر الأعمال كان انتحار يهوذا معلومًا فى كل أورشليم، فهو انتحر ولم يصلب؟ إن كان هو الذى صلب كما يقول البعض إذن من الذى انتحر؟ ويذكرها معلمنا بطرس الرسول ومعلمنا لوقا الرسول فى سفر أعمال الرسل، وتوزع فى العالم كله أن "َصَارَ ذَلِكَ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ". فلماذا لم يكذب اليهود هذا الخبر؟

إن يهوذا لم ينتحر فقط وإنما عندما ربط نفسه فى عملية الشنق يبدو أنه كان على حافة الجبل فعندما قطع الحبل الذى شنق به نفسه، سقط من العلو فانسكبت أحشاؤه كلها. أى انفجرت بطنه فخرجت أحشاؤه، فهو ليس انتحارًا طبيعيًا ودفن بواسطة خمسة أو ستة أفراد؛ بل كان منظرًا مروعًا. هذا مثلاً مثلما يدهس ترام شخصًا وتكون جموع كثيرة شاهدة على الحادث.

بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ

من الأمور الهامة جدًا فى كلام السيد المسيح قوله: "فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت25: 40). لم يكتف السيد المسيح بالجياع والعطاش فقط، وإنما اهتم أيضًا بالمرضى، وأيضًا ذكر المحبوسين. فهناك من سجنوا ظلمًا من أجل الإيمان. نحن نعلم أن القديس يوليوس الأقفهصى مثلاً كان يعتنى بالشهداء وهم فى السجن وكان يعتنى بأجسادهم بعد استشهادهم، وفى أثناء تعذيبهم كان يخفف عن آلامهم ويهتم بزيارتهم وكتابة سيرهم العطرة، حتى أصبح فى النهاية هو أيضًا من الشهداء.

لقد نبّه قداسة البابا شنودة الثالث أعضاء المجمع المقدس العديد من المرات أن يهتموا بالفقراء أكثر من بناء الكنائس. لا مانع من بناء الكنائس ولكن الفقراء أهم، لأن كل فرد من الفقراء هو كنيسة، وهو أيقونة مدشنة، وهيكل، لأن الكتاب يقول: "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ" (1كو 3: 16). **إن بناء النفوس والاهتمام بها أهم بكثير من بناء المبانى.**

أما من يكنز الأموال ويهتم بالمفروشات والصالونات المذهبة فهو لا يشعر بغيره من الفقراء والمحتاجين. يجب على كل إنسان أن يفكر ويتساءل قبل أن يستخدم المال فى أى شيء: لماذا وضع الرب فى يده هذه الأموال؟

مثال لذلك: أتعجب حينما أجد شخصًا يملك ڤيلا جميلة وعلى مستوى جيد جدًا، ثم أُفاجأ به يكسر حوائطها، ثم يقول إن لون الرخام غير ملائم للون الصالون، فيستبدل الرخام برخام جديد، أو يستبدل البلاط بسيراميك، إن هناك ما يحرك بعض الناس لتبديد المال مع أن غيرهم يموتون جوعًا.

إن العلاج هو علاج الإنسان الداخلى بمعنى أن ننزع الأنانية. والحل هو فى نصائح الملك المسيح فى "لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ" (مت25: 34- 36).

ثم يكمل ذاكرًا تحذيرًا خطيرًا جدًا وهو "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ **بِأَحَدِ** إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت25 :40). فحتى إن خدم أحد آلاف الفقراء لكنه أهمل فقيرًا واحدًا وقسى قلبه تجاهه فسوف تحسب عليه هذه الحالة لأنه يقول: "**أَحَدِ** إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ"، طبعًا لا نقصد هنا إن كان الأمر غصبًا عن الشخص أو نتيجة أنه لم يلحظ.

إن المسيحى الحقيقى يجب أن يتعامل مع كل إنسان بمفرده ويقول إن كان هذا هو يسوع المسيح كيف كنت أتعامل معه سواء فى أسلوب التخاطب، أو فى أسلوب التعامل، أو فى أسلوب الحكم على الناس، سواء فى أسلوب إعاشة الناس، أو تمريضهم. يسأل الإنسان نفسه: إذا كان هذا الشخص هو يسوع ماذا كنت أفعل معه؟

لكن للأسف هناك أناس لا يحنن قلوبهم ولا حتى السيد المسيح شخصيًا. وهذا ما حدث مع يهوذا الإسخريوطى الذى لم يفعل بأحد إخوته الأصاغر وإنما فعل معه هو شخصيًا لكى يكون يهوذا قمة الظلم والقسوة وعدم المحبة فى تاريخ البشرية.

فقيل عنه "لِيُذْكَرْ إِثْمُ آبَائِهِ لَدَى الرَّبِّ وَلاَ تُمْحَ خَطِيَّةُ أُمِّهِ" (مز109: 13، 14) لأن أمه وآباءه لم يغرسوا فيه العطف على المسكين، وسوف يظل هو المثل الأعلى فى الخيانة وعدم الرحمة.. ولكن فلنحترس لأن السيد المسيح قد وسّع الدائرة وقال "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت25: 40).

لذلك قلنا لحن "بيك إثرونوس" اليوم حتى يملك السيد المسيح على قلوبنا بهذه الأفكار المقدسة،فنعيد معه عيدًا يفرّح قلبه ولا نغضبه..

كثيرون يغضبون الله فى العيد بكثرة الإسراف والبذخ والمظاهر العالمية متجاهلين من يعانى ويقاسى. هذا لكى نعيّد بطريقة سليمة مع القديسين.

**ليلة الخميس من البصخة المقدسة**

نلاحظ أن الكنيسة قد رتبت فى أسبوع الآلام قراءات متتالية كثيرة من إنجيل القديس يوحنا، وإن كانت أحيانًا تُذكر الأحداث من الأناجيل الأربعة معًا. لكن **أناجيل الباراقليط** التى تقرأ فى ليلة الجمعة هى من إنجيل القديس يوحنا البشير. وأيضًا كثير من أناجيل ساعات ليلة الخميس هى من إنجيل يوحنا.

والملاحظ أن هذه القراءات هى عن **أحاديث قالها السيد المسيح أثناء مناقشته مع اليهود فى الفترة الأخيرة من حياته.** لأنه فى هذه الفترة بدأ يتكلم بأكثر صراحة عما قبل، وكان يعتبر أن هذه التعاليم التى يقولها هى بمثابة الوصايا الأخيرة أو التعاليم الأخيرة التى تسبق صلبه وقيامته من الأموات، خاصة الأناجيل التى نسميها أناجيل الباراقليط (عن الروح القدس المعزّى).

والعجيب فى هذه الأحاديث التى سجّلها القديس يوحنا الإنجيلى، التلميذ الذى كان يسوع يحبه، أنه قد تم تسجيلها حوالى عام 98م أى قرب نهاية القرن الأول الميلادى، وكان هذا الإنجيل هو آخر الأناجيل الأربعة فى كتابته، بينما قيلت هذه الأحاديث عام 34م، والفترة من عام 34م إلى عام 98م هى 64 عامًا.

لقد سمع القديس يوحنا هذا الكلام قبلما كتبه بحوالى 64 عام. وهذا أمر عجيب! لكنه ليس بعجيب لأن السيد المسيح وعد وقال: "وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو14: 26)، فحتى إن مرت أكثر من 64 سنة فإن الروح القدس يستطيع أن يذكّر الإنجيلى بما قاله السيد المسيح، هذا إلى جوار أنه من المؤكد أن الكلام الذى قاله السيد المسيح كان له تأثيره العميق فى نفس القديس يوحنا عندما سمعه. ولكن مهما كانت قوة ذاكرة الإنسان فإنها لا تستطيع استيعاب أحاديث طويلة ودقيقة جدًا وعبارات غاية فى الأهمية كالتى دونها القديس يوحنا.

أمثلة لبعض أحاديث السيد المسيح قبل صلبه بأيام

ورد في إنجيل الساعة الحادية عشر من ليلة الخميس من البصخة: "فَنَادَى يَسُوعُ: الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي، والَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو12: 44، 45). إنها عبارة فى غاية الدقة، والكلمة الواحدة فيها ينتج عنها فرقًا كبيرًا.

هل يؤمن اليهود بإله إبراهيم؟

نلاحظ أن السيد المسيح -بحسب ما كتبه القديس يوحنا-كان يتكلم أمام تلاميذه وأمام اليهود. والمعروف أن كل اليهود يؤمنون بإله إبراهيم لأنهم ليسوا وثنيين. فعبارة "لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو12: 44) مقصود بها: يؤمن بالآب السماوى. وإن كان اليهود قد اختلفوا على الإيمان بالسيد المسيح إلا أنهم لم يختلفوا على الإيمان بإله إبراهيم، فلماذا قال السيد المسيح هذه العبارة للذين يؤمنون بإله إبراهيم؟!!

للرد؛ نقول إن الذين رفضوا السيد المسيح هم فى الحقيقة لا يؤمنون بإله إبراهيم، لأن إله إبراهيم كما عرفه إبراهيم هو **إله الخلاص، وإله العهد، وإله الوعد.** والسيد المسيح نفسه قال لليهود: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يو8: 56)، ثم أكمل قائلاً: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يو8: 58)، "أنا كائن" أو "أنا هو" وهى بالعبرية hy<h.a "إهيه"، وباليونانية  "إيجو إيمى". لقد آمن إبراهيم بالمسيح.

كما ظهر السيد المسيح لهاجر فكُتب: "وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ" (تك16: 10). "مَلاَكُ الرَّبِّ" מַלְאַ֙ךְ יְהוָ֥ה (مل آخ يهوه) هو الذى ظهر لها، لكن بعدما كلمها دعت اسمه: "أَنْتَ إِيلُ رُئِي" أى "أنت إلوهيم منظور لى" (تك16: 13). و"إلوهيم" هو **الله** بالنسبة لليهود. إذن دعت هاجر السيد المسيح "إلوهيم" وقالت "أنت الله".

من هو إله إبراهيم؟.. هل بالاسم فقط أم بالكُنه؟..

إله إبراهيم هو إله الإعلان. ولذلك فإن يعقوب حفيد إبراهيم عندما صارعه السيد المسيح طوال الليل فى صورة إنسان قال: "نَظَرْتُ **اللهَ** وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي" (تك32: 30).

يهوه يُرَى

وعندما قدّم إبراهيم ابنه إسحق ذبيحة على المذبح ومنعه الله، قال الكتاب: "فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ מַלְאַ֙ךְ יְהוָ֥ה" (تك22: 11)، و"مَلاَكُ الرَّبِّ" هو الابن، لماذا؟ لأنه قال لإبراهيم: "الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ **عَنِّي**" (تك22: 12)، الذى كان يخاطب إبراهيم قيل إنه "ملاك الرب" ولكنه ليس ملاكًا عاديًا وإنما هو "سفير يهوه" أى السيد المسيح. لأنه هل يعقل أن يقدّم إبراهيم ابنه إسحق ذبيحة لملاك؟! حاشا! لأن ذلك يكون "شركًا بالله وكُفرًا، لكنه قدّم ابنه للإله الذى يعبده، فقال له: "لَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ **عَنِّي**" وهذا يعنى أن السيد المسيح هو الذى كان يكلمه، وهو الذى كان إبراهيم سيقدّم له ذبيحة ابنه إسحق.

**لكن، هل كلّمه فقط؟!**

يقول الكتاب: "دَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ يَهْوَهْ يِرْأَهْ" (تك22: 14) أى "يهوه يُرى" ومنها أتت كلمة "مُريا" المقطع الأول منها هو فعل الرؤيا والمقطع الثانى "يا" هو مقطع من الاسم يهوه، إذن "جبل المُريا" تعنى "جبل رؤية يهوه"، فعندما تمت أحداث الشروع فى ذبح إسحق وظهور الملاك وفدائه دعا إبراهيم اسم الموضع: "يَهْوَهْ يِرْأَهْ".

وقد كتب موسى النبى بروح النبوة فى سفر التكوين: "فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ **يَهْوَهْ يِرْأَهْ**. حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: فِي **جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى**" (تك22: 14). وعند قراءة أسفار التوراة كان معروفًا أن جبل المُريا هو الجبل الذى قدّم إبراهيم عليه ابنه إسحق، ففى منطقة المُريا يوجد جبل هو الذى قدّم عليه إبراهيم ابنه. وكان بيدر أرنان اليبوسى المكان الذى اختاره الرب لبناء الهيكل فيما بعد، واشتراه داود النبى لكى يُبنى فيه هيكل الرب، وهو فى نفس هذه المنطقة.

"الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي"

لماذا قال السيد المسيح عبارة: "الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي"، وماذا تعنى عبارة أن الذى يؤمن بالمسيح لا يكون قد آمن بالمسيح فقط بل بالذى أرسله؟

اليهود يقولون إنهم يؤمنون بالله، لكن كأن لسان حال السيد المسيح يقول لهم أنتم لستم تؤمنون به، لأنكم لا تؤمنون أنه هو الآب الذى أرسلنى، وهو نفسه الذى أرسلنى لأكلم موسى على الجبل وفى العليقة عند سفح الجبل، أنتم لا تؤمنون أنى مولود من الآب قبل كل الدهور.. فإن لم تؤمنوا بى، فالذى أرسلنى بالنسبة لكم هو مجرد لقب وليس حقيقة.

ولذلك كان القديس بولس الرسول يقول دائمًا: "مُبَارَكٌ اللهُ **أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**" (2كو1: 3)، (2كو11: 31)، (أف1: 3)، (1بط1: 3)، فهو لا يقول فقط أنا أؤمن بإله إبراهيم.

لقد كانت عبارة "إله إبراهيم" تستخدم فى العصور القديمة، أما عندما بدأ يتحدد الإيمان فى المسيحية فقد أصبح "الله الآب" هو: "أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

ليس هناك آب بغير ابن، ولا ابن بغير آب

فى بساطة شديدة جدًا يفهمها أى شخص: إن الذى يؤمن أن هناك ابن فلابد أن يكون هناك أب، ولذلك يقول لهم إن الذى يؤمن أنه هو ابن الله فهو لا يؤمن به كأنه مجرد رسول من الله بل يؤمن أنه ابن الآب، وبالتالى يؤمن أن الله الآب هو حقيقة، وهو أصل الابن، وأصل الروح القدس أيضًا الذى سيتكلم عنه فيما بعد فى أناجيل الباراقليط.

أما من يأخذ العبارة بطريقة سطحية فلا يفهم كيف أن الذى يؤمن بالمسيح لا يؤمن بالمسيح، لأنه قال: "الَّذِ**ي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي** بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي". فما الذى يعنيه بقوله إن الذى يؤمن بالمسيح لا يؤمن به بل بالذى أرسله؟

هو يقصد أنه طالما الإنسان يؤمن أن المسيح هو الابن، فإن الأمر لا يكون مجرد إيمان بأنه الابن فقط، بل إيمان بأنه يوجد آب. ولذلك يقول الآباء القديسون فى شرح عقيدة الثالوث: "**ليس هناك آب بغير ابن ولا ابن بغير آب**".

وقد تناقش أحد الأريوسيين[[1]](#footnote-1) المشهورين واسمه إفنوميوس مع القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات[[2]](#footnote-2)، الذى كتب خمس مقالات لاهوتية مشهورة وهى مطبوعة ومنشورة باسم‘Five Theological Orations. فى هذه المقالات شرح القديس غريغوريوس عقيدة الثالوث بصورة قوية جدًا، وهو مشهود له أنه توسع فى شرح عقيدة الثالوث، لأنه عاصر هرطقة سابيليوس الذى أنكر وجود ثلاثة أقانيم، وهرطقة مقدونيوس الذى أنكر إلوهية الروح القدس.

وقد لفت نظرى عبارة قالها القديس غريغوريوس وهو يناقش إفنوميوس[[3]](#footnote-3) الأريوسى، يقول فيها القديس غريغوريوس لأفنوميوس: "وتسألنى متى وُجد الابن؟ فأقول لك لقد وُجد الابن حينما لم يكن الآب آبًا"... هو يقول "وتسألنى متى وجد الابن؟" لأن الأريوسيين والأفنوميين يدّعون أن الآب أوجد الابن من العدم. أما رد القديس غريغوريوس فليس رأيه وإنما هو يسخر من رأى الأريوسيين والأفنوميين. لقد أراد القديس غريغوريوس أن يقول لأفنوميوس إن معنى عدم وجود الابن أن الآب لم يكن آبًا، ثم فى وقت من الأوقات قرر أن يكون أبًا.

القديس غريغوريوس لا يوافق أن الابن وُجد، لأن الابن لم يُوجده أحد، ولكنه يسايرهم فى الكلام فيقول: "وتسألنى متى وُجد الابن؟ فيقول لقد وُجد الابن حينما لم يكن الآب آبًا".. هو يسخر من الفكرة: إن الآب لم يكن آبًا وفجأة قرر أن يكون أبًا فصار هناك له ابن.. وهذا هو نفس ما يقصده السيد المسيح فى قوله "الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو12: 44).

كيف يؤمن به ولا يؤمن به؟

من يريدون مهاجمة كلام السيد المسيح يدّعون أن الكلام هنا عكس بعضه. بالتأكيد الكلام ليس عكس بعضه، ومن غير المعقول أن يقول السيد المسيح كلام يناقض بعضه، ولكنه يقول أن الذى يؤمن به لا يكون قد آمن به هو وحده، بل يكون قد آمن أن الله آب بما أنه هو الابن. أى أن الذى يؤمن به لا يؤمن به هو فقط بل آمن بالذى أرسله.

ومن هنا يكون قد صنّف اليهود نوعين:

1- نوع يعبد إله يحمل لقب إله إبراهيم، مجرد لقب فقط.

2- نوع يعبد الإله الذى آمن به إبراهيم فعلاً الذى هو أبو ربنا يسوع المسيح.

أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ

فى مرة أخرى فى حوار سابق لهذا الحوار مع اليهود قال نفس المعنى تقريبًا ولكن بطريقة أخرى حيث قال: "إِنْ كُنْتُ أُمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا. **أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ**" (يو8: 54). هو أراد أن يقول لهم كمبدأ إن الذى يمجّد نفسه لن يصدقه أحد. فإن لم يكن الآب نفسه يشهد ويمجد من الذى يصدق؟ ولذلك بعدما قال هذا الكلام قال للآب: "أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ ابنكَ، فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: **مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضًا**، فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا وَسَمِعَ قَالَ: قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ. وَآخَرُونَ قَالُوا: قَدْ كَلَّمَهُ ملاَكٌ" (يو12: 28، 29).

ومعروف أن **الآب مجّد الابن بصور كثيرة جدًا**: مثلاً فى نهر الأردن عندما قال: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت3: 17)، وعلى جبل التجلى، وفى أمور أخرى.

بعد عبارة "إِنْ كُنْتُ أُمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا. **أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي**" قال السيد المسيح لليهود كلامًا خطيرًا جدًا، قال: "**الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ، وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ**" (يو8: 54، 55) يتكلم السيد المسيح عن الآب ويقول أنتم تقولون عنه إنه إلهكم ولكنكم لستم تعرفونه. تُرى هل الأمر يقتصر على أنهم لا يعرفونه أم أن هناك ما هو أكثر من ذلك؟

إِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا

هناك ما هو أكثر بل وأخطر من ذلك وهو: "وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ **أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا**" (يو8: 55)، وبهذا هو يقول لهم إنهم كاذبون. فهل هم كاذبون لأنهم لا يعرفون الآب؟ هو لم يقل أنهم يقولون إنهم يعرفونه، بل قال: "**الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ**" فيكون الكذب هو فى هذا القول الذى قالوه. ثم يقول: "وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا". كاذبًا فى ماذا؟ كاذبًا فيما قالوه.. وما الذى قالوه؟ **قالوا إن إله إبراهيم هو إلههم**.

إذن السيد المسيح يعتبر أن اليهود الذين لم يؤمنوا به لا يؤمنون بالآب السماوى، ليس لأنهم لا يقولون إنه الآب فقط كمجرد لقب، لأن إشعياء قال: "أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا" (إش63: 16)، ولكنه يقصد أنهم لا يؤمنون أنه أبو الكلمة، أبو الابن الوحيد الجنس.

"أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ، وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ": ليت الأمر يقتصر على عدم معرفتهم له لأنهم إن كانوا لا يعرفونه فقط فهذا يعنى أنه تنقصهم بعض المعرفة، ولكنه قال لهم: أنتم تقولون إنه إلهكم، وهذا كذب لأنه ليس إلهكم. أما إذا آمنتم أنه هو أبى وأنه هو الذى أرسلنى؛ فسينفتح أمامكم باب المعرفة كما سبق أن قال: "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الاِبْنَ إِلاَّ الآبُ وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الاِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الاِبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ" (مت11: 27).

**صاح يسوع**

إن بداية هذه الفقرة التى شرحناها عجيب، حيث يقول معلمنا يوحنا الرسول: "فَصاح يَسُوعُ وقال: الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو12: 44) –بحسب نص دلال أسبوع الآلام- من النادر جدًا أن يذكر أن السيد المسيح صاح أى تكلم بصوتٍ عال.

فى القداس الإلهى يُقال "يصرخ الكاهن ويقول: "القدسات للقديسين" ولا يوجد موضع آخر فى القداس الإلهى يقال إن الكاهن يصرخ فيه سوى هذا الموضع.

عندما نادى السيد المسيح لعازر من القبر صاح أيضًا بصوت عظيم: "وَلَمَّا قَالَ هَذَا **صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ**: لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجًا" (يو11: 43)..

وأيضًا على الصليب استجمع آخر نفس وآخر طاقة لديه من حيث جسده، أى من حيث ناسوته، وصرخ أيضًا: "**وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ**: **يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ**" (لو23: 46)..

"**فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ** وَأَسْلَمَ الرُّوحَ" (مت27: 50). وكانت هذه صرخة الانتصار لأنه سلّم روحه الإنسانى المتحد باللاهوت فى يدى الآب، وفى هذه اللحظة تزلزل الجحيم، وانشق حجاب الهيكل، وزالت العداوة بين الله والإنسان، وبدأت المصالحة فورًا بين الله والبشرية، ثم تتابعت الأحداث فيما بعد ذلك القيامة والصعود وإرسال الروح القدس.

إذن هذه الصيحة فى هذا الجزء هى من المرات النادرة التى قيل فيها إن السيد المسيح صاح، مع أنه يقول مجرد كلام، فلماذا يقوله بصوتٍ عالٍ جدًا؟

أنا أعتقد أن القديس يوحنا سجل هذه الصيحة لأنه يريد أن يقول إن **هذه هى صرخة الإيمان لمن يريد أن يسمع**: "مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ" (مت11: 15).

إن صراخ السيد المسيح على الصليب وبالذات فى عبارة: "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي" كان لأنه ليس هناك إنسان منذ آدم وإلى السيد المسيح استطاع أن يصرخ بهذه العبارة، فهى صرخة الانتصار.

كذلك عندما أقام السيد المسيح لعازر من بين الأموات كانت صرخة إعلان أنه هو القيامة والحياة حيث إنه سبق وقال لمرثا أخت لعازر: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يو11: 25)، فهو صرخ لكى يُحضِر روح لعازر من الجحيم من أسفل، ولكى يبيّن أن له مفاتيح الهاوية والموت: "يَفْتَحُ وَلاَ أَحَدٌ يُغْلِقُ، وَيُغْلِقُ وَلاَ أَحَدٌ يَفْتَحُ" (رؤ3: 7).

**أما عن هذه الصيحة فهى صيحة الإيمان**: "الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي"، والعكس من لا يؤمن بى فلم يؤمن بالذى أرسلنى. ومن رآنى فقد رأى الذى أرسلنى: "الَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو12: 45)، كما قال بعدها أيضًا: "الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يو14: 9)..

الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ

ماذا تعنى عبارة "الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ"؟، سنورد أمثلة بسيطة لفهم هذه العبارة، وكذلك ما نقوله للآب فى القداس الإلهى: {فى آخر الأيام ظهرت لنا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت **بالظهور المحيي الذى لابنك الوحيد الجنس**}، وقول بولس الرسول: "اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (1تي3: 16)، وسنعرف من هو الذى ظهر فى الجسد الآب أم الابن؟:

✞ **الفانوس والشعاع**

أى شخص يقود سيارته فى الليل وهناك سيارة مقابلة له تضئ كشافاتها، فنور الكشافات يدخل فى عينيه من فانوس السيارة المضئ. فما الذى يدخل فى عين السائق ويصل إلى الشبكية؟ الذى يدخل فى عينى السائق هو الشعاع المولود من النور، فما الذى يراه السائق الشعاع أم الفانوس؟ **من يرى الشعاع يكون قد رأى الفانوس،** ولكن الفانوس لم يدخل داخل عينيه.

هكذا أرسل الله ابنه إلى العالم، وقال بولس الرسول عن المسيح: "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ" (كو1: 15)، ولذلك قال السيد المسيح: "**الَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي**".

✞ مثال آخر، "**كلمنى فأراك**":

وهو قول أحد الفلاسفة اليونانيين: "كلمنى فأراك". بمعنى أننى غير قادر على رؤية عقلك من الداخل، لكن إذا تكلمت استطيع أن أرى عقلك، لأن كلامك هو صورة عقلك. وفى العامية نقول: إيه كل العقل ده؟!

إذن أنا أرى عقلك بكلمتك، هكذا فإن الله الكلمة (اللوغوس) هو صورة الآب غير المنظور، ومن يرى الكلمة فقد رأى الآب. وعندما قال فيلبس للسيد المسيح: "يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا، قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ" (يو14: 8، 9). وفيلبس لم يكن يقصد أرنا الآب، وإنما يقصد أرنا الله وكفانا، لأنه لم يكن قد فهم بعد كل الأبعاد اللاهوتية للعبارة. والسيد المسيح –وهو هنا لا يقصد أنه هو الآب طبعًا لأنه هو الابن- قال له: "أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" (يو14: 9، 10). السيد المسيح يقصد هنا ألم تعرفنى أننى الله الكلمة؟ فيلبس يقصد أن يقول أرنا الله وكفانا بينما هو قد رأى الله عندما رأى السيد المسيح.

عندما صارع الله يعقوب طوال الليل يقول الكتاب: "فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ قَائِلاً: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي" (تك32: 30)، وفنيئيل تعنى رؤية إيل (إلوهيم) أو رؤية الله، أو ظهور الله.. أنت مسكين يا فيلبس بينما سبقك يعقوب جدك بآلاف السنين إلا أنه عرفنى، أما أنت فإلى الآن لم تعرفنى! يعقوب رآنى ليلة واحدة، ولكن أنا معكم كل هذه السنوات!

معرفة التلاميذ للسيد المسيح تدريجيًا

السيد المسيح جعل التلاميذ يعرفونه بالتدريج قليلاً قليلاً. يؤمنون أولاً أنه هو المسيح، ثم يؤمنون أنه ابن الله الحى، لكن لكى يصلوا لمعرفة أنه هو الله الكلمة الظاهر فى الجسد، ويعرفوا علاقته بالتحديد بالآب وبالروح القدس، هذه قال لهم عنها: "إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ، وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ، ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يو16: 12-14).

"أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ" (يو12: 46). طبعًا السيد المسيح بلا شك هو نور العالم ومن يؤمن به لا يمكث فى ظلمة الجهل لأنه يدخل إلى معرفة الله الحقيقية.

لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ

"وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ" (يو12: 47). **فى المجيء الأول** لم يأتِ ليدين العالم بل ليخلص العالم، أما عن ا**لمجيء الثانى** فقد قيل إن "الآبَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلاِبْنِ" (يو5: 22). فعبارة "لاَ أَدِينُهُ" يقصد بها أنه لا يدينه فى المجيء الأول، لذلك قال: "لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ". والحديث هو عن من لم يؤمن بكلامه ويحفظه. وليس المقصود من قوله "لا أدينه" أى لا يقول له إنه مُخطئ، ولكن الدينونة هنا بمعنى الحكم بالهلاك الأبدى، وهذا ما سيحدث فى المجيء الثانى.

اَلْكلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ

"مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ **فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ**".. عندما يأتى السيد المسيح فى اليوم الأخير سيقول ألم أقل كذا.. وكذا.. وكذا..، وهناك من سمع ما قلته وآخرون لم يسمعوا، ولكن ما قلته كُتب فى الإنجيل، وبشّر به الرسل فى البشارة بالإنجيل، كما يقول القديس بولس الرسول لتيموثاوس: "افْهَمْ مَا أقُولُ... اُذْكُرْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ **بِحَسَبِ إنْجِيلِي**" (2تى2: 7، 8)، مع أن القديس بولس لم يكتب إنجيلاً ولكنه يقصد البشارة التى يبشر بها بموت المسيح وقيامته والمصالحة التى صنعها الآب فى تجسد ابنه الوحيد.

يقول السيد المسيح: "اَلْكلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ"، وهذا يعرفنا أننا فى حاجة لقراءة كلام السيد المسيح بدقة لئلا يكون هناك أمر ما لا نفهمه، وبالأخص إنجيل يوحنا. فالقديس يوحنا قبلما كتب هذا الكلام كان يعلِّم به لكنه كتبه فى النهاية قبل أن ينتقل إلى الفردوس لأنه بعد انتقاله لن يقدر أحد أن يقول الكلام بنفس القوة التى يمكنه هو أن يسجّله بها، ولذلك رمز يوحنا هو النسر الذى يحلّق فى السماويات.

لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي

ثم يقول عبارة عجيبة جدًا: "اَلْكلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هَكَذَا أَتَكَلَّمُ" (يو12: 48-50).

كلام عجيب جدًا!

عندما قرأ أريوس هذا الكلام تعرقل وأضاع نفسه؛ لأنه لم يقرأ ما يسبقه وهو أن "الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو12: 44)، أى أن الذى لا يؤمن بالابن فلن يؤمن بالآب. هذا الجزء كان المفترض أن يضبط فكر أريوس لكنه لم ينضبط، وتعرقل فى الجزء الأخير الذى قال فيه السيد المسيح: "لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هَكَذَا أَتَكَلَّمُ" (يو12: 49، 50).

تُرى لماذا يقول السيد المسيح ذلك وهو الله الكلمة، وهو اللوغوس الذى كُتب عنه: "الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ" (كو2: 3)، فهو نُطق الله العاقل أو عقل الله الناطق.. كيف يقول: "الآبَ هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ"؟

حديث فى منتهى الروعة، لأنه يتكلم مع اليهود ويريد أن يقول لهم: كلامى لم ينل إعجابكم لكن لابد أن تعلموا أن هذا الكلام سيدينكم فى اليوم الأخير، لأنى لم أقله من ذاتى وحدى، بمعنى إنى غير مستقل عن الآب، ولا أتكلم كلام لا يحاسبكم الآب عليه، وإنما هذا الكلام هو مشيئة الآب نفسه: "لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الاِبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يو6: 40) حسبما قال السيد المسيح. من يرفض كلامى لابد أن يفهم أنه يرفض كلام الآب السماوى، ضمنًا وتلقائيًا، لأنى لست أتكلم به من ذاتى.

كان من الممكن أن السيد المسيح يقول: إن الكلام الذى أتكلم به لست أتكلم به من حيث إنسانيتى، كإنسان يعيش فى وسطكم وأنتم ترون إنى إنسان، ولكننى أتكلم به بحسب لاهوتى وبحسب رؤيتى الإلهية ومعرفتى غير المحدودة. لكن السيد المسيح كان يعلم أن هذا الكلام يفوق إدراكهم ويصعب عليهم فهمه، ليس اليهود فقط لكن تلاميذه أيضًا.

هذا الكلام وقتها ربما كان قد يتسبب فى مشكلة أخرى وهى أن يفهمه البعض خطأً باعتباره ازدواجية فى الشخصية كأنه يقول: أنا الآن الإله الذى يتكلم، وبعد قليل أنا الإنسان الذى يتكلم. وإلا كان نسطور سيتهلل، ويجد حجة أن يقول إن المسيح شخصان: شخص إله ساكن فى شخص إنسان.

**فكان السيد المسيح كثيرًا عندما يتكلم عن شيء يخص إلوهيته ينسبه إلى الآب السماوى، من جهة لكى يؤكّد أن الذى يرفض الابن يرفض الآب أيضًا، ومن الجهة الأخرى لكى لا يعطى انطباعًا بوجود ازدواجية،** ولكن كلامه وتعليمه؛ هو نفس كلام وتعليم الآب السماوى.. وصاياه هى وصايا الله الآب.. معجزاته هى عمله كما أنها هى عمل الله الآب.

أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ

يقول أيضًا السيد المسيح: "الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ" (يو14: 10)، بالطبع هو فى الآب والآب فيه إذ قال: "أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" (يو14: 10)، لأن الآب فى الابن والابن فى الآب بسبب وحدانية الجوهر الإلهى. فعندما يقول "الآبَ الْحَالَّ فِيَّ" هذا مؤكّد، لأن الآب فى الابن والابن فى الآب والروح القدس فى الآب وفى الابن وهكذا.. وباختصار فإن الآب فى الابن فى الروح القدس.

حينما قال: "الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ"، قالها لكى لا يقولوا له لماذا تشفى فى السبت. وفى مرة أخرى قال: "**أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ**" فى انسجام harmony.

ولكى لا يقولوا له إنه يفتخر قال: "الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ" (يو12: 49). فإن لم أعلن هذه الحقائق الخطيرة؛ بهذا أكون غير منفذ لوصايا الآب السماوى. فكان لابد أن أعلنها حيث إن وصية الآب هى حياة أبدية، والكلام الذى أقوله هو روح وحياة، فإن لم أقله؛ ستضيع منكم الحياة الأبدية، فهل خطأ فى نظركم أننى أعلن الحياة الأبدية؟! أليس عيبًا أن يفكر اليهود بهذه الطريقة؟!

أخلى ذاته بإرادته

"فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هَكَذَا أَتَكَلَّمُ" (يو12: 50)، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن السيد المسيح من الناحية الإنسانية لأنه "أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْد صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ" (فى2: 7)، كان "يَنموُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ" (لو2: 52)، وإنسانيًا قَبِلَ أن ينمو قليلاً قليلاً بشبه البشر، وقَبِلَ أن يستقبل من المعرفة الإلهية الكثير.

**لماذا إذن سقط تحت الصليب وهو الذى يحمل المسكونة كلها بقدرته؟!**

وقع تحت الصليب لأن اللاهوت لم يتدخل ليحمل الصليب، فبسبب تمزق العضلات بالجلد الرومانى العنيف، والنزيف الحاد، والآلام الشديدة، وقع. أما **إذا أراد** أن يستخدم قدرة لاهوته، لاستطاع ليس فقط أن يحمل الصليب، بل لاستطاع أن يحمل أورشليم بكاملها من على الأرض، وأن يحمل الجلجثة بكاملها من على الأرض، ولكن هذا إن أراد.

فهو بإرادته أخلى نفسه، لدرجة أنه قال إنه لا يعرف اليوم الأخير. وقد رد القديس أثناسيوس على الأريوسيين فى هذه النقطة التى تُقرأ ضمن قراءات البصخة: "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ **وَلاَ الاِبْنُ** إلاَّ الآبُ" (مر13: 32)، بقوله إن السيد المسيح كان يتكلم إنسانيًا لأنه اشترك معنا فى الجهل الخاص بالبشر، ولكن ليس فى جهالة الخطية لأنه بلا خطية. فالقديس أثناسيوس يقصد أن السيد المسيح يمكن أن يتنازل عن معرفة بعض الأشياء، فقال لهم أنا لا أعرف ولا تسألوننى: "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ" (أع1: 7).

نحن نقول فى القداس الإلهى: [قام من الأموات وصعد إلى السماوات وجلس عن يمينك أيها الآب **ورسم يومًا للمجازاة**]. فماذا يعنى هذا؟..

رسم يومًا للمجازاة

بمعنى أنه عندما دخل إلى مجده انتهت حالة الإخلاء التى فيها كان يرفض أن يعرف فى ذهنه البشرى اليوم الأخير، فقام بتحديد اليوم الأخير. ولكن هذا حدث عندما دخل إلى مجده لكى لا يطلب منه أحد أن يعرف اليوم الأخير.

عندما دخل إلى مجده انتهى هذا الوضع مثلما قال قبل الصلب: "وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ" (يو17: 5)، ومعناها أنه عندما رُفع فى المجد لم يعد يحجب المجد الإلهى الخاص به حتى ولا إنسانيًا، أى أن جسده لم يعد يحجب المجد الذى إذا رآه أحد يموت فى نفس اللحظة، ولم يعد ذهنه البشرى متخليًا عن معرفة اليوم الأخير، الذى هو نفس معرفته كإله، باعتباره كلمة الله اللوغوس "الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ" (كو2: 3).

عندما يقول السيد المسيح "الآب أعطانى وصية" وما شابه ذلك، كل هذا ينطبق عليه من الناحية الإنسانية، ولا ينطبق عليه من الناحية الإلهية، لأنه عندما تكلم معلمنا بولس الرسول عن طاعة الابن للآب فى رسالته إلى العبرانيين قال: "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب5: 8). فما معنى عبارة "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا"؟

مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ

هذه العبارة تعنى أنه مع كونه من حيث لاهوته، لا توجد بينه وبين الآب طاعة لأنهما متساويان فى المجد، إلا أنه من حيث ناسوته تعلّم الطاعة مما تألم به، أى مارس الطاعة[[4]](#footnote-4) من خلال الآلام التى احتملها والموت الذى قَبِلَهُ على الصليب عندما قدّم طاعة كاملة لله الآب.

الأمر فى منتهى البساطة: إن هناك عبارات فى الأناجيل وفى الكتاب المقدس تشير إلى إلوهية السيد المسيح وهناك عبارات تشير إلى إنسانيته. **فلا يصح أن نستخدم العبارات التى تشير إلى إنسانيته ونطبقه على ألوهيته**، ولا أن نستخدم العبارات التى تشير إلى ألوهيته ونطبقها على إنسانيته.

فمثلاً قد يتساءل أحد: كيف يموت الله؟

لقد مات الله الكلمة بحسب الجسد، لذلك نقول فى قطع صلاة الساعة التاسعة: "يا من ذاق الموت الجسد".

قد يسأل آخر: كيف يقول السيد المسيح "لا أعرف"؟

هذا أيضًا كان بحسب ناسوته.

إذًا هناك عبارات معينة تشير إلى ألوهيته، بينما عبارات أخرى تشير إلى إنسانيته، وهناك أمور تتماشى مع الاثنين فلا تحتاج أن نحدد إن كانت تشير إلى إلوهيته أو تشير إلى إنسانيته، ولكنها تشير إلى شخصه عمومًا، ولكن هذا لا يعنى أن الطبيعتين مستقلتان لكنها "طبيعة واحد متجسدة لله الكلمة"..

طبيعة واحد متجسدة لله الكلمة

هذه الطبيعة الواحدة تجمع خصائص الطبيعتين، والاتحاد بينهما هو بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. هناك بعض الأقوال التى تشير إلى الجانب الإلهى الذى لم يمتزج ولكنه متحد، وهناك بعض الأمور التى تشير إلى الجانب الإنسانى الذى لم يمتزج ولكنه متحد. فلا الناسوت أصبح غير قابل للموت قبل الصلب، ولا اللاهوت أصبح قابلاً للموت، لأن هذا غير ممكن، فكل طبيعة كما قال القديس كيرلس عامود الدين احتفظت بخصائصها من بعد الاتحاد، ولم تتحطم الفروق بين خصائص الطبيعتين بسبب الاتحاد.

لكن القديس كيرلس مع ذلك أكد مرارًا أنها "**طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة**". وقال أيضًا: لا يصح أن نتكلم عن طبيعتين من بعد الاتحاد، وهذا لا يعنى أن لا نشير إلى الناسوت أو إلى اللاهوت، ولكنه يقصد بهذه العبارة أنه لا يصح أن نتكلم عن الطبيعتين كما لو كانتا استمرتا طبيعتين كل واحدة منهما فى الدائرة الخاصة بها، وإنما هما استمرتا موجودتين فى الاتحاد ولكن مكونتين مع بعضهما وحدة هى الطبيعة المتجسدة لله الكلمة.

عندما تكلم القديس أثناسيوس فى موضوع معرفة الساعة وأن "ولا الابن نفسه يعرفها" قال إن هذا كان من حيث إنسانيته لأنه شابهنا فى كل شيء ما خلا الخطية، ومن ضمن كل شيء شابهنا فيه هو عدم معرفة اليوم الأخير.

شابهنا فى كل شيء حتى إن كان قد قام من الأموات، فمعلمنا بولس الرسول يقول: "الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ" (1تس4: 14)، والقديس يوحنا أيضًا قال أنه سيقيمنا بجسد ممجد: "وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (1يو3: 2)، ولكن طبعًا ليس مثله من حيث لاهوته، لأن هذا يعتبر تجديف على الرب. إن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو أمر يخص السيد المسيح فقط لا غير، لا يوجد اتحاد أقنومى بين اللاهوت والناسوت إلا فى شخص السيد المسيح، ومن يقول غير ذلك يكون قد دخل فى هرطقة أو بدعة محظورة.

بهذا نكون قد انتهينا من تفسير **إنجيل الساعة الحادية عشر من ليلة الخميس.**

إنجيل الساعة التاسعة من ليلة الخميس

هذا الإنجيل به حوار عجيب جدًا حيث يقول السيد المسيح فى كلامه **عن الرعية**: "أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي، **أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ**، فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ" (يو10: 29-31). لقد تناول اليهود حجارة ليرجموه ليس لأنه قال لهم لا أحد يقدر أن يخطف رعيتى، وإنما لأنه قال **أنا والآب واحد**، وهو لم يقل فقط إن الله أبوه بل زاد على ذلك وقال أنا وأبى واحد.

فى واقعة شفاء المفلوج عند بركة بيت حسدا يقول الكتاب "فَمِنْ أَجْلِ هَذَا **كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ**" (يو5: 18). أما فى هذه الواقعة فقد قيل "تَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ، فَقَالَ يَسُوعُ: أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟" (يو10: 32)، أى لماذا تريدون أن ترجموننى؟ ماذا فعلت؟ لقد شفيت مرضاكم، وأقمت موتاكم، وأشبعت الآلاف من خمس خبزات، ماذا تريدون؟ فأجابوه: "لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ **فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا**" (يو10: 33).

عندما أعلن أباطرة الرومان ألوهيتهم، مثل دوميتيان وكثير من الأباطرة، اعتبرنا أن هذا تجديف على الله، فكون أن يعتبر الإنسان نفسه إلهًا، هذا لا يقبله عقل عاقل..

السيد المسيح ليس إنسان تألّه، وإنما إله تأنس

التجسد الإلهى يحتاج إلى شرح طويل: "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (1كو12: 3). لكن أهم نقطة فى هذا الموضوع: أن السيد المسيح ليس إنسان تأله وإنما هو إله تأنس، وهناك فرق كبير بين الاثنين، **فهو ليس إنسانًا صار إلهًا، وإنما هو إله تجسد**. ولكن لم يكن بين أولئك اليهود مَنْ يفهم الميلاد العذراوى بفعل الروح القدس، ألم يقولوا: "أَلَيْسَ هَذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ" (يو6: 42)؟ ومَنْ منهم يمكنه أن يفهم ما استقبلته العذراء من الملاك عندما قال لها: "فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو1: 35). مَنْ منهم يمكنه أن يفهم كل هذا إلا إذا فتح قلبه لعمل الروح القدس؟

لقد كان السيد المسيح يتدرج بالبشرية فى فهم فكرة التجسد الإلهى والحديث عن ألوهيته كان من خلال علاقته بالآب السماوى. وحتى تلاميذه أنفسهم كان يتدرج بهم، بالرغم من أنهم كانوا يعرفون أسرارًا كثيرة لا يعرفها بقية الناس. وحتى عندما قال له بطرس: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ، فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا **إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**" (مت16: 16، 17). كل ما فى الأمر: "**لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**".

كما ترون أن الأحداث بدأت تشتعل، أحداث أسبوع الآلام كان الجو فيها ساخنًا جدًا، فلم يحتملوا، وفعلاً نفذوا ما قصدوه لأنهم عاشوا فى ظلمة الضلال.

لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا

فى إنجيل الساعة السادسة من ليلة الخميس الكبير من البصخة المقدسة يقول:

"لِيَتِمَّ قَوْلُ إشعْيَاءَ النَّبِيِّ: يَا رَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ لِهَذَا **لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا**. لأَنَّ إشعْيَاءَ قَالَ أَيْضًا: قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ" (يو12: 38-40).

وقد يتساءل البعض عند قراءة هذه العبارة إن كان الله قد أعمى عيونهم وقسى قلوبهم، فما هو ذنبهم؟

الرد وتفسير ذلك نجده فى رسالة معلمنا بولس الرسول إلى أهل كورنثوس حيث قال: "**إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ**، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ" (2كو4: 4). لم يكن الله هو الذى أعمى عيونهم وإنما الشيطان "إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ". فعندما يقول الكتاب: "قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ" (يو12: 40) يقصد بذلك الشيطان..

وإذا افترضنا فرضًا فى أحد أقوال الكتب المقدسة ورد أن الله قسى قلب البعض، فيكون السبب أنهم: "**كَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ** لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ" (رو1: 28).

هم الذين رفضوه، فلذلك انسحبت النعمة فتقسوا. وقد شرح قداسة البابا شنودة هذا الأمر وقال إن الله لا يُقسى قلب أحد لكى يعمل الشر، أو لكى لا يتوب، أو لكى لا يؤمن، إنما من يمشى فى الشر ويرفض الله تنسحب النعمة منه. وانسحاب النعمة يقسى الإنسان ويجعله يزداد قساوة ويزداد شرًا. "كما **لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ** أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ"، هم الذين لا يريدون الله فما الذى يمكن أن يفعله لهم؟

هل يقبل أحد أن يخطب عروسًا ويصمم أن يتزوج بها وهى ترفضه؟ فإذا كان العريس الأرضى لا يقبل هذا على نفسه فهل يفرض الله نفسه على الخليقة؟! هو لا يفرض نفسه أبدًا، إنما ينسحب. كما قالت عروس النشيد: "حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ" (نش5: 6). كان قد قال لها: "اِفْتَحِي لِي يَا أُخْتِي يَا حَبِيبَتِي يَا حَمَامَتِي يَا كَامِلَتِي" (نش5: 2)، فأخذت تتلكأ وتقول: "قَدْ خَلَعْتُ ثَوْبِي فَكَيْفَ أَلْبِسُهُ؟ قَدْ غَسَلْتُ رِجْلَيَّ فَكَيْفَ أُوَسِّخُهُمَا؟" (نش5: 3)، فقالت: "حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ". لكن قبل أن يعبر كان قد "مَدَّ يَدَهُ مِنَ الْكُوَّةِ" (نش5: 4) فرأت فى يديه آثار الجراحات وقالت "فَأَنَّتْ عَلَيْهِ أَحْشَائِي". ولما تحول وعبر خرجت تجرى خلفه باحثة عنه، والحراس ضربوها وجرحوها "وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ. ضَرَبُونِي. جَرَحُونِي" (نش5: 7). وفى النهاية وجدته وأمسكته وأدخلته وقالت: "شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي" (نش8: 3). أى أنها ندمت وأصلحت خطأها.

فى أى مرة نقرأ أن أحدًا تقسّى نعرف أن هذا بسبب شره هو، وليس أن الله هو الذى يريد أن يقسيه. وإذا تخلت عنه النعمة فازداد فى شروره، فهذا يحدث لأن الله يريد أن يبيّن عاقبة رفض الله فى حياة الإنسان: إن الشيطان يتسلمه. وهذا هو أيضًا العذاب الأبدى والدينونة الأبدية.. رفض الله، هذا هو العذاب. فبما أن الإنسان يرفض الله فهو بذلك يُدخل نفسه تحت سلطان إبليس. وإذا أدخل الله الأشرار غير التائبين إلى ملكوت السماوات سوف يخطئون فى الملكوت أيضًا.

مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟

لا تظنوا أبدًا أن الله سوف يكون قاسيًا فى الدينونة الأبدية، هى ليست قسوة منه ولكنه يقول: "مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟" (إش5: 4)، لهذا سوف يقول السيد المسيح: ما الذى يمكن أن أعمله أكثر من أن أقدم نفسى ذبيحة عن حياة العالم؟ ماذا أقدر أن أعمل أكثر من أن أرسل الروح القدس من الآب لكى يرشد العالم إلى معرفة الحق؟ ماذا يمكن أن يُفعل؟ لهذا تنبأ إشعياء وقال: "هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ وَلَمْ تَثْقَلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ" (إش59: 1).

أرجو أننا دائمًا عند قراءة الكتاب المقدس نأخذ العبارات فى مفهومها الصحيح. ذكر فى بعض الفقرات مثلاً أن الله قسى قلب فرعون، لكن فى الحقيقة أن فرعون قد رفض الله لذلك فإن الله تركه يقع فى شر أعماله وقال لموسى: "فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ" (خر14: 17)، "وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ" (خر12: 12). ألا يعتزون بآلهتهم الوثنية، أنا سأهين هذه الآلهة وسأريها.. وطالما هم متمسكون بها سأتركهم لشرهم، كان هذا فى أيام موسى وفرعون.

التدرج بالبشرية لفهم التجسد الإلهى

كان السيد المسيح يتدرج فى الأمور مع الناس، فلم يكن يقدر أن يقول لهم كل الحقيقة مرة واحدة، لأنه مَنْ الذى يحتمل؟ لقد ظل يجهز البشرية آلافًا من السنين لكى تستطيع أن تحتمل فكرة ظهوره فى الجسد.

كان يعد البشر طوال هذه السنين: ذبيحة أبينا إبراهيم.. وفلك نوح.. وكل الرموز.. والأحداث.. والنبوات.. وقول المزمور مثلاً: "ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ" (مز22: 16).. وما ورد في سفر إشعياء النبى: "كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ" (إش53: 7).. و"مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟" (إش53: 1).. "نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ" (إش53: 2).. كيف يمكن أن تنبت شجرة فى أرض يابسة ليس بها ماء، مثل عصا هارون التى أفرخت؟! فى كل هذا كان يمهّد تمهيدًا.. فإن أراد أحد أن يفهم سوف يشعر وكأن عقله يطير، ليس من قلة التوضيح، وإنما من شدة التوضيح.

أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ

إن السيد المسيح فى وداعته وترفقه ومعاملته للناس باللطف لكى يصل بهم إلى الحقيقة أجاب وقال: "أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ" (يو10: 34، 35)، ما ألطفه! لقد قال لهم إن الله قال لكم أنتم أنفسكم: "أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ" (مز82: 6). فلماذا كل هذا الانزعاج بينما "لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ" (يو10: 35)؟ "أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟" وبقية العبارة وهم يحفظونها جدًا "وَبَنُو الْعَلِيِّ تدعوّن"، إذن فما المشكلة عندما يقول إنه ابن الله؟ فعندما قالوا له: "تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا"، أجابهم وقال وأنتم ماذا تقولون فى هذه العبارة: "أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ"؟ "فالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟" (يو10: 36). والسيد المسيح طبعًا لا يقصد أن يؤيد تعدد الآلهة أو تأليه البشر ومساواتهم بالإله الحقيقى وحده، ولكنه يقصد أن يتدرج بهم لفهم حقيقته باعتباره كلمة الله المتجسد.

**أما عن البشر**؛ فإن عبارة آلهة تعنى أسياد مثل قول الرب لموسى "أَنَا جَعَلْتُكَ إِلَهاً لِفِرْعَوْنَ" (خر7: 1)، أى سيدًا لفرعون. وعبارة "وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ" (مز82: 6) مقصود بها **البنوة بالتبنى وليس بالطبيعة والجوهر**.

**أما السيد المسيح** فإنه ابن الله الوحيد الجنس أى الذى **له نفس الجنس الإلهى بالولادة، وبنوته بالطبيعة والجوهر**.

كلمة "قدّسه" تعنى خصصه، مثل: "تَصْنَعُ صَفِيحَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ. وَتَنْقُشُ عَلَيْهَا نَقْشَ خَاتِمٍ قُدْسٌ لِلرَّبِّ" (خر28: 36)، "قدس للرب" أى مخصصة للرب، كما يقول: "وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي" (يو17: 19)، كيف يقدس ذاته وهو القدوس؟ يقدس ذاته: تعنى يخصص نفسه لخلاص البشرية فى تجسده.

"فالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟" قام بحلها بطريقة بسيطة جدًا فلم يقدروا أن يجيبوه.

"أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ"، "إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ"، ولكن تنبهوا لبقية المزمور الذى يقول: "لَكِنْ **مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ**". أى أن امتيازات شعب الله لا تمنع أنهم يموتون مثل سائر البشر وليس لديهم الطبيعة الإلهية التى لا تموت.

إذن، ما هو الدرس الذى نتعلمه من هذا الموقف؟

عندما يكون شخص متعجرفًا ومتصدرًا؛ يمكننا أن نجعله يتضع لكن بطريقة مقنعة، وليس من الضرورى أن نجعله يصطدم بكل الحقيقة التى لا يقدر أن يفهمها أو يستوعبها. لكن ليس معنى هذا أن هذه هى نهاية المطاف.

بدأ السيد المسيح يتكلم ويقول لتلاميذه: "خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ وَأَيْضًا أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الآبِ" (يو16: 28)، وقال لهم: "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي" (يو15: 26)، وقال لفيلبس: "أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ" (يو14: 9)، بينما جدك يعقوب فى ليلة واحدة قضيتها معه قال: "نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي" (تك32: 30)، كل هذا الزمن ولم تعرف أننى أنا الله الظاهر فى الجسد. كل هذه الحقائق لم يكن السيد المسيح يصدم بها الآخرين فجأة، ولكنه كان يتدرج في الإقناع وكشف الحقائق.

والسيد المسيح أيضًا كما ذكرنا قبلاً قال للتلاميذ: "إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ" (يو16: 12). حتى تلاميذه أنفسهم قال لهم ليس كل شيء يمكنكم أن تحتملوه. ولكن "مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" (يو16: 13).

الَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ

اليهود بالطبع لم ينتبهوا إلى عبارة: "فالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ" (يو10: 36)، كان لابد أن يمسكوا بها أيضًا ويسألونه: ماذا تعنى بـ قدسك وأرسلك؟ هل هذا يعنى أنك من هناك؟ هو تعامل معهم فى مستوى يمكنهم أن يتعايشوا معه، لكن هذه العبارة لم ينتبهوا لها.

لقد بدأ هنا يصحح رؤيتهم؛ لأن عبارة "الَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ" معناها أنه هو מַלְאַ֙ךְ יְהוָ֥ה (مل أخ يهوه) بمعنى "ملاك يهوه" أى "سفير يهوه" الذى قال لموسى أنا اسمى يهوه و"غَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ" (خر3: 6). فهو رسول وسفير يهوه المُرسل إلى العالم.

ثم أكمل وقال: "إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فلاَ تُؤْمِنُوا بِي، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو10: 37، 38)، إذا لم تريدوا أن تؤمنوا بى أنا فآمنوا بالأعمال.

**لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.**

**بعدما مهد صعد إلى القمة مرة أخرى. فقال لهم إذا كانت هذه الأعمال هى أعمال الآب إذن الآب فىَّ، وإذا كان الآب فىَّ وأنا فى الآب، فهذا يعنى أننى أنا والآب واحد كما قلت أولاً وغضبتم عندما قلت "أنا والآب واحد".**

هو وضعهم فى مأزق فلم يقدروا أن يجيبوه، ثم وضع الحقيقة حتى عنـدما يُـختم الكـلام يكـون مختومًا بختـم الآب السماوى، لمـن

يريد أن يسمع ومن يريد أن يؤمن ومن يريد أن يفهم.

**ختام**

سأختم كلامى بأن الكنيسة وضعت هذه الدرر الخاصة بالحوارات بين السيد المسيح وبين اليهود قبل صلبه، لأن السيد المسيح ترك هذه الكنوز العظيمة للعالم لكى تُبنى المسيحية على أساسها.

لا توجد علاقة واضحة بين هذا الكلام وبين أحداث أسبوع الآلام مثل مؤامرة يهوذا واجتماع رؤساء الكهنة.. الخ، لكن فى الحقيقة هناك علاقة قوية جدًا: وهى أن هذا الكلام هو نفسه الذى بسببه ذهب قيافا رئيس الكهنة أمام بيلاطس البنطى وقال: "**حَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ**" (يو19: 7).

إذن العلاقة بين كل هذه القراءات وبين أسبوع الآلام هى أن هذه القراءات تعرفنا كيف أنه بينما يعلن السيد المسيح هذه الحقائق اشتعلت قلوب اليهود ضده إلى أقصى درجة ممكنة.

لكن ماذا يفعل؟ هل يتركنا نتخبط فى دياجير الظلام؟ لا، بل قالها وهو يعرف الثمن وهو أنه سوف يُصلَب بسبب هذا الكلام، لكنه لم يكن من الممكن ألا يقوله.

فليعطنا الرب ألاّ نهمل خلاصًا هذا مقداره، وأن نتمتع بفاعلية هذه الكنوز في حياتنا، ولإلهنا المجد والكرامة إلى الأبد آمين

الخميس الكبير من البصخة المقدسة

لماذا أقام السيد المسيح القداس ليلاً؟

القداس الذى أقامه السيد المسيح كان ليلاً وليس فى نهار اليوم، أى فى ليلة الجمعة العظيمة وليس نهار الخميس، بدليل قول الكتاب "وَلَمَّا كَانَ **الْمَسَاءُ** اتَّكَأَ مَعَ الاِثْنَيْ عَشَرَ" (مت26: 20)، وقوله عن يهوذا الإسخريوطى بعد أكل لقمة فى الفصح اليهودى "فَذَاكَ لَمَّا أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلْوَقْتِ. **وَكَانَ لَيْلاً**" (يو13: 30).

فى البداية عمل السيد المسيح الفصح اليهودى، وهذا استغرق وقتًا لأن له طقوس معينة: ثلاثة كؤوس خمر، وخروف الفصح، وما إليه، والأعشاب المرة. لذلك حينما بدأ فى عمل سر الإفخارستيا أو تأسيس سر العشاء الربانى، كان الوقت قد صار ليلاً بعد خروج يهوذا. لذلك يقول بنص صريح فى إنجيل معلمنا يوحنا: "فَذَاكَ لَمَّا أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلْوَقْتِ. **وَكَانَ لَيْلاً**" (يو13: 30).

لكن ربما لكثرة القراءات التى تبعت العشاء الربانى مثل أناجيل الباراقليط وأحداث ليلة الجمعة العظيمة الكثيرة التى تتضمن القبض على يسوع فى البستان، وأحداث البستان، وصلوات السيد المسيح فيه، وهى أحداث كثيرة، صار الوقت بعد منتصف ليلة الجمعة العظيمة. ثم بدأت فى الصباح أحداث استكمال المحاكمة لأن اليهود اجتمعوا مرة أخرى لعمل محاكمة شكلية فى الصباح، بعد أن انتهوا من المحاكمة الظالمة فى الليل.

لكثرة هذه الأحداث اضطرت الكنيسة أن تجعل قداس خميس العهد بعد الظهر وليس ليلاً.

**ولكن أهمية أن نعرف لماذا عمل السيد المسيح القداس ليلاً هو؛ أنه بحسب الطقس العبرى يبدأ اليوم من بعد غروب شمس اليوم السابق وليس بعد منتصف الليل. فيوم الجمعة يبدأ من مساء الخميس**. ونحن فى الكنيسة نقول ليلة الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة فى ساعات الليل.

لقد عمل السيد المسيح العشاء الربانى ليلة الجمعة وليس يوم الخميس. لذلك فإن تسمية الخميس الكبير بخميس العهد هو اسم الشهرة ولكنه غير مطابق للأحداث. فالأحداث المذكورة فى الإنجيل تحدد أن السيد المسيح **صُلب يوم الجمعة، وصنع العشاء الربانى يوم الجمعة، ولكن فى ليلة الجمعة وليس فى نهار الجمعة.** والسر فى ذلك هو أنه **كان لابد أن يجعل العشاء الربانى مرتبطًا بالصليب**، وهما اليوم السادس الذى خلق فيه آدم. فيجعل ذبيحة الإفخارستيا مرتبطة بذبيحة الصليب.

يذكر الكتاب المقدس أن حزقيا الملك قام بتأجيل الفصح شهرًا كاملاً ووافق الرب على هذا التأجيل، لأن الكهنة لم يكونوا مستعدين وبعد تأجيل الفصح لمدة شهر لم تحدث أية مشاكل.

قدّم السيد المسيح الفصح اليهودى عن ميعاده. لأن فصح اليهود كان سيبدأ بذبح الخراف بعد ظهر يوم الجمعة، وأما العيد فهو يوم السبت، ولذلك قرروا إنزال الأجساد من على الصليب قبل الغروب: "ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادٌ فَلِكَيْ لاَ تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ لأَنَّ يَوْمَ ذَلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيمًا سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا" (يو19: 31).

لم يستطع اليهود الدخول فى يوم الجمعة صباحًا إلى مكان معين من بلاط بيلاطس حتى لا يتنجسوا فيتمكنوا من أكل الفصح، فكتب: "وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ لِكَيْ لاَ يَتَنَجَّسُوا فَيَأْكُلُونَ الْفِصْحَ" (يو18: 28)، لأنهم لم يكونوا قد أكلوا الفصح بعد، أما السيد المسيح فكان قد أكل الفصح مع تلاميذه.

لقد قدّم السيد المسيح عمل الفصح اليهودى عن ميعاده، لكن ليس بيوم كامل، فذبح الفصح كان يوم الجمعة بين العشائين أى بين الساعة السادسة والساعة التاسعة، وكانوا يأكلونه يوم السبت أو ربما الجمعة ليلاً، لأنه من بعد غروب الجمعة يبدأ السبت.

لماذا قدّم الفصح اليهودى يومًا؟

كان لابد أن العهد القديم يسبق العهد الجديد. فكونه يحرك الفصح اليهودى يومًا إلى خلف؛ يريد بذلك أن يفهمنا أن شيئًا سوف يحل محل شيء، بحيث إنه عندما يعمل **الإفخارستيا تكون مرتبطة بذبيحة الصليب** هذا من جانب. من جانب آخر هو **يُصلب ويُذبح فى نفس التوقيت الذى كان اليهود يذبحون فيه الخراف** مثلما قال معلمنا بولس الرسول: "لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا" (1كو5 : 7).

كان من الصعب أن السيد المسيح يقدم الإفخارستيا وهو معلق على الصليب.. فكيف يبارك الخبز ويديه مسمّرة، وكيف يناول التلاميذ وهو معلق على الصليب. لقد كانت الأحداث متلاحقة، ففى أقرب وقت ممكن عمل الإفخارستيا أى العشاء الربانى.

لماذا أعطى السيد المسيح جسده ودمه قبل أن يُصلب؟

يقول الآباء القديسون إن السيد المسيح قد قدّم جسده ودمه قبل أن يصلب لعدة أسباب:

أولاً: لكى يُثبِت أن كهنوته أعلى من الكهنوت الهارونى

أراد السيد المسيح أن يثبت أن **كهنوته أعلى من الكهنوت الهارونى، فهو قدّم خبزًا وخمرًا على طقس ملكى صادق**، وقال هذا جسدى وهذا دمى. ومن المعروف أن كهنوت ملكى صادق أعلى من الكهنوت الهارونى، والدليل على ذلك أن إبراهيم عندما قابل ملكى صادق كاهن الله العلى وملك ساليم، أى ملك أورشليم، قدّم ملكى صادق خبزًا وخمرًا كتقدمة، وليس ذبيحة دموية، وإبراهيم قدّم له العشور. فيقول بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين إن لاوى كان فى صلب إبراهيم، لأن إبراهيم ولد إسحق، وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد اثنى عشر ومن ضمنهم لاوى. ثم جاء هارون من نسل لاوى، "**إِنَّ لاَوِي أَيْضًا الآخِذَ الأَعْشَارَ قَدْ عُشِّرَ بِإِبْرَاهِيمَ. لأَنَّهُ كَانَ بَعْدُ فِي صُلْبِ أَبِيهِ حِينَ اسْتَقْبَلَهُ مَلْكِي صَادِقَ**" (عب7: 9، 10). ويقول "وَبِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ: الأَكْبَرُ يُبَارِكُ الأَصْغَرَ" (عب7: 7) هذا يعنى أن ملكى صادق رتبته الكهنوتية أعلى من هارون بصورة واضحة جدًا. وقال معلمنا بولس عن السيد المسيح وكهنوته "لأَنَّ أُولَئِكَ بِدُونِ قَسَمٍ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً، وَأَمَّا هَذَا فَبِقَسَمٍ مِنَ الْقَائِلِ لَهُ: أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِق" (عب7: 21).

قدّم السيد المسيح جسده ودمه تحت أعراض الخبز والخمر، قبل أن يذبحه اليهود على الصليب بيد الرومان، لكن بإرادتهم طبعًا. وذلك ليؤكد أن كهنوته أعلى من الكهنوت الهارونى. وكان رئيس الكهنة قبل الصلب قد شق ثيابه (أى الصدرة التى يوضع عليها أسباط إسرائيل الاثنى عشر)، ثم بعد الصلب، بعد أن سلم السيد المسيح الروح، انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل، أى انفتح القدس على قدس الأقداس علامة أن العداوة بين الله والإنسان قد انتهت، وأيضًا علامة على أن العهد القديم والكهنوت الهارونى بالذبائح الحيوانية قد انتهى أمره.

ثانيًا: ليُظهر أنه قدم نفسه بإرادته وسلطانه

كان لابد للسيد المسيح أن يبيّن أنه قد قدَّم نفسه بإرادته وبسلطانه. لذلك نلاحظ أننا فى القداس الإلهى نقول: {لأنه فى الليلة التى سلمت فيها ذاتك **بإرادتك وسلطانك وحدك** أخذت خبزًا على يديك الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين} (القداس الغريغورى). وهو نفسه قال "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ **أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا**" (يو10: 18). هنا هو كان يتكلم عن نفسه. هذا يختلف عما قاله عن الخراف: "وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ" (يو10: 15).

"لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي.. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا" (يو10: 18)، فكل ما قاله السيد المسيح فعله؛ لأن كلامه ليس مجرد كلامًا. فمثلاً عندما قال "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ" (مت5: 44) نفذها وهو فى شدة عذابه على الصليب "قَالَ يَسُوعُ يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو23: 34).

عندما قال "لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا" (يو10: 18) قدّم جسده ودمه لتلاميذه بيده هو لأن هذا سلطانه.

وبنفس السلطان قال لتلاميذه: "اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو22: 19). لأن هذا جسد حقيقى ودم حقيقى بأمر من السيد المسيح شخصيًا وبسلطانه الإلهى، ولهذا نقول للسيد المسيح فى القداس الإلهى: {فى الليلة التى سلّمت فيها ذاتك بإرادتك وسلطانك **وحدك**}. وكلمة "وحدك" هنا لا تعنى بدون إرادة الآب والروح القدس ولكن تعنى وحدك من بين البشر جميعًا. وفى تسبحة نصف الليل نقول: {لأنه بإرادته ومسرة أبيه والروح القدس أتى وخلصنا}.

لقد قدّم السيد المسيح جسده ودمه باعتباره رئيس الكهنة الأعظم ومن هنا تحقق قول الرب: "أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ" (عب7: 21).

الصليب والإفخارستيا

لكن هنا نقطة هامة جدًا يجب أن تستوقفنا وهى أنه لم يكن من الممكن أن يقول لهم "خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي... اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ. لأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي" (مت26: 26-28)، وهو لن يصلب. بمعنى أننا إذا افترضنا أنه عمل العشاء الربانى وقدّم جسده ودمه للتلاميذ خبزًا وخمرًا ثم لم يُصلب، إذًا كيف منح جسده ودمه للكنيسة؟ ولهذا أرفق بكلمة جسدى "**الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ**" (لو22: 19) أو سبق أن قال عنه "**الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ**" (يو6: 51)، وأرفق بكلمة ودمى "الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (مت26: 28).

**تستمد الإفخارستيا حقيقتها من ذبيحة الصليب**:

♰ فقد كانت الإفخارستيا **قبل الصليب بساعات** فى ليلة الجمعة أى فى نفس اليوم الطقسى أى يوم الجمعة، كما ذكرنا..

♰ وأيضًا كانت الإفخارستيا بعد أن خرج يهوذا، وهذه نقطة لها معنى هام جدًا. **لأن يهوذا خرج وهو متفق على تسليم السيد المسيح**، فبخروجه **دخل السيد المسيح فى دائرة الموت**، هى مسألة وقت فقط، لكن من ناحية الحقيقة أصبح فى حكم الميت. لذلك كتب فى إنجيل معلمنا يوحنا أنه بعد أن خرج يهوذا قال يسوع: "الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِيهِ" (يو13: 31).

ما علاقة خروج يهوذا بتمجيد الله؟

العلاقة هى أن السيد المسيح وافق أن يخرج يهوذا، وهو لم يقل له اخرج لتسلمنى بل قال: "مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ **بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ**" (يو13: 27) أى إعمل ما تريد... لكن **أسرع لأنى أريد أن أبدأ القداس**. فإذا كنت تريد أن تندم وتتوب وتعتذر فعندك فرصة، أما إن كنت تريد وقد صممت أن تسلمنى فاخرج خارجًا لأنى لن أبدأ القداس فى وجودك. وقال له: "إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ" (مت26: 24).

دخول المسيح دائرة الموت قبل الإفخارستيا

لقد دخل السيد المسيح فى دائرة الموت. وسأورد تشبيهًا فقط لتقريب المعنى: مثل إنسان محكوم عليه بالإعدام ووضع على رقبته حبل المشنقة، ويقولون له ماذا تطلب قبل أن تشنق.. فحينما نقول إنه دخل فى دائرة الموت نقصد أنه أصبح فى حكم الميت.. ولهذا بدأ السيد المسيح القداس، ولذلك قال: "الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِيهِ" (يو13: 31).

كان من الممكن أن السيد المسيح يمنع يهوذا إن أراد، لا يمنعه عن الخيانة ولكن يمنعه من الخروج، بوسائل كثيرة جدًا، مجرد لو لم يقل له: "مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ" لما استطاع أن يخرج. ليس المقصود أنه كان سوف يتوب؛ لأنه كان سيظل يصارع حتى يصل إلى اليهود لكى يدلهم على مكان السيد المسيح. فكان من الممكن أن يمنعه السيد المسيح من الخروج، وأكثر من ذلك كان يستطيع أن ينهى حياته دون أن يمسه، فبنفخة من فمه يبيد العالم بأكمله إذا أراد.

كان ممكنًا أن يتخلص منه بطريقة أخرى، فبطرس كان ملتهبًا جدًا لأنه كان يريد أن يعرف من هو الذى سوف يسلّم السيد المسيح، لدرجة أنه لم يقدر أن يصمت فذهب إلى يوحنا وهو متكئ على صدر السيد المسيح وطلب منه أن يسأله من الذى سوف يسلمه. فسأل يوحنا السيد المسيح، لكن السيد المسيح لم يرد أن يقول "يهوذا" إنما قال له: "هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ. فَغَمَسَ اللُّقْمَةَ وَأَعْطَاهَا لِيَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ" (يو13: 26)، قالها بصوت منخفض ولم يذكر اسمه لكى لا يفهم بطرس من هو من حركة الشفتين بحروف الاسم، فلم يعرف أحد من هو. ولما رأى بطرس أن السيد المسيح يغمس اللقمة ويعطيها ليهوذا ظن أن السيد المسيح يميّزه، لكن لم يرد على فكره مطلقًا أن يهوذا هو الذى سوف يسلّم السيد المسيح. ثم يقول الكتاب: "فَبَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ. وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ لِمَاذَا كَلَّمَهُ بِه. لأَنَّ قَوْمًا إِذْ كَانَ الصُّنْدُوقُ مَعَ يَهُوذَا ظَنُّوا أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: اشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْعِيدِ أَوْ أَنْ يُعْطِيَ شَيْئًا لِلْفُقَرَاءِ" (يو13: 27-29). وهذا أمر معتاد وحتى يومنا هذا تقوم الكثير من الكنائس بشراء ما يحتاجه الفقراء فى أيام الأعياد، ولهذا اعتقد الرسل أن السيد المسيح قال هذه العبارة ليهوذا لكى يسرع بشراء ما يحتاجه الفقراء فى العيد، إذ كان هو المسئول عن الصندوق فى ذلك الحين.

لو أن الرب جعل بطرس يعرف من هو، ولو لمحة سريعة، لطعن يهوذا. فقد كان مع بطرس سيف ضرب به عبد رئيس الكهنة فى أثناء القبض على السيد المسيح، فى وجود كثير من الجند المسلحين. فقيل: "ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بُطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْخُسَ" (يو18: 10). أى أنه ضربه فى رأسه بالسيف ليقتله لكن الضربة قطعت أذنه فقط. لم يخف بطرس من جمهور العسكر فى البستان، ولكن السيد المسيح أسرع وأبرأ أذن العبد وقال لبطرس: "رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (مت26: 52). وعالج بذلك ما فعله بطرس لأنهم كانوا من الممكن أن يذبحوه، إلا أن هذا لم يكن اهتمامهم بل كان لهم هدف محدد ومأمورية محددة وهى القبض على السيد المسيح.

**إذًا لماذا قال السيد المسيح: "الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِيهِ" (يو13: 31)؟**

**قالها لأنه سهّل ليهوذا أن يخرج سالمًا، وبأمان، مع إعجاب المحيطين بما سوف يعمله يهوذا من أجل العيد والفقراء** إذ ظنوا أنه سوف يشترى احتياجات الفقراء وهو سارق ويسرق ما بالصندوق والسيد المسيح ستر عليه... هو سرق ما بالصندوق وأخذ الثلاثين من الفضة أيضًا. وفى النهاية عاد إلى اليهود وأرجع الفضة وندم. لكن الكبرياء جعله يفكر أنه لن يتحمل أن يواجه التلاميذ فيما بعد كخائن، هؤلاء الذين كانوا يحسدونه على المعزّة التى كانت تبدو من قبل السيد المسيح له، فلم يحتمل كبرياؤه أن يعتذر، ففضّل أن يقتل نفسه بدلاً من أن يتوب.

يهوذا والخيانة

كان لابد أن السيد المسيح يُصلب فى كل الأحوال سواء سلَّمه يهوذا أو غيره. فمثلاً ما أسهل أن يقول السيد المسيح لتلاميذه إنه ذاهب إلى بستان جثسيمانى فى وجود أحد جواسيس اليهود وهو خارج من أورشليم، فمجرد أن يسمعه أى شخص وهو يقول هذا الكلام كان سوف يدل الجنود لكى يقبضوا عليه... لدى السيد المسيح طرق كثيرة يسهّل بها لليهود القبض عليه، كما سهّل ليهوذا أن يخرج سالمًا بعيدًا عن سيف بطرس الرسول وقال: "مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ" (يو13: 27)، لذلك قال له: "**إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ**" (مت26: 24) أى إنى سوف أصلب وفى هذا الميعاد بالتحديد، لكنه كان يتمنى ألا تأتى من يهوذا.

يقول المزمور: "لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي إِلْفِي وَصَدِيقِي. الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ اللهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ" (مز55: 12-14). كان الموقف صعبًا جدًا على السيد المسيح، ولكنه كان أحد عوامل الكأس المرة التى شربها من أجل البشرية، لأن عنصر الخيانة هو جزء من خطايا البشرية التى تخون بها عهود الرب. مثلما كان يقول لإسرائيل: "لأَنَّكِ زَنَيْتِ وَرَاءَ الأُمَمِ. لأَنَّكِ تَنَجَّسْتِ بِأَصْنَامِهِمْ" (حز23: 30) بمعنى أنك عبدت آلهة أخرى غيرى.

إن فكرة الخيانة ممتدة فى العهد القديم، ولازالت موجودة فى حياة البشر، وحتى داخل الكنيسة نفسها، مثل نسطور وأريوس.. فالخيانة مستمرة.. وهى أحد خطايا البشرية. ويقول فى سفر إشعياء: "لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا" (إش53: 4). فكان لابد وأن يذوق طعم الخيانة المر، ولذلك قال: "أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ الاِثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ. قَالَ عَنْ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ لأَنَّ هَذَا كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُسَلِّمَهُ وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاِثْنَيْ عَشَرَ" (يو6: 70، 71).

الفرق بين التوبة والندم

إن التوبة ليست هى مجرد الندم على الخطية وإنما التوبة هى المصالحة مع الله. أما الندم مع الكبرياء فيقود إلى اليأس، واليأس يقود إلى الانتحار.. فيهوذا لم يتب ولكنه ندم فقط. كان من الأفضل ألا يندم من أن يكون الندم مع الكبرياء. لأنه إن لم يندم كان من الممكن أن يفكر ثم يندم، لكن ليس بطريقة عصبية، هذا شخص لم تكن له رحمة كما قال عنه الكتاب فى سفر المزامير: "مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً بَلْ طَرَدَ إِنْسَانًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ لِيُمِيتَهُ. وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ" (مز109: 16 ،17). وقد اقتبس بطرس الرسول كلامًا عن يهوذا من نفس هذا المزمور، وجاء ذلك فى سفر أعمال الرسل.

لم يكن يهوذا يحب السيد المسيح. لذلك استكثر الطيب الذى سكبته المرأة عند قدميه. ولما لم يصله ثمن الطيب باع هو السيد المسيح بمبلغ 1/100 من ثمن هذا الطيب (ثلاثين من الفضة تساوى ثلاثة دنانير تقريبًا، وثمن قارورة الطيب كان ثلثمائة دينار). لم يكن يهوذا يحب السيد المسيح ولا كانت عنده شفقة عليه، ولم يكن لديه اتضاع يجعله ينسحق ويعتذر ويطلب المغفرة.

كهنوت السيد المسيح

قال السيد المسيح: "الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِيهِ" (يو13: 31)، "أنا لى سلطان أن أضعها" ها أنا أضعها بأن قلت ليهوذا: "مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ" (يو13: 27 )، فخرج يهوذا.

لقد سلّم السيد المسيح نفسه بإرادته للموت، وبناء عليه سلّم جسده ودمه للتلاميذ. وأظهر أن كهنوته سابق للكهنوت الهارونى، لأنه على رتبة ملكى صادق. وقال بولس الرسول عن ملكى صادق إنه "مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ" (عب7 : 3). فليس المسيح هو الذى يشبه ملكى صادق إنما ملكى صادق هو الذى يشبه السيد المسيح. هكذا آدم هو شبه المسيح وليس العكس، والنص الكتابى يقول: "آدَمَ الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي" (رو5: 14). بمعنى أن آدم هو رمز للمسيح وليس السيد المسيح هو الذى يشبه آدم.

على طقس ملكى صادق

المقصود بذلك أن تقدمة الخبز والخمر التى قدمها ملكى صادق كانت رمزًا، أما الخبز والخمر الذى للسيد المسيح فهو الحقيقة. على طقس ملكى صادق تعنى على نظام ملكى صادق.. لكن ملكى صادق هو المشبه بابن الله وليس السيد المسيح هو المشبه بملكى صادق.

إن كهنوت المسيح هو أعلى من كهنوت هارون حتمًا، وبدون أى جدال، كما قال معلمنا بولس: "وَبِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ: الأَكْبَرُ يُبَارِكُ الأَصْغَرَ" (عب7: 7)، ثم يقول معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح: "صَائِرًا عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ" (عب6: 20).

إن عبارة "كاهن إلى الأبد" مفهومة أما عبارة "رئيس كهنة إلى الأبد" فتحتاج إلى شرح، ثم ما معنى كلمة "صَائِرًا"؟ هو لم يصر كاهنًا إنما صار رئيسًا للكهنة.

لم يصر كاهنًا وإنما صار رئيس كهنة

لم يصر رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق إلا عندما نفذ التلاميذ أمره حينما قال لهم: "اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو22: 19). صار الرسل كهنة يمارسون سر الإفخارستيا وقد ذكر فى سفر الأعمال أنهم: "كَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَوَاتِ" (أع2: 42).

فعندما حل الروح القدس على التلاميذ فى يوم الخمسين وبدأوا يعملون القداس، بدأ السيد المسيح يصير رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق.

أما قبل هذه الأحداث فكان كاهنًا، كان هو الكاهن الذى قدّم نفسه ذبيحة على الصليب وقدّم نفسه لتلاميذه. ويمكننا أن نقول إنه عندما قال: "اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" أصبح من هذه اللحظة رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق، لأن أمره هو فوق الزمان وهذا أمر تكليف، وبهذا أصبح رئيس كهنة، لأن هناك حتمية أن ما قال سينفذ.

سواء كان السيد المسيح "صَائِرًا" رئيس كهنة بسبب أنه قال: "اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" أو عندما حدثت بالفعل، ليس هناك فرق لأن الأوامر الإلهية والنبوات هى فى حكم الشيء الحتمى الذى لابد أن يحدث.

نحن نركز هنا على كلمة "صَائِرًا"، لأنه بدون وجود كهنة يقدمون جسد المسيح ودمه تحت أعراض الخبز والخمر لا يكون السيد المسيح رئيسًا للكهنة على رتبة ملكى صادق، ممكن أن يكون كاهنًا على رتبة ملكى صادق أى أن له كهنوتًا يقدّم ذبيحة خبز وخمر.

"صَائِرًا عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ" (عب6: 20)، عبارة "إلى الأبد" هنا تعنى ليس فقط فى أيام الرسل، إنما أيضًا خلفاء الرسل. **هنا ونخرج بنتيجة هامة وهى أن إلغاء الكهنوت فى الكنيسة هو إلغاء لرئاسة كهنوت السيد المسيح شخصيًا، وهذا أمر خطير جدًا**. ويكفى أن السيد المسيح قال: "إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يو6: 53)، فمن يريد أن يموت سريعًا يلغى كهنوت العهد الجديد، ويلغى أن جسد الرب ودمه فى الإفخارستيا هو جسد حقيقى ودم حقيقى للسيد المسيح تحت أعراض الخبز والخمر.

ذبيحة واحدة

عندما تنبأ إشعياء النبى عن الإيمان فى مصر قال: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ.. فَيُعْرَفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ وَيَعْرِفُ الْمِصْريُّونَ الرَّبَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ **وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً**" (إش19: 19، 21) لم يقل ذبائح بل قال "ذبيحة" لأنها ذبيحة واحدة. ويقول معلمنا بولس الرسول "كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ، الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ. فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ" (1كو10: 16، 17). فنحن جميعًا نتحد سويًا بالتناول من جسد المسيح فى الإفخارستيا.

إن مَن يعرف قيمة جسد الرب ودمه لا يشعر بأى حواجز تفصل بينه وبين المؤمنين الذين يتقدمون للإفخارستيا بإيمان سليم فى كل مكان فى العالم.

ليس هذا فقط، بل فى الإفخارستيا يشترك السمائيون والأرضيون.. مع أن السمائيين من القديسين تناولوا وهم على الأرض ثم ذهبوا إلى الفردوس، والملائكة لا يتناولون، إلا أن القداس هو احتفال يشترك فيه روحيًا السمائيون والأرضيون، لذلك يقول معلمنا بولس الرسول: "لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، **لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ**، فِي ذَاكَ الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عَرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ" (أف1: 10-14). وعبارة "لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى" تعنى لاقتناء الفداء.

"لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ".

لقد عمل السيد المسيح رباطًا عجيبًا بين الإفخارستيا وبين الحياة الأبدية عندما قال: "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يو6: 54).

الإفخارستيا

فى نهاية إنجيل قداس الخميس الكبير يقول: "وَأَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا **أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا** فِي مَلَكُوتِ أَبِي" (مت26: 29). لا يوجد فى الملكوت أشجار عنب ولا عصير عنب ولا زبيب ولا خمر فماذا سيشرب؟ إن ما سيشربه هو شراب روحى، إفخارستيا أبدية، شركة حب مع المسيح.

وكلمة إفخارستيا تعنى الشكر، سر الشكر. لذلك فإن تسبيح الملائكة الآن هو: "مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْت لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ" (رؤ5: 9). إن ترنيمة الشكر الجديدة للملائكة الآن فى السماء ليست "لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ" (رؤ4: 11)، إنما يقولون للحمل المذبوح القائم "لأنك ذبحت".

هذا ما تقوله الملائكة فى السماء، فهُم يشكرونه على ذبيحته. هذه إفخارستيا روحية فى السماء رآها يوحنا فى سفر الرؤيا عند العرش لأنه يقول: "وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ السفراء (الشفعاء) **حَمَلٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ**، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ" (رؤ5: 6). وقبل ذلك كان يتكلم عن الجالس على العرش الذى هو الآب، ولكنه لم ير هيئته، وإنما وصفه كالتالى: "وَكَانَ الْجَالِسُ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهَ حَجَرِ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ، وَقَوْسُ قُزَحَ حَوْلَ الْعَرْشِ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهُ الزُّمُرُّدِ" (رؤ4: 3). و"الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ" أى الأبيض والأحمر، أى الحب والعدل. ثم يقولون: "لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ5: 13).

الحفلة السماوية

**إن الحفلة السماوية التى سوف تمتد إلى آخر الدهور هى حفلة شكر على ذبيحة الصليب**. والكاهن يقول فى القداس {فلنشكر الرب} هذا الشكر نحن نعيشه الآن على الأرض، ولكنه سوف يمتد إلى الحياة الأبدية عندما تشترك الخليقة كلها فى تقديم الشكر لله الآب والابن والروح القدس على هذه الذبيحة المخلِّصة. إذًا "أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي" (مت26: 29)، تعنى إفخارستيا روحية، بلا عنب لأن السماء ليس بها عنب. إذًا القداس هو عربون للحياة الأبدية بلا شك.

**نحن نحتفل بتأسيس هذا السر العظيم سر الإفخارستيا الذى أسسه السيد المسيح بنفسه مرتبطًا بذبيحة الصليب، ويستمد وجوده من ذبيحة الصليب. وعلى الصليب أيضًا قدّم السيد المسيح نفسه بإرادته، وإن كان ذُبح بأيدى آخرين، لكن ذبح جسده كان بإرادته، وبيديه قدمه إلى تلاميذه فى ليلة الجمعة حتى لا يقول أحد إنه لم يكن بإرادته..**

**مع ذكريات هذه الأحداث نستقبل يوم القيامة المجيدة عبورًا بيوم الجمعة العظيمة التى فيها نحتفل بصلب السيد المسيح.**

**لإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين**

ليلة الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة

أحداث كثيرة جدًا متلاحقة فى ليلة الجمعة العظيمة من أهمها بعد تأسيس سر العشاء الربانى: أحاديث السيد المسيح مع التلاميذ عن الروح القدس الباراقليط، وأحاديث أخرى، وصلاته فى بستان جثسيمانى، والقبض عليه، وقبلها تحذيره لبطرس من جهة إنكاره، وأثناء العشاء تحذيره ليهوذا من جهة خيانته، وبعد القبض على السيد المسيح بدأت محاكمته فى بيت رئيس الكهنة، وبداية إنكار بطرس على عدة مواقف ودفعات، وبعد ذلك بكاؤه، ثم أيضًا أثناء المحاكمة لطم أحد خدام رئيس الكهنة السيد المسيح على وجهه وقال له "أَهَكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ؟" (يو18: 22)، هذا بالإضافة إلى أنهم استهزأوا به، وضربوه، وغطوه، وكانوا يسألونه: "تَنَبَّأْ! مَنْ هُوَ الَّذِي ضَرَبَكَ؟ وَأَشْيَاءَ أُخَرَ كَثِيرَةً كَانُوا يَقُولُونَ عَلَيْهِ مُجَدِّفِينَ" (لو22: 64، 65)، وأثناء المحاكمة كان هناك شهود زور، والحوار الهام بين رئيس الكهنة والسيد المسيح، والحكم عليه فى المجمع اليهودى بأنه مستوجب الموت.

دليل قوى على القبض على السيد المسيح شخصيًا

أثناء القبض على السيد المسيح قطع بطرس أُذن مَلخُس عبد رئيس الكهنة اليمنى، وربما كان يريد قطع رقبته لكن الضربة لم تأتِ فى محلها لأن الجمع كانوا يتزاحمون أثناء هذه الأحداث "ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بُطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلخُس، فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ: اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ. الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ ألاَ أَشْرَبُهَا؟" (يو18: 10، 11).. إبراء السيد المسيح لأذن مَلخُس يعتبر معجزة كبيرة لأنه إبراء فى الحال حيث أعادها لمكانها وثبّتها وأوقف النزيف، أو أنه خلق له أذنًا جديدة، ولا يمكن لأحد أن يعمل هذا سوى السيد المسيح، أو من يعطيه هو هذا السلطان، بعد صعوده إلى السماء وإرسال الروح القدس.

إن اسم عبد رئيس الكهنة هذا مذكور فى الإنجيل ولم ينكر اليهود هذا الحدث بعد كتابة الإنجيل. كما أن مَلخُس نفسه أو أحد أفراد أسرته أو أنسبائه كان سيعترض إن لم تكن هذه الواقعة قد حدثت بالفعل. ويغلب على الظن أن مَلخُس تأثّر بهذه الواقعة وهناك احتمال أن يكون قد آمن بالسيد المسيح. وهذه الواقعة هى من ضمن الإثباتات **على أن من قُبض عليه فى البستان هو السيد المسيح وليس آخر يشبهه، ولكنه هو نفسه الذى قُبض عليه**.

وتأكّدت هذه الواقعة بالأكثر أثناء إحدى المرات التى أنكر فيها بطرس، حيث كان هناك أحد أقارب مَلخُس أو نسيبه فقيل: "قَالَ وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ **وَهُوَ نَسِيبُ الَّذِي قَطَعَ بُطْرُسُ أُذْنَهُ**: أَمَا رَأَيْتُكَ أَنَا مَعَهُ فِي الْبُسْتَانِ؟، فَأَنْكَرَ بُطْرُسُ أَيْضًا. وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ" (يو18: 26، 27). فكان أحد أنسباء مَلخُس أيضًا من الموجودين فى البستان وليس مَلخُس فقط، وقد عرف بطرس لأنه رآه وهو يقطع أُذن نسيبه ولفتت نظره هذه الواقعة. فكان لهذه الواقعة إشارة فى إنجيل يوحنا الذى كُتب سنة 98م، ولها إشارة أيضًا فى الأناجيل التى كُتبت فى الستينات ما بين عامى 64 و 66م، ولم ينفِ أحد من اليهود حدوث هذه الواقعة أو إدعى أحد أن السيد المسيح لم يشفِ أذن مَلخُس.

انقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ

لم يفهم اليهود كلام السيد المسيح حينما قال: "انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ" (يو2: 19) فظنوه يتكلم عن الهيكل فقالوا له: "فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ أَفَأَنْتَ فِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟" (يو2: 20). فعندما شهدوا عليه أثناء المحاكمة تضاربت أقوالهم لأن بعضهم بدأ يقول إنه سيقيم هيكل غير مصنوع بالأيادى وأضافوا كلامًا من عندياتهم، ولم تتفق شهادتهم لأن يسوع كان يتكلم عن هيكل جسده: "**وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ**" (يو2: 21)، ولم يكن يتكلم عن الهيكل أى المعبد. فسارت المحاكمة بطريقة ليست فى صالح رؤساء الكهنة، لأن شهادة الشهود لم تتفق، لأنهم من البداية فهموا كلامه بطريقة خاطئة، لذلك عندما قاموا بإعادة الكلام؛ أعادوه بطريقة لم تتفق فيها شهادتهم.. فجسد السيد المسيح هو الهيكل الحقيقى لأن الهيكل كان يرمز للسيد المسيح.

استمرت المحاكمة إلى أن وجد رئيس الكهنة أن الأمر لا ينفع وشهادة الشهود لا تجدى، وأيضًا عندما سأله عن تعليمه "فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ" (يو18: 19)، أَجَابَهُ يَسُوعُ: "أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ علاَنِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ، لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ اِسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ. هُوَذَا هَؤُلاَءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا" (يو18: 20، 21)، وتطور الأمر إلى أن لطم عبد رئيس الكهنة أو أحد الخدام السيد المسيح، وقال: "أَهَكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ؟" (يو18: 22)، إذن لم يصبح الأمر مجرد استجواب وأقوال ووقائع وإثباتات قانونية.

لِمَاذَا تَضْرِبُنِي

لقد ضُرب السيد المسيح كثيرًا ولم يتكلم، لكن فى هذه المرة بالذات قال: "إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟" (يو18: 23).

لماذا كانت هذه هى المرة الوحيدة التى اعترض فيها السيد المسيح على لطمه على وجهه بينما هو لُطِم كثيرًا جدًا ولم يتكلم؟ وفى كل ما حدث بعد ذلك من جلد، وتسمير على الصليب، وأمور كثيرة جدًا ولم يعترض، حتى أن معلمنا بطرس الرسول قال: "**الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْلٍ" (1بط2: 23).**

كثيرون يستخدمون واقعة لطم السيد المسيح أثناء المحاكمة بطريقة خاطئة فكلما مسّهم أحد من قريب أو من بعيد قالوا إن السيد المسيح قال "لماذا تلطمنى؟". كلما ضايقهم أحد يتمسكون بهذه الآية فقط ولا يلتفتوا إلى الآيات الأخرى مثل: "**ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ** كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ (إش53: 7) هذه لا يذكرونها.

لم يكن اعتراض السيد المسيح لسبب اللطم. ولكنه اعترض لسبب أنها محاكمة، فلما قال له عبد رئيس الكهنة: "أَهَكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ؟"، إن لم يرد السيد المسيح على هذه العبارة يكون قد أُثبت عليه خطأ قانونى أى شرعى أثناء المحاكمة، لذلك قال له السيد المسيح: "إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ" بمعنى ما الذى قلته مخالفًا للشريعة أستحق عليه الضرب.. "وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي". إذن هو لا يعترض على الضرب إنما على الدعوى المقامة ضده من هذا الخادم والتى نتيجتها الضرب "وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي" كما أنه أراد أن ينصحه ويصحح له فهمه الخاطئ للحوار.

كراهية اليهود ورؤساء الكهنة لتعاليم السيد المسيح

كأن السيد المسيح يريد أن يقول: أنا لم أقل ما فيه إهانة لرئيس الكهنة ولا أى شيء ضد الناموس. كان رئيس الكهنة يسأله عن تعليمه، فما الذى يقوله وله أكثر من ثلاث سنوات يعلِّم؟ وقد كانت تعاليم السيد المسيح منتشرة جدًا، ووصلت لرئيس الكهنة الذى كان غاضبًا جدًا لأن السيد المسيح يقول: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ" (مت5: 44)، بينما كان رئيس الكهنة وقيادات اليهود يدبرون لثورة مسلحة ضد الاستعمار الرومانى. فقد قيل فى اجتماع سابق للمجمع اليهودى بعد إقامة لعازر من الأموات: "فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا، **فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ قَيَافَا كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ**: أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، ولاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا" (يو11: 48-50). هذا ما قاله رئيس الكهنة فى المجمع الذى سبق محاكمة السيد المسيح بحضور رئيس الكهنة. كان يشعر أن تعاليم السيد المسيح مدمرة كيف يقول: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ"، أو "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا" (مت5: 39)، أو "مَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ" (مت5: 41)، أو "صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت5: 44)؟

كل هذه التعاليم بالنسبة لرئيس الكهنة هى عملية إهدار لكرامة الأمة، وإجهاض للثورة التى كان يعدّها ضد الرومان.

فى نظر رئيس الكهنة كان السيد المسيح يدعو إلى مجتمع مسالم نتيجته هى العبودية! بينما قال السيد المسيح: "فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الاِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا" (يو8: 36). كان يريد أن يعلمهم البحث أولاً **عن الحرية من الخطية ومن الجحيم ومن الهلاك الأبدى**، لأن "مَالِكُ رُوحِهِ خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً" (أم16: 32)، وعندما تصيرون أحرارًا من الداخل سوف تصير الحرية الخارجية أمرًا سهل المنال. والدليل على ذلك أنه بعدما انتشرت المسيحية وآمن الإمبراطور الرومانى نفسه بالمسيحية، أتت الحرية لأورشليم وصارت مكرّمة بمنتهى السهولة. ألا يوجد سوى العنف كوسيلة للحرية؟

إنها مفاهيم متضاربة على 180° عكس بعضها البعض تمامًا.

عندما سأل رئيس الكهنة السيد المسيح عن تعليمه، قال له سل من سمعونى وهم يقولون لك عن تعاليمى، لأنى علّمت كثيرًا فهل أقول كل الموعظة على الجبل؟ وما الخطأ فى قولى: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (مت5: 26، 27)؟ أنا أريد أن أحرر الإنسان من الداخل من شهوة وخطية الزنى. ماذا يفيد إن كان الإنسان لا يزنى بالفعل؛ ولكن أفكاره وحواسه كلها تكون مدنسة؟! أين إذًا الحرية الداخلية؟ وأين حياة القداسة الحقيقية؟

كان السيد المسيح فى قوله هذه العبارة يقصد أن يقول إنه لم يقل شيئًا يستدعى كل ما يفعلونه الآن، فما قلته للناس كله خير وكله بركة.

القبض على السيد المسيح

عندما قبضوا على السيد المسيح، أى قبضوا على الحق، وكانوا يحاولون بمنتهى الحرص والقوة وبأية وسيلة أن يقبضوا على السيد المسيح. ما الذى قبضوا عليه؟

**من جانب؛ الحق لا يُقبض عليه** لأن النور أقوى من الظلمة، والحق أقوى من الباطل. فإذا كانوا قد قبضوا عليه من الناحية الجسدية إلا أنهم لا يقدرون أن يقبضوا على لاهوته المالئ الوجود كله. وإذا كانوا قد قبضوا عليه من الناحية الجسدية إلا أنهم لا يقدرون أن يقبضوا على المبادئ التى نادى بها والتى تجعل الناس يشعرون **أن هذا هو أعظم تعليم سمعته البشرية**، وكيف يقبضون على المبادئ!؟

**ومن جانب آخر**؛ ماذا يحدث إذا خطف إنسان قنبلة زمنية ووضعها فى حقيبته؟ فمن الذى يكون قد خطف الثانى ومن يكون قد قبض على الآخر؟ ماذا تكون النتيجة؟ النتيجة هى أنه هو الذى ينفجر. فهل يقبضون على السيد المسيح؟! الذين يقبضون عليه هم الجناة على أنفسهم إلا إذا تابوا فيما بعد.

إن السيد المسيح لم يؤذهم من الناحية الجسدية، لكن كيف يقبضوا على الحق الذى يستطيع أن يبيد الباطل فى كل الاتجاهات ويدمّره تدميرًا تامًا؟! هل يقدر الجحيم أن يقبض على الحياة؟! لم يقدر ولكنه هو الذى دُمر، وهل يقدر الموت أن يمسك الحياة؟! لم يقدر وإنما "ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ" (1كو15: 54).

رعب اليهود من قيامة السيد المسيح

لذلك عندما قام السيد المسيح من الأموات أصبحوا فى رعب، وهو لم يؤذهم جسديًا لكن انفجرت فيهم قنبلة قوية جدًا. كان الرسل يبشرون بالقيامة ويقولون: "وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذَلِكَ" (أع3: 15)، فيقولون لهم: إياكم أن تبشّروا بالقيامة ولا أن تذكروا هذه الكلمة "أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هَذَا الإِنْسَانِ" (أع5: 28)، أتريدون أن تثبتوا أننا مجرمون؟ والمصيبة الأكبر هى أن رئيس الكهنة كان من شيعة الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة. فكانت قيامة المسيح تدميرًا لشيعتهم أو طائفتهم. كان الفريسيون يؤمنون بالقيامة. فى إحدى المرات جاء إلى السيد المسيح واحد من الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة وسأله قائلاً: "كَانَ عِنْدَنَا سَبْعَةُ إِخْوَةٍ وَتَزَوَّجَ الأَوَّلُ وَمَاتَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسْلٌ تَرَكَ امْرَأَتَهُ لأَخِيهِ، وَكَذَلِكَ الثَّانِي وَالثَّالِثُ إِلَى السَّبْعَةِ، وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا، فَفِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنَ السَّبْعَةِ تَكُونُ زَوْجَةً؟ فَإِنَّهَا كَانَتْ لِلْجَمِيعِ!" (مت22: 25-28)، فقال لهم: "تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللَّهِ، لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ" (مت22: 29، 30).

لقد كانوا يظنون إنهم قد وضعوا له لغزًا لا يعرف أحد أن يحله، لأنه بحسب الشريعة تزوجت المرأة بسبعة إخوة فلمن ستكون بعد القيامة. فنسف لهم بكلمات قليلة المَثل الذى قدموه وانتهى الأمر. ولكنهم بالرغم من ذلك لم يؤمنوا، وقال لهم: "أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ: أَنَا إِلَهُ إِبْراهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. لَيْسَ اللَّهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ" (مت22: 31، 32).

وما فائدة الحياة إن لم يقم الإنسان مرة أخرى بعد الموت؟ وما فائدة أن يعمل خيرًا أو يعمل شرًا؟ لو كان الأمر كذلك؛ إذًا "فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ!" (1كو15: 32) مثل الأبيقوريين.

لا يوجد معنى للحياة نهائيًا بدون القيامة، ولذلك كانت كل أطماعهم دنيوية، لأنهم يريدون أن يتمتعوا بالدنيا قبل أن يموتوا، لأنه ليس هناك قيامة فى معتقدهم.. هم جسدانيون لا روح لهم.

كانت القيامة قنبلة فجّرت عقيدتهم، فكانوا كإنسان خطف قنبلة. لو لم يقترب الصدوقيون من السيد المسيح بالسؤال لما فضحوا أنفسهم فى المواجهة، وربما ظل الأمر مستورًا بالنسبة لهم. ولكنهم هم الذين أتوا إليه وطرحوا أحاجيهم ليخدعوا الناس، كان الأفضل لهم أن يختبئوا، ولكنهم تصدروا لرب الحياة نفسه لأنهم مغتاظون أنه يعلّم عن الحياة الأبدية. كان الأفضل لهم أن يتركوه، ولكنهم تصدروا له... مثل إنسان يقف أمام القطار وهو قادم بأقصى سرعة ويريد أن يوقفه!

إن القبض على المسيح فى حد ذاته واقعة لا تمر بسهولة.. أتقبضون على المسيح! لقد تسببتم بهذا فى كارثة لأنفسكم، وكارثة لمعلمكم الكبير الذى هو "أَبُو الْكَذَّابِ" (يو8: 44) أى الشيطان. أليس هو مَن دفعكم لهذا العمل؟!

البعد الآخر للأحداث الحزينة

لذلك، ونحن نعيش هذه الأحداث مع ذكرياتها لابد أن نرى البُعد الآخر. نحن نرى البُعد الحزين وهو أن السيد المسيح قُبض عليه وضُرب، لكن لابد أن نرى البُعد الآخر وهو أن نرى الظلم وهو ينهار، نرى الباطل وهو يتبدد، نرى العقائد الخربة وهى تتفجر، نرى الجحيم وهو يفقد سلطانه، نرى الشيطان وهو يتجرد من رتبته، كما قال بولس الرسول: "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ اشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (الصليب)" (كو2: 15).

عندما يتم تجريد قائد كبير من قواد الجيش (الشيطان كان أكبر درجة فى رؤساء الملائكة ولكنه سقط)، يتم عمل محفل، ويقوموا بنزع الرتب الموضوعة على أكتافه، بعد أن يُقرأ بيان بأسباب نزع الرتبة العسكرية.

كان القديس بولس الرسول يحمل الجنسية الرومانية لذلك كان أحيانًا يستخدم تعبيرات من الواقع المعاش، خاصة وأن الرومان كانوا هم أصحاب السلطان العسكرى، فأخذ هذا الاقتباس "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ اشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (الصليب)". لذلك فإن الكنيسة فى تذكار الجمعة العظيمة ترتل لحنOmonogenhc الذى نقول فيه "**قدوس الله الذى أظهر بالضعف ما هو أقوى من القوة**".

محاكمة السيد المسيح

لقد كانت محاكمة السيد المسيح أمام المجمع اليهودى فاشلة من جميع الجهات، وشعر رئيس الكهنة أن الأمر لا يسير فى صالحه، وأن المحاكمة سوف تنتهى على لا شيء، وهى أصلاً محاكمة غير قانونية لأنها تمت ليلاً، والمعروف أن المحاكمة القانونية لابد أن تكون فى نهار اليوم. لذلك تجدون فى إنجيل لوقا فى الجزء الخاص بالمحاكمة أنهم عادوا وعقدوا المجمع مرة أخرى باكر الجمعة، أعادوا المحاكمة مرة أخرى، ولكن كرروها باختصار، وعملوا أيضًا تمثيلية الشهود، وسأله رئيس الكهنة نفس السؤال، وكرروا إصدار الحكم، ولكن بسرعة، ثم تشاوروا وقرروا أن يأخذوا السيد المسيح ويسلموه للحاكم الرومانى بونتيوس بيلاطس.

فى فصل الإنجيل الذى يقرأ فى ليلة الجمعة العظيمة لم يذكر القديس لوقا الانجيلى المحاكمة نهائيًا ولكنه ذكر إنكار بطرس. وطريقة القديس لوقا هى أنه يلتزم دائمًا بأفكار معينة وليس بالترتيب الزمنى للأحداث. مثال لذلك أنه قال أن المسيح اعتمد من يوحنا المعمدان بعدما كان قد ذكر قصة يوحنا بكاملها إلى أن ذكر أن يوحنا وُضع فى السجن، ثم بعد ذلك قال: "وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا" (لو3: 21)، أى أنه ذكر معمودية السيد المسيح بعد واقعة سجن يوحنا، لأنه كان يريد أن ينتهى من قصة معينة فأنهاها ثم انتقل إلى واقعة أخرى حدثت أثناء القصة الأولى، هذا هو منهج القديس لوقا باستمرار.

وللأسف فإن هذا المنهج سبب بلبلة كبيرة للبعض فى موضوع تناول يهوذا الإسخريوطى.

ترتيب الأحداث وهل تناول يهوذا

لقد ذكر القديس متى والقديس مرقس أن السيد المسيح ناقش خيانة يهوذا قبل أن يعطى جسده ودمه للتلاميذ، والقديس يوحنا ذكرها أيضًا قبل أن يعمل القداس وقال: "هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ" (يو13: 26) أى لقمة من عشاء الفصح اليهودى، "**فَذَاكَ لَمَّا أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ لِلْوَقْتِ. وَكَانَ لَيْلاً**" (يو13: 30)، وبعد ذلك قال: "الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِيهِ" (يو13: 31)، ولم يذكر القديس يوحنا فى إنجيله أن السيد المسيح قال خذوا كلوا هذا هو جسدى واشربوا هذا هو دمى لأنه كان قد ذكر أهمية أكل جسد ابن الإنسان وشرب دمه فى حديث السيد المسيح فى الإصحاح السادس بعد معجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين. كما أن إنجيل يوحنا كُتب عام 98م تقريبًا وكانت الكنائس كلها فى ذلك الحين تصلى القداس وفيه هذه العبارات فلم يكن محتاجًا أن يروى أن السيد المسيح أخذ خبزًا وشكر وبارك وقسم وأعطى للتلاميذ وقال خذوا كلوا، وأيضًا الكأس وقال خذوا اشربوا، لأن كل هذا كان يُقال فى القداسات وكانت الناس تحفظه. لقد كتب القديس يوحنا إنجيله بعدما تأسست الكثير من الكنائس وكانت كلها تصلى القداسات، لذلك دخل مباشرة على أحاديث السيد المسيح فى ليلة آلامه، والمناجاة مع الآب الموجودة فى الإصحاح السابع عشر من إنجيل القديس يوحنا وهى من أجمل الفقرات الموجودة فى العهد الجديد، حينما بدأ السيد المسيح يناجى الآب ويقول: "وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ" (يو17: 5).

اختلط الأمر على البعض بسبب أن القديس لوقا ذكر أن السيد المسيح عمل الفصح اليهودى وأنهاه وذكر أن السيد المسيح قال: "شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ" (لو 22: 15)، كان القديس لوقا منحصرًا فى موضوع الفصح فدخل على الفصح الجديد أى الإفخارستيا أو العشاء الربانى، ولأن خيانة يهوذا أمر محزن فلم يذكرها إلا بعدما أنهى واقعة أن السيد المسيح ناول التلاميذ، فعاد يتكلم فى موضوع خيانة يهوذا، ومن ضمن ما قال: "هُوَذَا يَدُ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى الْمَائِدَةِ" (لو22: 21). فاختلط الأمر على البعض لأن القديس لوقا ذكر أن السيد المسيح ناول التلاميذ ثم قال أن يد يهوذا معه على المائدة. بينما هذا هو منهج القديس لوقا لأنه، كما قلنا، ذكر أن يوحنا المعمدان سُجن وبعدها ذكر معمودية السيد المسيح.

البعض يظن خطأ من هذا الترتيب أن يهوذا تناول من جسد الرب ودمه، وهذا لم يحدث.. هل السيد المسيح وهو رئيس الكهنة الأعظم يناول يهوذا وهو متأكد أنه سوف يخرج ويسلمه؟!!! وليس فقط متأكد وإنما المزامير والنبوات أكّدت أن هذا سيحدث.

هل يمكن أن يعرف أى أسقف اليوم أن شخصًا قد صمم أنه سوف يخرج من القداس ليقتل زوجته، ويكون متأكدًا من أنه سوف يقتلها، وهو قال له أنا سأقتل زوجتى وها هو المسدس، ويناوله!؟!

لو أن رئيس الكهنة الأعظم ناول أكبر خاطئ فى تاريخ البشرية فمن يقدر أن يمنع أى أحد غير تائب ومصمم على خطيئته من التناول؟ بذلك تكون كل قوانين الكنيسة مجرد حبر على ورق، ولا داعى لقول معلمنا بولس الرسول: "وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ" (1كو11: 28)، "**لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ" (1كو11: 29).**

إذا كان يهوذا قد تناول؛ فأى إنسان مهما كان شره، ومهما كان غير تائب، سيقول بقوة: لا أحد يقدر أن يمنعنى من التناول. لذلك قال معلمنا بولس الرسول لتلميذه تيطس أسقف كريت: "مُقَدِّمًا فِي التَّعْلِيمِ نَقَاوَةً، وَوَقَارًا، وَإِخْلاَصًا، وَكَلاَمًا صَحِيحًا غَيْرَ مَلُومٍ، لِكَيْ يُخْزَى الْمُضَادُّ" (تي2: 7، 8)، ويقول أيضًا: "مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاِسْتِقَامَةِ" (2تي2: 15).

هذا تحذير.. ذكرناه بمناسبة أننا فى ذكريات العشاء الربانى هذه الليلة، وذكرناه أيضًا بمناسبة أن القديس العظيم لوقا الإنجيلى أحد الإنجيليين الأربعة ذكر المحاكمة فى صباح اليوم التالى، وهو بذلك لم يخطئ –لا سمح الله- وإنما ذكر أن اليهود عقدوا محاكمة صورية صباح اليوم التالى لكى يفلتوا من موضوع أنهم عملوا محاكمة غير قانونية بالليل.

جوهر موضوع المحاكمة

عندما وجد رئيس الكهنة أن الأمر لا يسير فى صالحه أراد أن ينهى الموقف، فجاء إلى السيد المسيح وسأله: "أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَؤُلاَءِ عَلَيْكَ؟ أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ" (مر14: 60، 61) فلم يرد السيد المسيح أن يتكلم، فقال له رئيس الكهنة: "أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟" (مر14: 61)، "**أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا**: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟" (مت26: 63)، طبعًا لم يكن من الممكن ألا يجيب السيد المسيح على هذا السؤال. لقد كان صامتًا أمام جميع الاتهامات السابقة كقولهم إنه قال إنه سيهدم الهيكل وهو لم يقل أنه سيهدم هيكل العبادة أى هيكل سليمان الذى أعيد بنائه، لكنه لم يدافع عن نفسه بل تركهم يقولون ما يقولون. أما بالنسبة لهذا السؤال فهو لا يقدر ألا يجيب خاصةً أن رئيس الكهنة قال له: "أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ".

بالنسبة لقيافا كان هذا الموضوع فى ذهنه هو أخطر شيء يمكن أن يُناقش فى المحاكمة. وكما سمعتم فى إنجيل متى قال له رئيس الكهنة: "أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ"، وفى إنجيل القديس مرقس: "أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتًا وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا: أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟ **فَقَالَ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ**" (مر14: 61، 62)، وفى إنجيل متى رد بقوله: "أَنْتَ قُلْتَ!" (مت26: 64).

من الجائز أن يكون قد قال له: "أنت قلت أو أنت تقول وأنا هو"، أى أنه يمكن أن يكون قد قال العبارتين معًا، أو "أنا هو كما قلت"، لكن من يكتب يمكنه أن يصيغ العبارة بالأسلوب الخاص به مع عدم تعارضها مع بعضها البعض. فعبارة "أنت قلت" تعنى "أنا هو" فهى تحمل نفس المعنى أيضًا.

ما يهمنى هو ما ورد فى إنجيل مرقس أى "**أنا هو**" لأن البعض يقولون إن السيد المسيح عندما يقول "أنت قلت" قد تعنى "هذا رأيك أنت"، لكن هذا قلب للحقائق فى التفسير.

عبارة "**أنا هو**" لها معنيان: المعنى الأول هو "أنا هو الذى قلته أنت فى سؤالك"، والمعنى الآخر وهو لا يختلف عن الأول ولكن له بُعد كبير جدًا فهو أن هذا هو الاسم الذى قاله السيد المسيح لموسى عندما ظهر له فى العليقة وسأله موسى عن اسمه، وكان الذى ظهر لموسى هو سفير يهوه מַלְאַ֙ךְ יְהוָ֥ה (ملآخ يهوه) فقال لموسى: "إهيه" وهى باللغة العبرية تعنى "**أنا هو**".

بالنسبة لنا نحن كمصريين أو كيونانيين أو غيره "أنا هو" أى "أنا هو الذى تتكلم عنه"، لكن بالنسبة لليهود فإنهم عندما كانوا يكتبون فى الكتاب المقدس اسم "**إهيه**" أى "**أنا هو**"، أو اسم "**يهوه**" أى "**هو يكون**" كانوا يقومون بتغيير الريشة التى يكتبون بها والحبر الذى يستخدمونه، ويغتسلون ويرتدون ملابس جديدة فقط لكى يكتب كلمة "**أنا هو**".

فى إنجيل القديس يوحنا الإصحاح الثامن قال السيد المسيح مرتين: "إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا **أَنِّي** أَنَا هُو تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ" (يو8: 24)، و"مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ **أَنِّي** أَنَا هُوَ" (يو8: 28)، وعندما يسبق "أنا هو" كلمة "إنى" تكون "أنا هو" عبارة عن لقب أو اسم. لأن أى شخص يقول تفهمون إنى أنا هو المسيح مثلاً، أو إنى مرسل من الله، أو إنى أنا هو المخلّص، لكن لا يمكن لأى إنسان أن يقول للناس: "ستعرفون إنى أنا هو"، أنا هو ماذا؟ وأنا هو مَن؟ بهذه الصورة تكون جملة ناقصة لغويًا.

مثال: يمكن لأحد أن يقول "سوف تعرف إنى أنا هو الطبيب الوحيد الذى يستطيع أن يعمل لك هذه العملية"، أى إنى الطبيب.. إنى الدكتور.. إنى صاحب هذه الأرض.. لكن "إنى أنا هو" لا يمكن أبدًا أن تكون عبارة لها معنى، فهى جملة ناقصة إلا فى حالة واحدة وهى أن تكون "أنا هو" اسم، أى "إنى يهوه".

إن اسم "يهوشوع" أو "يشوع" أى" يسوع" تعنى "يهوه خلّص"، لكنهم كانوا يعتقدون أن هذا مجرد اسم يمكن أن أى شخص يُسمى به، أما عندما يقول "أنا هو" فإن هذا هو الاسم الخصوصى الذى قاله الله لموسى على الجبل.

لقب ابن الإنسان وإعلانات جديدة

لقد فجّر السيد المسيح الموقف حينما قال: "**أنا هو**" ثم قال أيضًا: "وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ **ابْنَ الإِنْسَانِ** جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ" (مر14: 62).

كان السيد المسيح كثيرًا ما يستخدم لقب "**ابن الإنسان**" عن نفسه عندما يتناقش مع الناس، وحتى مع تلاميذه، فيقول لهم مثلاً: "هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ **وَابْنُ الإِنْسَانِ** يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ" (مت20: 18)، أو "فَإِنَّ **ابْنَ الإِنْسَانِ** هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا" (مت12: 8) إلخ. كلما كان يتكلم عن نفسه كان يقول "ابن الإنسان"، وهم يعرفون جيدًا أنه يطلق على نفسه هذا اللقب. فربط هنا اسمه المشهور الخاص به هذا بنبوة دانيال النبى وبذلك فجّر قنبلتين الواحدة تلو الأخرى.

يقول دانيال النبى: "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ **مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ** فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ، فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. **سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ**" (دا7: 13، 14). المقصود بعبارة "**قَدِيمِ الأَيَّامِ**" هنا هو الآب، لكن عبارة "**قَدِيمِ الأَيَّامِ**" أُطلقت مرتين فى نفس الإصحاح: مرة على الابن ومرة على الآب.

يقول: "فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا" فهل هو مجرد ملك أو مجد؟ لا. وإنما "سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ **وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ**". إذن هو هنا يتكلم عن شخص عظيم جدًا هو بالطبع السيد المسيح ابن الله، المولود من الآب قبل كل الدهور، الذى تجسد فى ملء الزمان، والذى قال الملاك لوالدته: "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ **وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ**" (لو1: 32، 33).

"فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ" (مر14: 63، 64).

يوسف ونيقوديموس

عبارة "َالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ" (مر14: 64) لا تؤخذ بصفة مطلقة لأن نيقوديموس مثلاً لم يكن موافقًا. ومكتوب عنه فى الأناجيل: "هَذَا لَمْ يَكُنْ مُوافِقًا لِرَأْيِهِمْ وَعَمَلِهِمْ" (لو23:51)، حينما ذهب ليستأذن الوالى الرومانى أن يأخذ الجسد هو ويوسف الرامى. يوسف الرامى قيل عنه إنه كان: "يَنْتَظِرُ مَلَكُوتَ اللهِ" (لو23: 51)، ونيقوديموس قيل عنه "لم يكن موافقًا لرأيهم"، وهو الذى: "جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ" (يو3: 2).

كان نيقوديموس مؤمنًا بالسيد المسيح، وعمل عملاً عظيمًا جدًا، لأن الشريعة تمنع أن يتنجس أحد لميت إلا إذا كان أخيه أو أبيه أو أحد أقاربه. من يلمس جسد ميت بحسب الشريعة لا يقدر أن يقترب أو يأكل من المقدسات إلا بعد الاغتسال والانتظار فترة. إلا أن يوسف ونيقوديموس طلبا جسد السيد المسيح.. يا ويلكما يا يوسف ونيقوديموس من اليهود لأنكما لمستما جسد ميت وقيل إن "يَوْمَ ذَلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيمًا" (يو19: 31).

ولكن يوسف ونيقوديموس اخترقا كل هذا بالإيمان بأن هذا هو ما تنبأ عنه دانيال النبى بأنه "قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ" (دا 9: 24) لذلك فالذى يلمسه لا يمكن أن يتنجس بل إنه قد طهّر الأبرص النجس –حسب الشريعة- بمجرد أن لمسه بيده. لقد قيلت هذه الوصية عمن ماتوا وهم يستحقون الموت لأن حكم الموت كان قد صدر ضدهم بسبب الخطية. نعم كان الموت قبل إتمام الفداء نجاسة. ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك، "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رو6: 23). أما قدوس القديسين فقد "حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إش53: 12)، فالذى يلمسه يتطهر. لقد رأى نيقوديموس الأبرص يطهُر عندما لمسه السيد المسيح فى الوقت الذى كان فيه الأبرص يجلس على باب المدينة ويغطى أنفه بكمامة وينادى: نجس نجس "وَالأَبْرَصُ الَّذِي فِيهِ الضَّرْبَةُ تَكُونُ ثِيَابُهُ مَشْقُوقَةً وَرَأْسُهُ يَكُونُ مَكْشُوفًا وَيُغَطِّي شَارِبَيْهِ وَيُنَادِي: نَجِسٌ نَجِسٌ" (لا13: 45)، فلا يقترب منه أحد، لأن البرص ينتقل بالعطس. كان السيد المسيح يلمس المعتبرين نجسين فى حكم الشريعة اليهودية. وقيل عن الأبرص إنه بلمسة السيد المسيح: "لِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ" (مر1: 42). لذلك كان نيقوديموس يفهم أنه عندما يلمس جسد يسوع سيأخذ بركة. ولأجل ذلك رتبت الكنيسة فى يوم الجمعة العظيمة أن يقال لحن "غولغوثا" ليوسف ونيقوديموس. وبينما هما يدفنان السيد المسيح سمعا الملائكة تقول: "قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت" أى الثلاث تقديسات.

يزيد البعض على تسبحة الملائكة هذه بعض الخرافات إذ يقولون إن يسوع فتح عينيه وابتسم لهما. وهم بهذا يعطون الفرصة لمن هم ضد صلب السيد المسيح أن يقولوا أن يسوع كان مغشيًا عليه ولم يمت على الصليب. وقد أخذ المجمع المقدس قرارًا بأن تُشطب من القراءة العبارة التى تقول أن يسوع فتح عينيه.

نزول الدم والماء

هناك قراءات أخرى غير صحيحة مثل قولهم إن يسوع عندما ضُرب بالحربة ونزل من جنبه دم وماء فهذا دليل على أنه لم يمت، وهذا طبعًا غير صحيح، وقد شطب بقرار من المجمع المقدس أيضًا.

إن نزول الدم كان نتيجة لأن الجَلد العنيف قد مزق الشرايين التى حول القفص الصدرى، لأن الكرباج عبارة عن ثلاثة سيور من عصب البقر، فى طرف كل سير قطعتان من المعدن أو من عظم البقر، وكان الكرباج يلتف حول الصدر فيمزّق الشرايين، ونتيجة لذلك حدث نزيف داخلى حاد، هو الذى سبب الوفاة، لأنه مكتوب: "لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ **ذُبِحَ** لأَجْلِنَا" (1كو5: 7). لقد كان مذبوحًا من الداخل وليس فى رقبته، والذبح من الداخل أصعب، ومذبوح من الداخل تعنى أن مشاعره كانت مجروحة فى داخله.

سَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ

هذه العبارة التى قالها السيد المسيح هى عبارة خطيرة جدًا..

ماذا تعنى هذه العبارة؟ وكيف سيبصرون هذا؟ هل هم سيرون ملكوت السماوات؟

من يؤمن سيرى ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة، كما قال القديس إستفانوس: "هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ" (أع7: 56). فعبارة "وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ": يمكن أن تؤخذ بمعنى عام، وليس بالتحديد للذين يرفضون المسيح، فهو يكلّم البشرية كلها فيقول إن البشرية سوف تراه جالسًا عن يمين القوة، ولكن فقط من يؤمن هو الذى سوف يراه جالسًا عن يمين القوة، سواء فى رؤيا مثل إستفانوس، أو عندما يذهب إلى الملكوت، أو فى رؤيا مثل التى سجلها يوحنا الحبيب فى سفر الرؤيا.

ولكن هناك مغزى آخر غير رؤيته فى ملكوته، أو فى استعلان مثل إستفانوس أو رؤيا مثل يوحنا، أما الرؤيا التى يتكلم عنها هنا فلها بُعد آخر، حيث قال فى إنجيل متى (كما ورد فى قراءات يوم الثلاثاء من البصخة): "ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ" (مت16: 27)، وقيل فى موضع آخر "مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ" ويكمل "**فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ**" (مت25: 31)، ولذلك ترتل الكنيسة لحن Pek`Qronoc (بيك إثرونوس) أى "كرسيك يا الله"، "فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ" (مت25: 33).

إذًا فى يوم الدينونة سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته القديسين، وسيجلس على عرش مجده ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره. وهو يضيف هنا: "وَآتِيًا فِي سَحَابِ السَّمَاءِ" وهذا هو منظر مجيئه الثانى.

طبعًا لن يرى أحد الآب لكن القديس يوحنا قال: "وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ، وَكَانَ الْجَالِسُ فِي الْمَنْظَرِ شِبْهَ حَجَرِ الْيَشْبِ وَالْعَقِيقِ... وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشًا. وَرَأَيْتُ عَلَى الْعُرُوشِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ سفيرًا (شفيعًا)... وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ أحَيَاء مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا مِنْ قُدَّامٍ وَمِنْ وَرَاءٍ" (رؤ4: 2-6)، لكنه لم ير أحدًا. مجرد أنه رأى لونًا أبيضًا مثل الألماظ ولونًا أحمرًا مثل العقيق.

لذلك حينما قال السيد المسيح إنه يأتى فى مجد أبيه، أو إنه يأتى على السحاب، وإنه سوف يجلس على عرش مجده، فهو يقصد أنهم سوف يرونه آتيًا فى مجد الآب وجالسًا على العرش فى موضع القوة.

فإذا كان داود النبى يقول: "جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ. لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ" (مز16: 8)، إذن "عن يمين القوة" هنا طبعًا لا تعنى أنهم سيرون الآب، ولكن تعنى أنهم سوف يرون المسيح فى مجد أبيه. سوف يرونه بطريقة لن تفرحهم بل: "حِينَئِذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَلِلآكَامِ: غَطِّينَا" (لو23: 30).

لم يكن السيد المسيح يقصد أن يغيظهم بهذا الكلام، وإنما يقصد أن يقول الحق شهادة للأجيال لأنه هو الله الكلمة وأتى لكى يعلن الحق. لكنهم اغتاظوا جدًا لأنه ربط هذه العبارة مع النبوة التى وردت فى الإصحاح السابع من سفر دانيال. وكأنه يقول لهم أنتم لا تفهمون الكتاب المقدس لأن دانيال النبى قال: "وَإِذَا **مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ** أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ... **سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ**" (دا7: 13، 14).

الحكم على السيد المسيح والاستهزاء به

وكما هو متوقع قال رئيس الكهنة: "مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟"، حيث بلغ السيد المسيح إلى ذروة القمة التى ليس بعدها قمم أخرى. فقال "مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ". لقد سألهم عن رأيهم وهو يعرف الإجابة، لأنهم كانوا قد أصدروا الحكم عليه بالموت من بعد إقامة لعازر وكانوا متفقين على ذلك.

إذًا لم يأت رئيس الكهنة ليحضر محاكمة ثم يرى ما يحكم به ضميره، ولكنها كانت مؤامرة وليست محاكمة. هو يعرف الإجابة، ولكنه سألهم لكى ينطقوا بها، أما هم فقد ازدادوا سخطًا أكثر من ذى قبل من الكلام الذى قاله السيد المسيح بمنتهى الصراحة: "فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ، فَابْتَدَأَ قَوْمٌ يَبْصُقُونَ عَلَيْهِ وَيُغَطُّونَ وَجْهَهُ وَيَلْكُمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ: تَنَبَّأْ لَنَا **أَيُّهَا الْمَسِيحُ**. وَكَانَ الْخُدَّامُ يَلْطِمُونَهُ" (مر14: 64، 65). عبارة "أَيُّهَا الْمَسِيحُ" التى قالوها وهم يهزأون به هى للسخرية.

كان الضرب على مرحلتين: المرحلة الأولى كانت من أعضاء مجمع السنهدرين أنفسهم، ثم بعد ذلك الخدام لأنه كما يقول المثل: [إذا كان رب البيت بالدف ضاربًا فشيمة أهل البيت كلُّهم الرقص]، لذلك ورد فى نبوءة إشعياء: "بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ" (إش50: 6).

لابد هنا أن ننتبه إلى نقطة هامة وهى أن السيد المسيح لم يتألم جسديًا فقط، لأن الخاطئ لابد أن يتم الاستهزاء به، وهو قد حمل خطايانا وقيل: "هُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إش53: 12). لذلك قَبِل أعلى مستوى من الاستهزاء وهو أعظم شخصية ظهرت على وجه الأرض، هذا الاستهزاء هو ما نستحقه نحن بسبب خطايانا. فلا يظن أحد أن رحلة الآلام هى آلام فقط، لكن لابد أن نرى الجانب الآخر وهو عار الخطية وهُزأها.

شيطان الخطية

أنا أتصور أن من كانوا يعملون هذه التصرفات كانت بهم شياطين، مثل من ينتف لحية السيد المسيح، أو من يبصق فى وجهه، أو من ينهال عليه باللطم، بينما هو لم يعمل شيئًا لأى منهم، لأن كل من يعمل الخطية به شيطان. هناك شيطان الزنا، وشيطان الغضب، إلخ.. فالشياطين أنواع كثيرة.

إذا هم الإنسان بعمل خطية لابد أن يتذكر أن من عملوا هذه الأعمال بالسيد المسيح كانت بهم شياطين.

نحن الآن نستعد لباقى أحداث الجمعة العظيمة، وإن شاء الرب وعشنا نقدر أن نرى بقية الأحداث مع السيد المسيح

**يوم الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة**

كانت ظلمة على كل الأرض

كانت ظلمة من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة حينما صُلب السيد المسيح.. "وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ **كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ** إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ" (مت27: 45)..

**لأن الطبيعة التى خلقها أرادت أن تحتج**، كما قال السيد المسيح لليهود حينما جاءوا للقبض عليه: "**هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ**" (لو22: 53). ونحن نقول فى القداس الإلهى عن السيد المسيح: {وفى آخر الأيام ظهرت لنا نحن **الجلوس فى الظلمة** وظلال الموت}، وقد تنبأ إشعياء النبى أيضًا قائلاً: "**اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ** أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ **ظِلاَلِ الْمَوْتِ** أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (إش9: 2).

لقد عاش العالم فى ظلمة منذ سقوط آدم وحواء، وإن كانت الشمس قد استمرت فى الشروق يوميًا كى يستطيع البشر أن يمارسوا حياتهم الطبيعية.. ولكن فى الحقيقة كانت هناك ظلمة خيّمت على العالم كله، وكانت أرواح البشر تذهب إلى الجحيم تحت سلطان الظلمة. فكان لابد أن يتضح أن هذه الظلمة موجودة فى الوقت الذى كان فيه السيد المسيح يوفى دين البشرية، مثلما ذُكر عنه فى سفر الرؤيا: "وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ19: 15). استمرت الظلمة ثلاث ساعات ولكن فى الحقيقة هذه الثلاث ساعات كانت تعبِّر عن الظلمة التى استمرت آلاف السنين، رغم أن البشر لم يدروا بفظاعة الظلمة الكائنة كل هذه السنوات. وإن كانت هناك المعاناة التى كانت البشرية تشعر بها خوفًا من الموت، وبالأكثر عندما تذهب الأرواح إلى الجحيم.. وعن ذلك قال معلمنا بولس الرسول: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ. **وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ**" (عب2: 14، 15).

**الشمس أيضًا قد أخفت شعاعها خجلاً، لأنهم عرُّوا السيد المسيح من ثيابه، فأعلنت الشمس خجلها من تعرية خالقها ولذلك أظلمت**، مع أن عيد الفصح اليهودى يقع فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى أى فى التوقيت القمرى، عندما يكون القمر فيه كاملاً، وحتى الآن يطلق الناس على القمر المكتمل ضوؤه كلمة "قمر 14" أى الرابع عشر من الشهر القمرى، ومن الناحية الفلكية عندما يكتمل ضوء القمر فهذا يعنى أن ظل الأرض غير واقع عليه أى أن الشمس والقمر متعامدان مع بعضهما بالنسبة للأرض بزاوية قائمة، ولا يمكن أن يكون القمر قد وقع بين الأرض والشمس بعد ظهر يوم 13 من الشهر. وكان يوم الجمعة هو يوم ذبح خروف الفصح ويوم السبت هو عيد الفصح عند اليهود أى أن الصلب كان فى الساعات السابقة مباشرة ليوم السبت الذى فيها كان "القمر 14" ويكون فى وضع من المستحيل فيه أن يحجب الشمس عن الأرض والذى يُدعى الخسوف الشمسى، وهذا يحدث أحيانًا ويشاهده العالم فى مناطق معينة. ولكن هذا كان من المستحيل أن يحدث يوم صلب السيد المسيح. **فكيف إذًا أظلمت الشمس**؟!! **هذه معجزة لا يمكن أن تحدث من الناحية الفلكية.. فهى معجزة خارقة للطبيعة**، وهذا ليس بعجيب أن يحدث مع السيد المسيح الذى أقام لعازر من القبر بعد موته بأربعة أيام.

بين السيد المسيح وآدم

ما فعله اليهود بالسيد المسيح هو عكس ما قد فعله هو مع آدم.. عندما مر السيد المسيح فى الفردوس بعد سقوط آدم فى المعصية، وعند هبوط ريح النهار اختبأ آدم وحواء منه: "وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ **مَاشِيًا** فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ **فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ** فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: "أَيْنَ أَنْتَ؟"[[5]](#footnote-5) (تك3: 8، 9)، أما آدم فقال له: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تك3: 10)، قال له السيد المسيح {ليس من عادتك أن تخاف عند سماع صوتى فما الذى حدث}.. "مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟" (تك3: 11) كنت أنت وحواء عريانين من قبل ولم تشعرا بهذا الخجل فما الذى جعلك تشعر بأنك عريان الآن؟ "هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟" (تك3: 11)، فظهر خزى عُريك وشعرت أنك عريان؟ لأنك أصبحت عريانًا من البر والنعمة.. ثم ذبح السيد المسيح ذبائح وسلخها وصنع أقمصة من جلد واحدًا لآدم وآخر لحواء، طبعًا الجلد لكى يجف يعرضونه للشمس ويستغرق وقتًا ولكن عند السيد المسيح ليس شيء غير مستطاع، لأن الذى يخلق من العدم ويخلق من الطين ويمشى على الماء يقدر أن يجفف الجلد ويستر آدم وحواء. وقال له يا آدم إنك فى خجل من عريك وأنا سوف أستُرك بالذبيحة، ولكن **ستمر الأيام وستأتى الذبيحة الحقيقية على الصليب كى تكسو عُرى خطيتك**، أنت صنعت ثيابًا من ورق التين لتستر نفسك ولكن ورق التين سوف يجف ويسقط، وهذا هو رياء الإنسان، ولكن "بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ" (عب9: 22)، **بدون ذبيحة لن تُستر الخطايا أبدًا.**

لكن العجيب أن هذا ما فعله السيد المسيح مع آدم عندما أخطأ

وأما بنو آدم -أولاده- فقد عروا السيد المسيح من ثيابه

وسمّروه على الصليب!!

فماذا تفعل الشمس لتستر خالقها؟!!

لقد أظلمت لكى تخفى هذا العرى

حينما لم يخجل البشر من أفعالهم البشعة..

خجلت الشمس بدلاً منهم

يخرج المأسورين من بيت السجن

هذا اليوم كان يومًا رهيبًا جدًا لأنه بعد أن سلّم السيد المسيح روحه على الصليب، وبعد اعتراف اللص اليمين على الصليب بالمسيح وقال: "اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو23: 42، 43).. صرخ السيد المسيح الصرخة الأخيرة وهى فى الحقيقة صرخة الانتصار عندما قال: "يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ" (لو23: 46)، حينئذ "الأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ. والْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ" (مت27: 51، 52)، لكن لم يقم القديسون فى وقتها ولكن فقط تفتحت القبور كى تكون مجهزة لخروجهم منها عند قيامتهم بعد قيامة السيد المسيح، حيث مكتوب: "وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ. **وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ** وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ" (مت27: 52، 53).

فى وقت تسليم السيد المسيح الروح، دمر الجحيم ولذلك تفتحت قبور القديسين لأن القبور المغلقة كانت رمزًا للجحيم، كما يقول الآب للابن بلسان إشعياء النبى: "أَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ.... **لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ**" (إش42: 6، 7)، ويقول معلمنا بطرس أيضًا عن السيد المسيح: "مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا **ذَهَب فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ**" (1بط3: 18، 19)، فى أقسام الأرض السفلى حيث ذُكر فى الكتاب المقدس "إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى" (أف4: 9).. فإذا كان السيد المسيح دخل السجن -أى الجحيم- وفتح الأبواب ودمر المتاريس فإن أبواب القبور التى هى بمثابة سجون للأموات قد تفتحت.

ذهب السيد المسيح إلى الجحيم بمجرد تسليمه للروح **ولذلك تزلزلت الأرض لأنه زلزل الجحيم** فى أقسام الأرض السفلى، فالطبيعة والأرض والحجارة استجابوا وأعلنوا ما لم يفهمه غالبية البشر.

وانشق حجاب الهيكل

"وانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ" (مر15: 38)، "وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَل قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ" (مت27: 51) **علامة على أن العداوة بين الله والإنسان قد زالت، وأن الكهنوت الهارونى قد انتهى زمانه هو والذبائح الحيوانية**.

وفى الليلة السابقة كان رئيس الكهنة قد شق ثيابه وهى الصدرة التى يرتديها وعليها الاثنى عشر حجرًا والتى ترمز إلى أسباط إسرائيل الاثنى عشر، **وشق ثيابه يرمز أيضًا إلى أن الكهنوت اليهودى قد انتهى**، وقد فعل ذلك بيديه.. وبعد أن أكمل أفعاله الرديئة واستهزاءه بالسيد المسيح عند الصليب، ذهب إلى الهيكل فاستقبله الهيكل بأن حجابه قد انشق من فوق إلى أسفل علامة على أن العهد القديم قد انتهى وبدأ العهد الجديد.

يوم الرب العظيم الشهير

تنبأ يوئيل النبى عن هذا اليوم، ونبوته هذه موجودة فى سفر يوئيل، وأيضًا فى سفر أعمال الرسل حيث قال معلمنا بطرس الرسول: "بَلْ هَذَا مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ. يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤىً وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا. وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ" (أع2: 16- 18)، وهذا حدث فى يوم الخمسين بعد قيامة السيد المسيح، ويكمل: "وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ **قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ**. وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ" (أع2: 19-21).

**نبوة يوئيل تتكلم عن يوم الصلب وعن يوم الخمسين فى نفس الوقت**: ما دام يقول: في تلك الأيام.. أعطى عجائب في السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل، فهذا حدث عندما أظلمت الشمس، والقمر لم يعطِ ضوئه يوم الصلب. ونحن نعلم أن الأرض تدور ولذلك نرى فى النهار الشمس وفى الليل نرى القمر، فعندما نبعد عن الشمس ونقول: "إن الشمس غربت" تكون الأرض هى التى دارت، واتجهت ناحية القمر فنرى القمر مضيئًا لأن ضوء الشمس يقع عليه فينعكس الضوء. فالوضع الطبيعى عندما تختفى الشمس هو أن نرى القمر مضيئًا -وذلك حينما يكون القمر فى موعده كما أوضحنا- ولكن فى يوم الصلب كان القمر فى موعده الطبيعى -13/14 من الشهر- ومع ذلك لم يضيء، لماذا؟ لأن الشمس أصلاً لا تظلم ولكنها تحتجب فقط بسبب أن الأرض تدور، ولكن لأن الشمس نفسها أظلمت فى هذا اليوم فكيف سيضئ القمر إذًا؟!!

تقول النبوة: "أُعْطِي عَجَائِب فِي السَّمَاء مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ" (أع2: 19)، ومن العجائب التى حدثت على الأرض أن: "الأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ والْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ" (مت27: 51، 52).. حدث كل هذا عندما قال السيد المسيح: "فى يديك أستودع روحى"!!

دم ونار وبخار دخان

"آيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ" (أع2: 19)، ورغم أنه هنا يتكلم عن يوم الخمسين لأنه يقول قبلها مباشرة: "أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ"، والروح القدس حل يوم الخمسين على هيئة ألسنة منقسمة كأنها من نار، إلا أن **الروح القدس كان نارًا أيضًا فى يوم الجمعة العظيمة**.. لماذا؟ لأنه يقول فى النبوة "دم" ويقصد دم السيد المسيح، "ونار" فأين النار؟! يقول معلمنا بولس الرسول: "فَكَمْ بِالْحَرِيّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي **بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ**" (عب9: 14)، وعبارة **"بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ" يقصد بها الروح القدس**. عند تقديم الذبائح فى العهد القديم كانت تنزل نار من السماء لتلتهم الذبيحة **وهذه النار كانت ترمز إلى الروح القدس الذى أصعد ذبيحة السيد المسيح،** ولذلك نحن نقول فى القداس الإلهى {ليحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين} ونسجد فى وقت حلول الروح القدس على الخبز والخمر لكى يحولهم إلى جسد الرب ودمه.

الروح القدس هو الذى أصعد ذبيحة الصليب ولذلك يُقال في يوم الجمعة العظيمة لحنvai etaf enf "فاى إيتاف إنف" وهو موجود فى ثيئوطوكية يوم الأحد طوال العام، ولكن يقال بلحن هائل ومختلف في يوم الجمعة العظيمة ومعناه: **{هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فإشتّمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}**.

كان نظام الذبائح فى الهيكل أن يقطعوا الذبيحة ويضعوها على المذبح، وأسفل الذبيحة يوضع خشب وحطب موقد بنار أو تأتى نار من السماء لتلتهم الذبيحة. ومعروف أنه عند شَى اللحوم يتصاعد منها دخان، ولذلك قال يوئيل النبى: "دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ" ويقول اللحن {اشتمّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}، وإن كانت ذبيحة الصليب لم تُحرق مثل ذبائح العهد القديم **ولكن النار هى نار الروح القدس،** وأما الرائحة فالآب ليس عنده أنف مثل التى لنا **ولكنه اشتمّه كرائحة روحية وهى رائحة الرضا والسرور** كما كان يقال عن ذبيحة المحرقة إن الله يتنسم رائحة الرضا والسرور (انظر لا 3: 5، لا 8: 28)، وكل هذا كان رمزًا لذبيحة الصليب.

فصحنا المسيح قد ذُبح لأجلنا

السيد المسيح قد ذُبح "**لأَنّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا**" (1كو5: 7)، لأن الجَلْد الشديد والمسامير وإكليل الشوك جعلوه ينزف دمًا كثيرًا جدًا، لدرجة أنه عندما طعنه الجندى بالحربة كان صدره مليئًا بالدم بسبب الجَلْد، لأن الكرباج الرومانى عبارة عن ثلاثة سيور من عصب البقر وكل سير ينتهى بقطعتين من المعدن، وكان المحكوم عليه بالجلد يُربط بزاوية قائمة ويكون ظهره مسطحًا، فيلف الكرباج عند الجلد به حول الظهر ليصل مع مؤخرته إلى الصدر. ولذلك كانت الشرايين التى تحيط بضلوع القفص الصدرى تتمزق، وكانت عقوبة الجلد تسمى عقوبة نصف الموت عند الرومان، وهى ليست مثل الجلد اليهودى الذى هو أربعون جلدة إلا واحدة.

عندما بحث العلماء كفن السيد المسيح؛ فبعد أن حصروا عدد الجلدات تبين أنها كانت 121 جلدة وتسببت فى حدوث 726 ثقب فى جلده بخلاف ما كان على أعلى الذراعين فى منطقة احتراق جزء من الكفن –ليست ثقوب نافذة بل علامات دموية- ولكن الشرايين الداخلية تمزقت واستمر النزيف بعد الجلد وحتى ذهابه إلى الجلجثة إلى أن سمروه على الصليب ثلاث ساعات، وهو خلالها كان يرتكز على مسمار القدمين ويرفع جسده إلى فوق كى يستطيع التنفس، لأنه معلق من يديه فلا يستطيع أن يتنفس إلا إذا ارتكز على قدميه وفرد ركبتيه ورفع جسده، ويضطر أن يميل ويثنى ذراعه مع كل شهيق فى التنفس، وهذه الحركة مطلوبة على الأقل 15 مرة فى الدقيقة أى أن السيد المسيح قام بهذه الحركة 2700 مرة فى الثلاث ساعات التى قضاها على الصليب، كل هذا والشرايين ممزقة والنزيف يتزايد.

**باختصار: السيد المسيح قد ذبح من الداخل**، وما سال من دماء من يديه وقدميه كان قليلاً بالمقارنة بما نزف داخل صدره. ولهذا عندما طعنه الجندى بالحربة بعد أن سلّم الروح بساعتين، وكان قبلها ثلاث ساعات على الصليب.. خرج الهيموجلوبين أى كرات الدم الحمراء أولاً لأن كثافته أكبر، وبعدها البلازما وهى السائل الأبيض الذى فى الدم، ولذلك يقول الكتاب المقدس "وَاحِدًا مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ **وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ**" (يو19: 34).. الماء بعضها ارتشاح من الرئتين (أوديما) نتيجة حدوث هبوط فى عضلة القلب، وأكثرها بلازما الدم لأن صدره كان مملوءًا بالدم إذ قد تصفى أكثر من نصف دمه، وعندما يفقد الإنسان أكثر من نصف دمه ويبذل مجهودًا كبيرًا لابد أن يحدث هبوط حاد لعضلة القلب إذ أن سرعة النبض تتضاعف بصورة كبيرة لتعويض النزيف. وهذا ما حدث عندما سلم السيد المسيح الروح.

لذلك فالسيد المسيح لم يمت مخنوقًا مثل اللصين، وفى الشريعة ممنوع أن تُقدم تقدمة مخنوقة وإنما يجب أن تكون مذبوحة. ولذلك قال معلمنا بولس الرسول: "**لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا"** (1كو5: 7)، **فلابد أن نفهم أنه قد ذبح ولكن ليس ذبحًا خارجيًا وإنما ذبحًا داخليًا.** ونسمع أحيانًا أن إنسانًا قد حدث له نزيف داخلى تسبب فى وفاته، وحدوث نزيف داخلى يعنى أنه مذبوح ولكن من الداخل.

لذلك السيد المسيح عند تسليمه جسده ودمه للتلاميذ فى ليلة آلامه، قال عن دمه بعد أن شكر وبارك وقدس وحوَّله إلى دمه (ولكن تحت أعراض الخمر): "**هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا**" (مت26: 28)، وكلمة **"يُسفك"** تعنى أنه هو نفسه قال إنه **سيُذبح** وليس فقط سيُصلب، وهناك فرق بين أن يُصلب فقط وأن يُذبح؛ فاللصان ماتا خنقًا بسبب كسر أرجلهما وبذلك أصبحا معلقين من أيديهما والقفص الصدرى مشدودًا وكذلك عضلاته، وهى التى تقوم بعملية التنفس ولذلك لا يقدر الشخص فى هذه الحالة أن يتنفس، فيختنق بعد اثنتى عشرة دقيقة أو خمس عشرة دقيقة على الأكثر وقد أجريت تجارب ووضعوا أجهزة متخصصة للتأكد من هذه العملية.

لابد إذًا أن نفهم الفرق بين صلب السيد المسيح وصلب اللصين. لذلك عندما أرادوا أن يكسروا ساقى السيد المسيح وجدوا أنه قد سلم الروح، فجاء الجندى ومعه الحربة الرومانية -وهى طولها 75 سم وعرضها 5 سم وسمكها 5,2 سم ومقطعها بيضاوى- وضربه لونجينوس بالحربة فى جنبه الأيمن فدخلت فى الرئة اليمنى وفى عضلة القلب وفى الرئة اليسرى ووصلت إلى كتفه من الداخل، أى دخلت فى الصدر بأكمله بزاوية، ولذلك كانت الفتحة كبيرة فنزل الدم المختزن داخل الصدر ثم الماء الذى هو البلازما والارتشاح المائى. **ولماذا فعلوا هذا**؟ لكى يتأكدوا من أنه قد مات بدلاً من أن يكسروا الساقين، لأنه مكتوب فى التوراة: ".. **وعَظْمًا لاَ تَكْسِرُوا مِنْهُ**" (خر12: 46)، "لا يُبْقُوا مِنْهُ إِلى الصَّبَاحِ وَلا يَكْسِرُوا عَظْمًا مِنْهُ" (عد9: 12)، **وتحققت النبوة..** فتم تكسير عظام اللصين وأما السيد المسيح فلم تكسر عظمة من عظامه.

**وماذا أيضًا فى معنى "دم ونار"؟!**

فى الواقع كان السيد المسيح يجوز فى نار العدل الإلهى، فالنار تطهر لذلك كان لابد لخطايانا أن تتطهر، طبعًا جسده كان وكأنه مشتعل بنار من شِدة الجَلد، و**كان يجوز فى نار العدل الإلهى ليوفى الدين**. ولهذا يسميه الكتاب المقدس "يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ" (أع2: 19) وفى سفر ملاخى يسميه: "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (ملا4: 5).

ما هو يوم الرب العظيم الشهير المخوف؟

**هو يوم الصليب وتوابعه عبورًا بالقيامة والصعود ووصولاً إلى حلول الروح القدس فى يوم الخمسين على هيئة ألسنة نار، لأن الروح القدس يطهر. وفى المعمودية يكون هناك نار داخل المياه ولكنها لا تُرى لأن الروح القدس هو الروح النارى.**

**وأيضا يوم الرب العظيم الشهير هو يوم الدينونة** عندما يأتى السيد المسيح فى نهاية العالم. لذلك يقول: "هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْم الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (ملا4: 5). **فهل يوم الرب العظيم الشهير أو المخوف هو يوم صلب السيد المسيح أم هو يوم الدينونة**؟!

**فى الحقيقة كلاهما هو يوم دينونة**، ولكن السيد المسيح فى يوم الصلب هو الذى وفّى الدينونة وهو الذى دفع الدين، وأما فى اليوم الأخير فسوف يأتى ليميز الذين استفادوا من دفع الدين الذى عليهم، ليجعلهم عن اليمين، وأما الذين لم يستفيدوا فيجعلهم عن اليسار، لأن السيد المسيح فى يوم الدينونة سوف يجازى كل واحد حسب أعماله.

يوم الدينونة الأخير إذًا يختلف عن يوم الصلب؛ ولكن كلاهما يُسمى "يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" أو "الشهير".

فى يوم الصلب قال اللص اليمين عبارة فقط من قلب تائب مؤمن دخل بعدها إلى الفردوس: "قَالَ لِيَسُوعَ: اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ" (لو23: 42) قال له: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو23: 43).

فى يوم الصلب كان السيد المسيح شفيعًا إذ قال: "يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو23: 34)، أى: أيها الآب إذا تابوا سامحهم، وهذا ما حدث فى يوم الخمسين عندما وبّخ معلمنا بطرس السامعين، فبعض من اليهود الذين قالوا "اصلبه" كانوا موجودين، وأيضًا آخرون كانوا قد شكّوا فى السيد المسيح عندما تألم وصُلب، فنُخسوا فى قلوبهم "فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ: تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع 2: 38)، وفعلاً ندموا على خطاياهم وتعمدوا.

ولكن عن يوم الدينونة يقول: "كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ**: يَا رَبُّ يَا رَبُّ** أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!" (مت7: 22، 23). ولماذا؟ لأن حياتهم ستكون قد انتهت على الأرض بدون توبة، كما قيل فى مثل العذارى الحكيمات: "وَأُغْلِقَ الْبَابُ" (مت25: 10)، "وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولَئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ" (مت25: 5-7)، عبارة "نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ" هنا تعنى رقدوا أو تنيحوا. وهو فى هذا المثل يتكلم عن أناس جميعهم مؤمنين، ولكن يوجد إيمان عامل بالمحبة ومرتبط بالأعمال الصالحة "يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ" (مت16 : 27)، وإيمان غير عامل.. يدّعى فيه الشخص أنه مؤمن ولكن يتصرف ضد وصية الله.

مشهد الجلجثة العجيب

دعنا نقترب من مشهد الجلجثة لنرى لوحة فى منتهى العجب، ولنتأمله كمشهد فيه تناظُر مع يوم الدينونة الأخير:

لماذا قالت الكنيسة إن **اللص اليمين** هو الذى اعترف؟ رغم أنه لم يُذكر هذا صراحةً فى الإنجيل؟ هو فى التقليد المتوارث، ولكن له مغزى واضح.. فقد قال السيد المسيح إنه فى يوم الدينونة سوف **"يُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ" (مت25: 33)**، فمشهد الجلجثة هو مشهد قريب جدًا من مشهد يوم الدينونة الذى قال عنه: "وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ" (مت25: 31)، ونقول فى المزمور "إن الرب قد ملك على خشبة" (مز96: 10)[[6]](#footnote-6)، ونسمع اليوم اللحن الرائع "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" "**بيك إثرونوس**" وفيه نقول للسيد المسيح إن عرشك هو الصليب ونحن لا نستطيع أن نتجاهل أنك أنت الذى سوف تأتى فى اليوم الأخير وتجلس على عرش مجدك لتدين العالم كله.

"الرب ملك على خشبة"، والعرش الإلهى مكتوب عنه أن حوله أربعة أحياء غير متجسدين، والصليب له أربع نهايات.. عرش له أربعة اتجاهات.

أما المشهد الذى نريد أن نتأمله فقد رأينا فيه: إن الخراف على اليمين والجداء على اليسار. وماذا أيضًا؟!

**نرى أيضًا السيدة العذراء ويوحنا الحبيب** يقفان عند الصليب، السيدة العذراء التى قيل عنها: "جلستِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز45 : 9) نراها تقف عن يمين السيد المسيح تحت الصليب، "فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا قَالَ لِأُمِّهِ: يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ. ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: هُوَذَا أُمُّكَ" (يو19: 26، 27)، وكان يوحنا الحبيب "التِّلْمِيذَ الَّذِي كَان يُحِبُّهُ" هو الوحيد من الرسل الاثنى عشر الذى كان واقفًا عند الصليب.. فيهوذا خنق نفسه وذهب إلى الجحيم وهلك، وأما باقى التلاميذ فكانوا قد هربوا. فما هو هذا المشهد؟! كان لابد أن يكون هناك واحد على الأقل من الاثنى عشر تلميذًا موجودًا عند الصليب. فهم تلاميذه الذين كان قد قال لهم: "أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي.. تَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاِثْنَيْ عَشَرَ" (لو22: 28-30 ). (طبعًا جاء متياس عوضًا عن يهوذا بعد ذلك ليكمل عدد التلاميذ الاثنى عشر)، ولكن كان لابد أن يُمثلوا ولو بواحد منهم عند الصليب لأنه مشهد يرمز للدينونة، وفيه دينونة لأن السيد المسيح يدفع دينونة العالم كله، ولكن من يؤمن هو الذى ينتفع به.

محوران لطلب غفران الخطايا

عند الصليب نرى السيدة العذراء ويوحنا الحبيب:

**السيدة العذراء** هى الشفيعة المؤتمنة عن جنس البشر لذلك لابد أن تكون عن يمين الملك كما يقول المزمور: "جلستِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز45 : 9).

**أما يوحنا الحبيب** فكان يمثل كهنوت العهد الجديد.

كيف نطلب غفران خطايانا؟ نطلبه على محورين..

**المحور الأول**: هو أننا نطلب شفاعة العذراء والقديسين ليسهلوا لنا طريق التوبة ونقول لها: {اشفعى فينا يا سيدتنا كلنا يا والدة الإله مريم أم مخلصنا ليغفر لنا خطايانا} ونلاحظ أننا نستخدم كلمة "اشفع" أو "اشفعى" بالنسبة للعذراء والملائكة، وأما القديسين فنقول لهم [اطلبوا من الرب عنا]، ولكن يوحنا الحبيب بالذات نقول له مثل العذراء ومثل يوحنا المعمدان: {اشفع فينا}.

**إذًا المحور الأول للغفران هو: شفاعة القديسين وهى شفاعة توسلية.**

**لكن السيد المسيح هو الذى قدّم نفسه كفارة عن خطايا العالم "وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ"** (1يو1: 7) **إذن فالكفارة هى بدم السيد المسيح**.

فما فائدة يوحنا هنا؟

**هذا هو المحور الثانى: يوحنا هنا يمثل الكهنوت**، فمن الذى سيقوم بعمل القداسات؟! من الذى سيقدم جسد المسيح ودمه فى الكنيسة كامتداد لذبيحة الصليب الكفارية إلا خلفاء الرسل: رؤساء الكهنة والكهنة على امتداد الأجيال؟!! فوجود يوحنا الحبيب بجانب الصليب فى مشهد الدينونة يعنى أن الكهنوت يتشفع على المذبح. وعندما يمر الأسقف أو الكاهن بالشورية فى وسط الشعب ويعود إلى المذبح يقول: {يا الله الذى قبل إليه اعتراف اللص على الصليب **اقبل إليك اعتراف شعبك واغفر لهم خطاياهم**} لأن الكاهن **يكون قد أخذ اعترافات الشعب** فى العشية السابقة للقداس ثم يلف بالبخور وكأنه يقول لهم "صلوا لكى يغفر الله لكم خطاياكم"، فالشورية تلف وكأنها تجمع صلوات الشعب الذى يقول "يا رب سامحنا" ثم يرفعها على المذبح ويقول سر الرجعة الذى ذكرناه.

وفى القداس يصلى الكاهن لكى يحل الروح القدس، ويقدم دم السيد المسيح للشعب لكى يطهرهم من خطاياهم. الأباركة تحتوى على نسبة من الكحول وهو قابل للاشتعال وفى نفس الوقت مطهّر ويمثل النار المطهرة. ولا نقدر أن نقيم القداس بعصير العنب فقط وإنما يجب أن يكون زبيبًا معصورًا **ومختمرًا وبه نسبة كحول** ولكن لا يكون مُسكرًا لأن نسبة الكحول تكون محدودة. وهنا يأتى سؤال ما فائدة الكحول؟ وللإجابة نذكر أنه إذا أُصيب أحد بجرح يضع كحول لكى يطهّر الجرح، وفى مثل السامرى الصالح –الذى مر على الشخص الملقى وقد جرحه اللصوص- يذكر: "سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ. فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا **وَخَمْرًا** وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ" (لو10: 33، 34)، لماذا وضع هذا الخمر؟ لكى يطهر الجرح. ونحن عندما نتناول من الدم نشعر بطعم لسعة بسيطة وهذه اللسعة بسبب الكحول المطهر مثلما يطهرنا دم المسيح من الخطية، ثم نشعر بطعم حلو مع هذه اللسعة وهذا الطعم يمثل حلاوة محبة ربنا.

**دم السيد المسيح الذى نتناوله هو محبة الله وعدله معًا.. محبته جعلته يصنع الخلاص من أجلنا، والعدل الإلهى جعله يكفر عن الخطايا بأن يتم وفاء الدين.. فهو غفران مدفوع الثمن.. وثمنه غالى جدًا، لكى نعرف قيمته ولكى لا نخطئ مرة أخرى.**

ما الذى يجعل الإنسان يكره الخطية؟! عندما ينظر الإنسان إلى آلام السيد المسيح يقول كل هذه الآلام بسبب خطاياى!! فيكره الخطية. حقًا نحن نتناول من دم السيد المسيح ولكن يجب أن يكون لدينا شعور بالخجل من خطايانا ونتقدم بتوبة لأنه يقول: "إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ" (لو13: 3).

الفادى هو هو نفسه الديان

الفادى في المجيء الأول هو نفسه الديان في المجيء الثانى، ففى الجلجثة وإن كان المنظر صعبًا ولكن بروح وبعين التأمل نرى فيها منظرًا آخرويًا.. نرى اليوم الأخير عندما يأتى السيد المسيح على سحاب السماء -كما هو معلق في يوم الجمعة العظيمة فى الهواء على الصليب فى الجلجثة- لكى يدين العالم كله. **في هذا** **اليوم هو شفيع ولكن فى اليوم الأخير يكون هو الديان**، ويصاب الأشرار وغير المؤمنين وغير التائبين بالهلع، ومكتوب عنهم أنهم "يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ **وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ**. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟" (رؤ6: 16، 17) فمن هو هذا الحمل؟ هو السيد المسيح الذى هو "حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يو1: 29) والذى كتب عنه إشعياء النبى: "كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش53: 7). السيد المسيح الطيب الوديع الذى كان يحب العشارين والخطاة ويجول يصنع خيرًا سوف يكون مخيفًا جدًا فى اليوم الأخير. هو أطيب شخصية عرفتها البشرية وهو أكثر شخصية مخيفة سوف تعرفها البشرية. **هو هو نفسه الفادى فى مجيئه الأول، وهو أيضًا الديان فى مجيئه الثانى**. وبقدر حبه بقدر عدله، لذلك نقول فى المزمور: "الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ تلاَقَيَا. الْعدلُ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا" (مز85: 10)، أى أن العدل والسلام تقابلا على الصليب، الدينونة والغفران فى وقتٍ واحد.

أمانة اللص

قال اللص للسيد المسيح على الصليب "اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ **فِي مَلَكُوتِكَ**" (لو23: 42) فأصلح له السيد المسيح التعبير: "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي **فِي الْفِرْدَوْسِ**" (لو23: 43).. وكأنه يقول له [الملكوت لم يأتِ وقته بعد وإنما اليوم تكون معى فى الفردوس، وفى الملكوت أيضًا سوف تكون معى ولكن لن أتركك حتى يأتى الملكوت، أنت تسأل عن الملكوت وهو سيأتى أيضًا ولكن بعد الدينونة، أما اليوم فتكون معى فى الفردوس] لذلك ذكرت لكم أن هناك ارتباطًا شديدًا بين اليومين.. يوم الصليب ويوم الدينونة.

نزل اللص اليمين إلى الجحيم لكى يتم فيه حكم الموت الأبدى ثم أخرجه السيد المسيح مع باقى الذين أخرجهم على ثلاث دفعات.

**ليتنا نراجع أنفسنا**

هذا هو هدف الكنيسة من صلوات يوم الجمعة العظيمة بكل ما فيها من الألحان الحزينة والعظيمة والقراءات والوعظ، فهو أسبوع ممتلئ من بداية سبت لعازر وحتى يوم عيد القيامة.. الهدف من هذا كله أن يفكر كل شخص فى وسط كل هذه الأحداث وهذا الجو الروحى ويبحث عن أبديته وخلاص نفسه.

الكنيسة تقدم أسبوعًا هدية لكل شخص كى يراجع نفسه ويفكر ما هو موقفه فى يوم الدينونة وهل سيكون مع اللص اليمين أم مع اللص اليسار أم أين!! فكل ما قيل وذكر من ألحان مؤثرة أو قراءات أو وعظ أو طقوس هو من أجلنا نحن

عظة أخرى يوم الجمعة العظيمة

التكفين والدفن

تكلمنا اليوم عن صلب السيد المسيح، ونتكلم عما بعد الصلب. حيث سلّم السيد المسيح الروح على الصليب وبعدها جاء الدفن، وموضوع الدفن يقول عنه القديس غريغوريوس فى القداس الإلهى: {**قتلت خطيتى بقبرك**}، ومعنى ذلك أن السيد المسيح سمَّر الخطية على الصليب وليس فقط سمَّرها ولكن دفنها أيضًا. مكث السيد المسيح فى القبر ثلاثة أيام لكى يعرفنا أن الخلاص هو من عمل الثالوث القدوس. ومن الجميل أن القبر والأكفان كليهما كانا بصفة سُلفة. ولماذا؟! لأن الموت الذى ماته السيد المسيح لا يخصّه هو، بل يخصنا نحن. ولذلك ترك القبر فارغًا، وترك الكفن أيضًا وعليه تذكار آلامه وصلبه وقيامته. فالكفن طُبِعَت عليه صورة السيد المسيح: رأسه ووجهه وظهره، لأن الكفن كان تحت الظهر وعلى الوجه والصدر وحتى القدمين من فوق ومن تحت ولذلك طُبعت الصورة من فوق ومن تحت أيضًا.

ولكن كيف طبعت؟! طُبعت بأشعة فائقة للطبيعة، لأن الصورة سلبيةnegative ولكى تظهر يُطبع الـ negative لها وتظهر الإيجابية positive ثلاثية الأبعاد فتظهر صورة السيد المسيح. هذا القبر الفارغ شهادة على أن هذا الموت لا يخصه هو، وكذلك الكفن أيضًا. ولكنه ترك فيه برهان صلبه وموته وقيامته من الأموات.

القبر لم يكن قد وُضع فيه أحد من الناس أبدًا، وكان الإنجيل صريحًا فى حديثه حول هذا الموضوع إذ ذكر: "فِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ **لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ**" (يو19: 41). لماذا؟ لأن موت السيد المسيح ليس مثل أى موت آخر، كما يقول معلمنا بولس الرسول: "إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا **مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ** نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ" (رو6: 5)، فحتى نحن فى سر المعمودية لم يقل إننا نتحد معه فى موته ولكن **بشبه موته**: لا يستطيع أحد أن يموت الموت الذى ماته السيد المسيح أبدًا.. لأن موته أبطل عز الموت، وداس الموت وسحقه، ولذلك كان ينبغى أن يكون القبر الذى وضع فيه "قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ" (يو19: 41). وليس هذا فقط بل وأيضًا **لا يكون فيه رائحة الموت**، لأن موته محيى فيكون فيه رائحة حياة.. "لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهَؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولَئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ" (2كو2: 15، 16). القبر كان يفوح بالروائح الطيبة مثلما قال السيد المسيح عن المرأة ساكبة الطيب: "قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ" (مر14: 8)، سواء المذكورة فى قراءات البصخة يوم السبت مساءً أو الثلاثاء مساءً.. رائحة "نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ" (مر14: 3)، مثلما تقول النبوءة "مَادَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِ دِينِي رَائِحَتَهُ" (نش1: 12).. "رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ" (2كو2: 15)، ولذلك لم يكن ممكنًا أن تكون فى القبر رائحة الموت، ولا عظام ميت لأن هذا القبر هو الشاهد للحياة وليس الشاهد للموت. مع أن السيد المسيح قد مات فعلاً ودُفن ولكن القبر الفارغ الذى فيه رائحة الحياة يشهد للحياة، فمعلمنا بولس الرسول يقول: "ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ، أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟!" (1كو15: 54، 55).

البِكْر فى كل شيء

السيد المسيح هو "**بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ**" (1كو15: 20). ولذلك كان يلزم أن يكون **قبره بكرًا أيضًا.. فهو:**

* **"الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ"** (رؤ1: 5).
* **هو البكر فى طاعته الكاملة لله الآب السماوى**.. عندما أخطأ رأوبين وشمعون ولاوى تحولت البكورية إلى يهوذا الذى جاء منه السيد المسيح.. وعندما أخطأ آدم وكل نسله تحولت البكورية إلى السيد المسيح "**لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا** بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رو8: 29)، "مَتَى **أَدْخَلَ الْبِكْرَ** إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ" (عب1: 6).
* **هو البكر من الآب قبل كل الدهور، من حيث لاهوته وليس له أخوة. حتى الروح القدس غير مولود ولكنه منبثق ومساوى.**
* **وهو البكر من** العذراء **فى ملء الزمان**، وهو البكر فى ولادته **من عذراء بكر** دائمة البتولية.. عذراء قبل الحبل وأثناء الحبل وبعد الولادة.. **بتوليتها مختومة**؛ وكما أن قبر السيد المسيح لم يدفن فيه أحد غيره فكذلك أيضًا رحم السيدة العذراء لم يدخل فيه أحد آخر، فهذا هو الباب الذى كُتِبَ عنه فى سفر حزقيال النبى: "بَابِ الْمَقْدِسِ الْخَارِجِيِّ الْمُتَّجِهِ لِلْمَشْرِقِ وَهُوَ مُغْلَقٌ. فَقَالَ لِيَ الرَّبُّ: **هَذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقًا, لاَ يُفْتَحُ وَلاَ يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ, لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُغْلَقًا**" (حز44: 1، 2).
* **وهو البكر فى صعوده إلى السماوات..** الموضع الذى لم يدخل إليه ذو طبيعة بشرية، حيث قال السيد المسيح: "أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" (يو14: 2، 3). فالسماوات العليا لم يدخل إليها أحد قط، لذلك فالقديس يوحنا اللاهوتى فى سفر الرؤيا رأى الأربعة أحياء غير المتجسدين حول العرش والأربعة والعشرين سفيرًا (شفيعًا) وفى وسط العرش خروف قائم كأنه مذبوح (انظر رؤ5: 6).. فلم يرَ السيدة العذراء ولا أيًا من القديسين هناك، لماذا؟ لأن الذى رآه كان العرش السماوى وليس الفردوس، فعبارة "جلَستِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ" (مز45: 9) ستُطبق عندما يأتى السيد المسيح ويأخذ الكنيسة وتدخل معه الكنيسة كعروس إلى الأمجاد السمائية.

لأنه هو البكر فى كل شيء.. كان يجب أن يكون قبره بكرًا، "قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ" (يو19: 41). والأجمل من هذا أنه حتى بعد قيامته لم يوضع فيه أحد قط، فهو مزار يتمنى كل أحد فى العالم أن يأخذ بركته، وقد جاءت الإمبراطورة هيلانة وأخرجت خشبة الصليب ووضعوا شخصًا ميتًا -كانوا مارين به لدفنه- على الخشبة فقام فعرفوا أى من الصلبان الثلاثة التى وجدوها هو صليب السيد المسيح، وبالمناسبة: الصلبان الثلاثة لم تكن موضوعة فى قبر السيد المسيح، وعندما زرنا كنيسة القيامة فى القدس هناك سلالم ننزل بها إلى أسفل ويوجد مغارة وهناك كنيسة اسمها "كنيسة المغارة" وهى التى كان ملقى فيها الصلبان الثلاثة. وقبة كنيسة المغارة موضعها فى وسط حوش دير السلطان فى القدس، وحول فناء هذه القبة توجد قلالى الرهبان الأقباط والأثيوبيين. ولكن قبر السيد المسيح موضعه داخل كنيسة القيامة، وهو بالقرب من الجلجثة.. وكل هذا تحت القبة الكبيرة التى لكنيسة القيامة بما فى ذلك الجلجثة نفسها، وما زال يوجد جزء من الحجر الذى كان على باب القبر، ويأخذ الزائرون بركته قبل دخول القبر وتوجد شموع تضاء خارج القبر عند الموضع الذى فيه هذا الجزء من الحجر.

ما أريد أن أقوله هو أن قبر السيد المسيح لم يدفن فيه أى شخص لأن اليهود قاموا بردمه، وقد سمح الله بهذا حتى لا يدفن أحد فيه، إلى أن جاءت الأيام التى فيها أعلن الإمبراطور قسطنطين منشور التسامح الدينى سنة 313م في ميلانو وكانت قد آمنت أم الإمبراطور –أى الإمبراطورة هيلانة- بالمسيحية، وقد كانت إنسانة فاضلة جدًا وهى التى قامت ببناء كنيسة القيامة فى القدس، واكتشفت خشبة الصليب، وقامت ببناء قبر ودير القديسة دميانه المجاور للقبر وليس الدير الرهبانى الذى فى التل الأثرى، وتقابلت مع القديس البابا ألكسندروس وطلبت منه أن يأتى ويدشن الكنيسة وحضر وكان بصحبته القديس أثناسيوس الشماس الخاص المرافق له.

القبر وكنيسة القيامة

عندما اكتشفت الإمبراطورة هيلانة القبر جعلته مزارًا على الفور وقامت ببناء كنيسة القيامة، وقبة كنيسة القيامة لا يتخيل أحد حجمها.. إذا كان جبل الجلجثة فى داخل الكنيسة، فكم يكون حجم قبة الكنيسة؟! وأيضًا فى داخلها كنيسة كبيرة أخرى تسمى كنيسة "وسط الدنيا" وهى أمام القبر مباشرةً وهى بقبتها وبكل شيء فيها تقع فى داخل كنيسة القيامة وأيضًا الجلجثة بكنيستها وسلالمها الحجرية والقبر ومزارات أخرى كثيرة داخل كنيسة القيامة وهو الأمر الذى يصعب وصفه. ولكن ما يهمنا فى هذا الموضوع الآن هو أن **قبر السيد المسيح بكر قبل الدفن وظل بكرًا إلى يومنا هذا**، لماذا؟! لأن المكان الذى يخص السيد المسيح سواء فى ميلاده أو فى دفنه لا يشاركه فيه آخر على الإطلاق.. ليس له نظير. كما يقول المزمور: "**أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ**" (مز45: 2).

البشرى الأولى للقيامة كانت من داخل القبر

أما النسوة فلما رأين أنه لم يتسع الوقت لأحد لوضع أطياب سائلة على جسد السيد المسيح؛ أردنَ أن يحنطنه -أى يطيبونه- "بَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ" (مر16 : 1)، وهل يحنطون رب الحياة؟!! وهو الذى قال على لسان داود النبى فى النبوة **"لأَنَّكَ لا تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْجحيم، ولا تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا"؟!** (مز16: 10).

فى الحقيقة وإن كان القبر هو مكان للدفن ولكن **بدأت بشرى القيامة من داخل القبر، أى انطلقت بشرى الحياة من هذا** **القبر**، وكان هو الشاهد على القيامة لكل من يريد أن يؤمن.. **القبر الفارغ علامة أن الحياة قد انتصرت على الموت.**

الأختام وتوثيق موته وقيامته

"فَمَضَوْا وَضَبَطُوا الْقَبْرَ بِالْحُرَّاسِ وَخَتَمُوا الْحَجَرَ" (مت 27 : 66).. سمح الله أن توضع أختام على القبر لكى **يوثِّق حادثة موت السيد المسيح توثيقًا رسميًا** وليس فقط فى قرار بيلاطس الذى كتبه ووقعه وختمه بختم الدولة الرومانية، **وتم توثيق القيامة** أيضًا لأن الأختام والحراس على القبر كانوا دليل القيامة.

ليس فقط موته وقيامته قد تم توثيقهما، ولكن أيضًا ميلاده لأن فى الاكتتاب الذى حدث فى أيام أوغسطس قيصر، الجميع اكتتبوا والسيد المسيح وُلد أثناء الاكتتاب "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. وَهَذَا الاِكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ" (لو2: 1، 2). فالذى كان يريد أن يعرف أن السيد المسيح ولد فى بيت لحم وأن أمه هى مريم ابنة يواقيم وأبوه -من الناحية الرسمية فقط وليس من الناحية الحقيقية- كان هو يوسف ابن يعقوب.. كان يذهب إلى والى سورية وينظر فى السجلات فيجد أن السيد المسيح قد تم تسجيل رسمى لميلاده، وأنه ولد فى بيت لحم اليهودية وليس فى الناصرة.

فالأحداث التى حدثت فى ختم القبر كانت توثيقًا لموت السيد المسيح، لأن من الممكن أن يصدر حكم بإعدام شخص ولكن الحكم لا ينفذ، **ولكن ختم القبر كان توثيقًا لموته الحقيقى**؛ ولذلك دعا بيلاطس قائد المئة وتأكد منه أن السيد المسيح قد مات قبل أن يسلم الجسد ليوسف الرامى.

يوسف الرامى واهتمامه بجسد الرب

"جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ مُشِيرٌ شَرِيفٌ وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللَّهِ فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ" (مر15: 43)، يستحق يوسف الرامى الشكر على شجاعته، وهو كان تلميذًا ليسوع المسيح ومنتظرًا ملكوت الله.. هذا التلميذ بالذات كان لديه الشجاعة أن يذهب ويطلب جسد يسوع ويتحدى كل الأمة اليهودية بما فعل؛ ويعتبر من الذين آمنوا إيمانًا قويًا جدًا ولم يهتز إيمانه بسبب موت السيد المسيح، ولذلك **استطاع أن ينال هذا الشرف العظيم أن يحمل جسد الرب ويضعه فى القبر**.

وقد خلّد التاريخ اسمه وسوف يُخلَّد هذا العمل العظيم، أى اهتمامه بجسد يسوع.

ترى يا يوسف ما الذى جعلك تهتم بالجسد فى الوقت الذى فيه كان قبر اللصوص مفتوحًا؟!! ونبوة إشعياء النبى تقول: "جُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إش53: 9). وما فائدة الجسد بعد أن مات؟!

بلا شك كان يوسف الرامى يعرف قيمة هذا الجسد ولذلك اشترى كتانًا ولفه به ووضعه فى القبر وعرّض نفسه لمخاطر كثيرة فى هذا الأمر. **ولكن الذى يعرف قيمة جسد يسوع سيستحق هذا الشرف العظيم مع يوسف الرامى،** أى الذى يتقدم للتناول وهو يعرف قيمة التناول، ولذلك قال معلمنا بولس الرسول: "لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ" (1كو11: 28، 29).

عرف يوسف الرامى قيمة جسد السيد المسيح، والذى يعرف قيمة جسد السيد المسيح لا يخطئ بعد أن يتناول.

تُرى هل كان لدى يوسف الرامى ثقة وإيمان فى قيامة هذا الجسد؟!

لم يعلن الكتاب المقدس شيئًا بخصوص هذا الموضوع، ولكنه على الأقل كان يعلم أنه مكتوب فى الكتاب: "لاَ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا" (مز16: 10). فعلى الأقل كان يعلم أن هذا الجسد لن يفسد.

من المؤكد أن فرحته بالقيامة كانت عظيمة جدًا سواء كان واثقًا منها أو كان يتمناها. تُرى ماذا قال له السيد المسيح بعد القيامة؟ بلا شك شكره على كل ما عمله، ولكن السيد المسيح لم يكتفِ بالكلام الشفوى -ولو أنه لم يتم تسجيله فى الإنجيل- **لكنه ترك له رسالة انبهر بها العالم كله ولا زال منبهرًا وهى أنه طبع له صورته بالكامل وبكل قصة الآمه وصلبه على الكفن الذى أحضره وقام بلف جسد السيد المسيح به.**

السيد المسيح استعار الكفن

ولكنه لم يرجعه له فارغًا

بل أرجعه له وفيه كنز من أعظم الكنوز

التى عرفتها الكنيسة على مر التاريخ

ولازال هذا الكنز يشهد لموت المسيح وقيامته من خلال أحدث الأبحاث العلمية التى أُثبتت أن قماش الكفن بعد غسله من كربون الحريق يعود تاريخه بالفعل إلى القرن الأول الميلادى

أحد القيامة من البصخة المقدسة

تأمل أبينا الحبيب نيافة الأنبا بيشوى فى عيد القيامة المجيد لعام 2002

القيامة هى الجانب الملموس لمجد الصليب. ففى الصليب قوة المحبة الباذلة التى يبدو كأن بذلها يحتم الغياب الحزين. أمَّا فى القيامة فتظهر وهى حاضرة فى جراح المصلوب القائم لكي تمنح لقابليها الفرصة للتعبير عن فرحهم وتقديرهم وامتنانهم.

إن المحبة مثل الشمس إذا غابت فإنها تشرق فى الجانب الآخر من المسكونة وتعود لتشرق من جديد فى صباح جديد حاملة معها كل الخير وتعانقها أغصان الأشجار وتتألق بها قطرات ندى الليل وينسى الطير غيابها لأنها لم تغب إلاَّ لتشرق؛ لا يعوقها عن موعدها لا الجبال ولا الآكام لأنها ترتفع متسامية فوق الجميع.

لقد غاب حضور السيد المسيح عن أرض الأحياء حينما غاب بحسب الجسد عن تلاميذه القديسين. ولكنه مماتًا فى الجسد ومحييًا فى الروح ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن. بشرهم وأشرق عليهم فى العالم الآخر بنوره العجيب الذى فزعت منه الأرواح الشريرة وخفافيش الظلام. وفرح به آدم وبنوه الذين رقدوا على رجاء الخلاص.. وهكذا نقلهم من السجن إلى الفردوس وطيّب قلوبهم بعد طول انتظار لآلاف السنين.

أمَّا الكنيسة فى أورشليم الأرضية فقد أشرقت عليها أنوار القيامة فى اليوم الثالث إذ قام الرب من الأموات وصار باكورة الراقدين ورافقت قيامته مظاهرة تهتف للحياة من القديسين الراقدين جاءت من العالم الآخر لتعلن أن شمس البر قد أشرق عليهم بنور خلاصه العجيب.

لم يكن لقيام أجساد القديسين الراقدين ودخولهم المدينة المقدسة أي معنى لولا أن شمس البر نفسه قد قام مُظهرًا أنه هو الحياة للجميع "بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ التى أعْطِيَتْ لَنَا فى الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ. وَإِنَّمَا أظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الذى أبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ" (2تى1: 9، 10).

من الآن سوف نفهم أن الهوان هو الجانب المنظور للمجد غير المنظور والتخلّي هو الجانب المنظور للغنيمة غير المنظورة والغياب هو الجانب المنظور للحضور غير المنظور وفقدان الذات هو الجانب المنظور لوجودها غير المنظور.. وهكذا..

ولكن الجانب غير المنظور هو غير منظور بالنسبة للعالم الطبيعي فقط أمَّا بالنسبة للروحيين أو لمَن يحيون بالإيمان فإنهم سوف ينظرون ما لا يستطيع العالم أن يراه.. لأن المجد لا يراه من باعوا المجد، والوجود الحقيقي لا يراه من باعوا وجودهم للباطل الزائل، والرب القائم لا يراه من رفضوا قيام الحق فى حياتهم وأحكامهم.

إن الرب سيبقى دائمًا هو الغائب الحاضر المختفى الظاهر لأنه هو الحق: والحق يتكلم حتى ولو صمت ويتكلم حتى ولو بدا أنه قد ضاع لأن الحق لا يمكن أن يضيع..

فى صباح أحد القيامة المجيد فلنهرع لنعانق النور الذى أشرق ولن يغيب إلى الأبد.

فى الخليقة القديمة كان الرب يقول وكان صباح وكان مساء يومًا واحدًا.

أمّا فى الخليقة الجديدة فقد أشرق فجر القيامة الذى لن يغيب إلى أبد الدهور.

كان يوم الراحة القديم أو السبت القديم هو فى نهاية الخليقة وفى نهاية الأسبوع أى فى اليوم السابع..

أمَّا يوم الراحة الجديد أو السبت الجديد فهو فى بداية الخليقة الجديدة وفى أول الأسبوع الجديد أى فى اليوم الثامن الذى لن يكون له مساء.

إننا لا نقول أنه فى اليوم الأول فقط لأن الخليقة القديمة لم يتم إلغاء وجودها بالفناء ولكنها قد تجددت "إِنْ كَانَ أَحَدٌ فى الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ" (2كو5: 17). "وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا" (رؤ21: 5).

إن من يحتفل بالقيامة فإنما يحتفل بالحياة الجديدة التى لا يغلبها الموت عابرًا كل عوامل الموت الزمني لأنه قد اتحد بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا (1يو1: 2).

أهنئكم بفرحة الحياة التى لا يغلبها الموت فى المسيح. النعمة معكم آمين.

بالموت داس الموت

✞لقد قمت يا سيدي والحجر مغلق والأختام موضوعة، وخرجت من القبر ناقضًا أوجاع الموت؛ لتعلن أن الحياة المتدفقة التى فيك يا قدوس كانت أقوى من الموت الذى لنا ولا شيء يستطيع أن يفصلنا عن محبتك المتدفقة يا فادينا ومخلصنا.

✞كما مشى السيد المسيح على الماء الذى كاد أن يبتلع السفينة وانتهر البحر والريح وقال له**: "**اسْكُتْ. ابْكَمْ**"** فصار هدوء عظيم.. هكذا أيضًا انتهر السيد المسيح الموت وقام منتصرًا.

✞صُلب السيد المسيح فى موضع الجمجمة؛ لأن هناك يتحقق قصده المبارك فى مجيئه إلى العالم وهو "أن يموت عوضًا عن الخطاة لينقلهم من الموت إلى الحياة".

✞تجاسر الموت أن يبتلع الحياة.. وبهذا ابتلع ما هو ضده وما هو أقوى منه، فانهزم الموت وأبتُلع الموت من الحياة، ولم يستطع الجحيم أن يبتلع مَن له الحياة الإلهية القاهرة للموت.. بل أن الجحيم نفسه قد تحطمت متاريسه بقوة المصلوب.

✞السيد المسيح ذاق الموت فعلاً بحسب الجسد ولكن فى نفس الوقت كان -بحسب لاهوته- حيًا لا يموت، إذ كانت الحياة التى فيه أقوى من الموت الذى علينا.. وكان البر الذى له أعظم من الخطية التى لنا؛ لهذا قام من الأموات حيًا منتصرًا. "أَقَامَهُ اللَّـه نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ" (أع2: 24).

✞تجاسر الموت أن يبتلع السيد المسيح فكانت هذه نهاية الموت، كما تبتلع الظلمة مصباح مضيء فتتلاشى الظلمة."ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ"(1كو15: 54).

✞لقد صُولحنا مع اللَّـه الآب بموت ابنه الوحيد الجنس على الصليب، وبقيامته من الأموات تم إعلان المصالحة بطريقة منظورة ومحسوسة.

✞جاء السيد المسيح ليصير باكورة للراقدين.. وليمنح الحياة الأفضل للذين قبلوه."وَلَكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ"(1كو15: 20).

✞السيد المسيح فى اتضاعه لم يستحِ من موت الصليب، واحتفظ فى جسد القيامة الممجَّد بآثار جراح المسامير والحربة فى جنبه مُظهرًا جراحات محبته على الدوام لخيرنا وخلاصنا.

✞ السيد المسيح بموته وفىَّ الدين الذى علينا، وفى قيامته وهبنا نعمة القيامة والحياة الجديدة الأبدية.

✞فى يوم الفداء صنع الرب خلاصًا عظيمًا ورد آدم وبنيه إلى الفردوس مرة أخرى وأعاد للإنسان كرامته ورِفعَته وعزته وصورته الإلهية (التى فقدها بسبب الخطية).

✞الشهادة لقيامة السيد المسيح من الأموات هى جوهر المسيحية فإن السيد المسيح "أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رو4: 25) وكانت هذه هى الحياة الأبدية "الَّتِى كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا" (1يو1: 2).

✞وضع السيد المسيح دواء الحياة فى جسد قابل للموت، لكي يبتلعه الموت فيُبطل الموت بموته، وحينما قام من الأموات منتصرًا على الموت تمّت أقوال النبوات: "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟ "(1كو15: 55).

✞الكنيسة كلها كانت فى السفينة والبحر يريد أن يبتلعها"وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ فى وَسَطِ الْبَحْرِ مُعَذَّبَةً مِنَ الأَمْوَاجِ. لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُضَادَّةً" (مت14: 24)؛ فجاء السيد المسيح ماشيًا على الماء.. ماشيًا على الموت.. ابتلع الموت الذى ابتلع الجميع وبالموت داس الموت.

✞السيد المسيح أظهر محبة الآب على الصليب، وداس الموت وانتصر عليه، وأنار الحياة والخلود، ولأنه قدوس بلا شر، استطاع أن يقدِّم ذبيحة مقبولة أمام الآب. "الذى ابْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَ الْخُلُودَ"(2تي1: 10).

✞قيامة السيد المسيح من الأموات هى عماد الديانة المسيحية وموضوع شهادة الآباء الرسل للعالم بحسب وصية الرب لهم "تَكُونُونَ لِي شُهُوداً" (أع 1: 8).

✞الرب القائم من الأموات افتدانا واشترانا للَّـه بدمه.. دفع ثمن خطايانا على الصليب وعبر بنا من الدينونة إلى المصالحة، ومن الموت إلى الحياة بموته المحيي وقيامته المجيدة من الأموات؛ ومنحنا عطية السلام.

✞لا توجد قيامة إلاَّ من الموت، ولولا موت الصليب لما كانت القيامة.

✞القيامة هى عودة الحياة مرة أخرى لبنى البشر.

✞قيامة السيد المسيح هى وعد بالقيامة لكل من يؤمن ويثبت فى السيد المسيح فيغلب ويكون له حياة أبدية "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِى فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فى الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يو6: 54).

✞بقيامة السيد المسيح زال خوف الإنسان، وبدأت المصالحة، وأُعلنت قبلات حب الآب، وأدركنا أن المصالحة قد تمت، ولم يعد للموت سلطان. عن هذا الحب قالت عروس النشيد ما معناه "لِيُقَبِّلْنِي (الآب) بِقُبْلاَتِ فَمِهِ لأَنَّ حُبَّكَ (أيها الابن) أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ" (نش1: 2)

✞حينما سلَّم الروح حدث زلزال وحينما قام من الأموات حدثت زلزلة عظيمة، وهكذا تحتاج حياتنا إلى زلزال يطرد الخطية من قلوبنا، وزلزال آخر يبعث الحياة فينا لكى نشهد للحياة الجديدة المُقامة من الأموات.

✞ قام السيد المسيح "وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ" (مت28: 2).. هكذا تعمل القيامة فى حياتنا مُزلزلةٍ لكل أركان الحزن واليأس وقطع الرجاء والهزيمة؛ فنحيا فى جدة الحياة.

❄المكان الذى دُفن فيه السيد المسيح يفيض بالأنوار والرائحة العطرة من ذلك القبر المحيي المملوء بالحياة.

❄حينما قام السيد المسيح من الأموات ترك القبر فارغًا، ومن القبر خرجت بُشرَى القيامة لأن موته هو حياة."فَقَالَ الْمَلاَكُ لِلْمَرْأَتَيْنِ: «لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ. هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الذى كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ. وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا» فَخَرَجَتَا سَرِيعًا مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ" (مت28: 1-8).

❄القبر الفارغ يشهد أن الموت ليس له، إنما ترك فيه برهان موته وقبره وقيامته من الأموات.

❄القبر الجديد الذى وُضع فيه السيد المسيح لم يكن فيه رائحة الموت، بل تفوح فيه رائحة الطيب.. رائحة الحياة لأن موته محيى.

"وَضَعَهُ فى قَبْرِهِ **الْجَدِيدِ** الذى كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فى الصَّخْرَةِ ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَرًا كَبِيرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَمَضَى" (مت 27: 60).

❄ كان قبره بِكرًا وحتى بعد قيامته لم يوضع فيه أحد من الناس قط."وَوَضَعَهُ فى قَبْرٍ مَنْحُوتٍ حَيْثُ **لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ وُضِعَ قَطُّ**" (لو23: 53).

❄قام السيد المسيح وترك قبرًا فارغًا؛ لكي يوقن كل من يبحث عنه ولا يجده أن الموت قد زال إلى الأبد."فَقَامَ بُطْرُسُ وَرَكَضَ إِلَى الْقَبْرِ فَانْحَنَى وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَحْدَهَا فَمَضَى مُتَعَجِّبًا فى نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ"(لو24: 12).

❄ السيد المسيح حمل خطايانا فى جسده، وارتفع إلى الصليب، وقام من الأموات منتصرًا وظهر فى البستان لمريم المجدلية؛ ليكون بمثابة الفردوس الجديد بدون الحية القديمة لأن الحية كانت مسمّرة على الصليب بجوار البستان"وَبَعْدَمَا قَامَ بَاكِرًا فى أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلاً لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ التى كَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةَ شَيَاطِينَ" (مر16: 9).

❄ حينما دخل السيد المسيح إلى القبر لم يستطع القبر أن يحتويه بدوام لأن الظلمة لا تستطيع أن تحبس النور، ولكن النور هو الذى يبدد الظلمة.

❄ من القبر خرجت بُشرَى القيامة؛ لأن القيامة كانت من خلال الصليب، ولولا الصليب ما كانت القيامة، فالقيامة فى موت الصليب وبالصليب كانت القيامة.

❄الموضع الذى صُلب فيه السيد المسيح كان يوجد بستان، وهو رمز للفردوس الذى فتحه السيد بعد أن دفع ثمن الفداء على الصليب."وَكَانَ فى الْمَوْضِعِ الذى صُلِبَ فِيهِ بُسْتَانٌ وَفى الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ"(يو19: 41).

❄القبر الجديد تحول من موضع النوح إلى موضع الفرح؛ لأن منه خرجت بُشرَى القيامة وأنوار القيامة، وفيه وأمامه ظهر ملائكة القيامة. "وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ" (مت28: 2).

❄ فيما كانت مريم المجدلية تبكى أتى الرب يسوع المسيح القائم من الأموات آدم الثانى يتمشى فى الجنة، والجنة التى كان آدم الأول بها يرمز إليها البستان "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فى جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا" (تك2: 15).. البستاني الجديد هو آدم الثاني، ومريم المجدلية تمثل البشرية.

❄ اجتمعت الجلجثة مع البستان الذى دفن فيه جسد الرب يسوع الذى بموته المحيي رد آدم وبنيه إلى الفردوس.

❄كما أن سقوط آدم حدث فى بستان هكذا القيامة حدثت فى بستان وهذا اللقاء بين آدم الروحاني "الرب من السماء" وبين مريم المجدلية كان تصحيحًا للأوضاع الأولى، كما أن الشك الأول لحواء هو الذى أضاع الجنس البشرى؛ جاء آدم الجديد لكي يزيل شكوك حواء ولكي يعيد إليها كرامتها مرة أخرى. "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟ فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ فَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخُذُهُ" (يو20: 15).

❄آدم الجديد حمل الأشواك على جبينه، ثم فتح الفردوس السماوى، وأدخل آدم وبنيه إلى هناك، ثم قام من الأموات، وجاء إلى الفردوس المجاور للقبر، وظهر فى هيئة بستانى لمريم المجدلية؛ لكى يؤكد أن الإنسان قد عاد مرة أخرى فى شخصه المبارك ليعمل الجنة الجديدة، وهى الكنيسة المقدسة التى قال عنها سليمان الحكيم: "أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش4: 12).

❄ ما أجمل هذا المشهد العجيب: آدم الجديد فى البستان مع إشراقة فجر جديد فى حياة البشرية.. هذا هو مشهد القيامة والحياة الجديدة تراه الكنيسة، فتنادى طالبة هبوب ريح الروح القدس من الشمال حاملة مياه النعمة الغزيرة، ومن الجنوب حاملة حرارة الحب الذى تنضج منه ثمار الروح فى حياتها. "اِسْتَيْقِظِي يَا رِيحَ الشَّمَالِ وَتَعَالَيْ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ! هَبِّي عَلَى جَنَّتِي" (نش4: 16).

❄ مريم المجدلية (وهى تمثل البشرية مثل حواء) تلتقى بالرب القائم من الأموات وهو يتمشى داخل البستان وقد جاء كمعلم للصلاح وليقوم بإصلاح ما أفسدته الحية فى القديم.. لم تعد الحية هى مصدر التعليم بل كلمة اللَّـه المتجسد هو المعلم.

❄لم تعد البشرية تنصت إلى الحية، بل أصبحت تهفو نحو السيد المسيح كمصدر للمعرفة، لذلك قالت مريم للسيد المسيح "يا معلّم":"قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ!» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي» الذى تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ"(يو20: 16).

❄لم تَعد البشرية تأكل من شجرة معرفة الخير والشر، بل تأكل فقط من جسد الرب المصلوب القائم من الأموات لتعرف الخير وتثبت فيه، تأكل من شجرة الحياة التى لا يموت آكلوها.

❄ الرب فى بستان القيامة ينادى مريم المجدلية، وهى تمثل البشرية المفتداه التى كانت تبحث فى كل موضع عن الجسد المصلوب.. شجرة الحياة المفقودة.. لم تَعد البشرية تستمع إلى صوت الغريب، بل تستمع إلى صوت الراعي الصالح، ولا تشتاق إلى أحاديث العالم أو الخطية، بل تشتاق إلى أحاديث المعلم الصالح وتختار النصيب الصالح الذى لا يُنزع منها.

❄آدم الجديد يتمشى فى البستان بمجد اللَّـه الآب؛ لأنه قام بمجد القيامة "أَقَامَهُ اللَّـه نَاقِضـًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ" (أع 2: 24)، ومريم المجدلية ابنة حواء حيث تعمل فيها عوامل الشك تلتقى به؛ وقد جاء ليعيد للبشرية معرفتها الحقيقية عن اللَّـه، ويُعلِّم ابنة حواء كيف تسلك فى وصايا اللَّـه.

من تأملات قداسة البابا شنوده الثالث فى القيامة

هذا هو السيد المسيح الذى عمل على تقوية إيمان تلاميذه، والذى عالج شك توما، وعزَّى بطرس فى حزنه، وعزَّى المجدلية فى بكائها، وأعاد الإيمان إلى الكنيسة.

وكأن البابا شنوده تصوَّر ملاكًا واقفًا إلى جوار قبره قبيل القيامة ينشد قائلاً:

قم حطم الشيطان لا تبــق لـدولتــه بقـيـــــــة

قم بشــر المـوتى وقل غفرت لكم تلك الخطيـة

قم قـو إيمان الـرعاة ولم أشـــتات الــرعـــية

واغفر لبطرس ضعفه وامسح دموع المجدلية

من شعر قداسة البابا شنوده الثالث

أفراح القيامة

♰عاشت الكنيسة أحلى أيامها والعريس الممجّد بالقيامة معها، يفرِّحها ويعزّيها ويمسح أحزانها.. يقوّيها.. ويشجعها.. يعلّمها ويشوقها لأمجاد السماء.

♰ القيامة هى ارتفاع عن مستوى الخطية والمادة والأنانية والكبرياء.

♰ لا يستحق رؤية السيد المسيح القائم إلاَّ الذين أحبوه وآمنوا به واشتاقوا أن يروه حيًا من الأموات.

♰ مَن يريد أن يفرح بقيامة الرب يعيش حياة الصلاة والتسبيح ويكون صديقًا للملائكة الذين بشّروا بالقيامة.

♰ مَن يبكر فى فجر الأحد إلى الكنيسة يلتقى بالمسيح القائم ويفرح بالقيامة. "الَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي" (أم8: 17).

♰ السيد المسيح بعد قيامته كان يتحرك فى كل الاتجاهات، ويظهر فى أماكن عديدة، يضمد الجراحات، يرفع ويسند الضعفاء، ويجهّز الطاقات الكامنة فى الكنيسة وفى الطبيعة البشرية.

♰ القيامة تجعل الإنسان يستهين بالألم، وينظر إلى المجد الروحي الذى يعطيه اللَّـه لأبناء القيامة.

♰ القيامة هى مصدر القوة فى حياتنا؛ تجعلنا لا نخاف من المرض ولا الموت ولا المستقبل، ولا من كل تهديدات هذا العالم.

♰ دخل السيد المسيح القائم من الأموات فى وسط التلاميذ مكللاً بمجد القيامة ليعلن المصالحة وعودة الحياة.

♰ "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب13: 8)، وهو مستعد أن يُغيّر طبيعتنا ويحول ضعفنا إلى قوة، ويمحو كل خطايانا بحنانه العجيب. لكي يحررنا ويرفعنا إليه.

♰ الذى يُخرج من الآكل أُكلاً ومن الجافى حلاوة، حوَّل شك توما إلى قوة للشهادة، وهو يستطيع أن يحول الضعفات الموجودة فى حياتنا الروحية إلى وسيلة تُقربنا من اللَّـه، ويتمجد اسمه من خلال ضعفنا.

♰ الفرح بالقيامة هو لقاء مع المسيح الرب الحى القائم من الأموات، يجده أنقياء القلب والذين يحفظون وصاياه.

♰ لم يظهر السيد المسيح بعد قيامته إلاَّ للذين قبلوه فقط، ليؤكد أن التبرير من جريمة صلبه هو للذين آمنوا باسمه وقبلوه فاديًا ومخلصًا.

♰ ظهر السيد المسيح بعد قيامته للمؤمنين به فقط ولم يظهر لبيلاطس ولا لرؤساء الكهنة، **لأن رؤية القيامة هى عربون للحياة الأبدية، فكل من رأى المسيح القائم قد عاين الحياة الأبدية**.

♰ قام السيد المسيح فى فجر الأحد لكى نعرف أن القيامة بداية لنهار جديد فى حياة البشرية، فحينما أشرقت أنوار القيامة أشرق فجر جديد.

♰ ظهر لتلاميذه بعد القيامة وكان يردد "سلام لكم" إنه سلام المصالحة مع اللَّـه بالفداء الذى صنعه على الصليب، وعبّر عنه بعد القيامة المجيدة.. السلام الناشئ عن غفران الخطايا التى تزعج القلب وتقلق الضمير.

♰ جاء السيد المسيح ليحرر الإنسان من سلطان الموت الذى ملك أجيالاً كثيرة ويعلن انتصاره عليه بالقيامة وليمنح الإنسان اطمئنانًا على مصيره الأبدي.

♰ بالقيامة يتمتع القديسون بسلام اللَّـه فى قلوبهم، وقد صاروا نورًا للعالم، ومسكنًا للروح القدس، وأداةً لإظهار عمل اللَّـه وتمجيد اسمه.

♰ فى المعمودية صرنا متحدين مع الرب بشبه موته وبشبه قيامته ونلنا قوة الموت والقيامة مع السيد المسيح "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فى الْمَعْمُودِيَّةِ، التى فِيهَا اقِمْتُمْ ايْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللَّـه، الذى اقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (كو2: 12).

♰ القيامة الأولى التى لنا فى المسيح يسوع هى قيامة الحياة فى البر والنصرة على الخطية. والقيامة الثانية هى عند مجيئه الثاني واستعلان ملكوت اللَّـه.

♰ الإنسان الذى يتمتع ببركات القيامة يشتاق إلى الأمور السماوية "إِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللَّـه" (كو3: 1)**.**

♰ قيامة السيد المسيح قد نقلتنا من الظلمة إلى النور. الحياة مع اللَّـه هى حياة فى النور، وهذا النور يبدأ من هنا على الأرض ويستمر ويتألق جدًا فى الأبدية.

♰ السيد المسيح كما قال: "أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ" قال أيضًا: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ" لأننا نجدد قوة الاتحاد به فى موته وقيامته التى نلناها بالمعمودية، وذلك كلما تناولنا من جسده المحيي المصلوب القائم من الأموات.

♰ القيامة هى حياة النصرة على الخطية والنصرة على الموت الروحي، والتى تتحقق بالتوبة والاعتراف والتناول من جسد الرب ودمه.

♰ إن اشتراكنا مع اللَّـه فى الخلود وفى الحياة الأبدية هو العطية التى ننالها فى المسيح وبالمسيح، بقوة دم صليبه المحيي الذى نقلنا من الموت إلى الحياة.

♰ القيامة هى مصدر القوة والرجاء وموضوع الشهادة فى حياة الكنيسة، إلى أن يأتى الرب فى مجيئه الثانى للدينونة.

♰ ملكوت اللَّـه يبدأ فى قلب الإنسان بقبول سُكنى الملكوت فيه.. وينتهى بدخول الإنسان إلى الملكوت السماوى ليبتهج مع السيد المسيح فى مجده.. فى شركة ميراث القديسين فى النور.. فى فرح لا يُنطق به ومجيد.

♰ أفراح القيامة تعمل فى الإنسان الذى ذاق حلاوة النصرة مع السيد المسيح، فالقيامة ما هى إلاَّ الانتصار على الخطية والموت.

♰ نتحد بالمسيح القائم عندما نكون منتصرين على الخطية؛ واتحادنا به يجعل فكرنا سماويًا.

♰ إمكانية النصرة على الخطية موجودة لكل من يجدد مفعول موته وقيامته مع السيد المسيح من خلال سر التوبة والاعتراف، والاتحاد به فى سر الإفخارستيا.

♰ القيامة هى الانتصار على الموت وعلى العالم، فكما نحزن على خطايانا بالصليب، بالقيامة نفرح بالانتصار على الخطية.

♰ القيامة تعطينا الانتصار على سلطان الشيطان وجنوده، وعلى كل سلطان العالم.

♰ المسيحية ليست فقط هى حمل الصليب بما فيه من آلام وتعب ومعاناة؛ ولكن المسيحية هى اختبار نصرة القيامة "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَى نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ" (رو 8: 17).

♰ كل من يتوب عن الخطية، ويندم عليها، ويقوم منها ويتركها، سوف يفرح بالقيامة، ويرى السيد المسيح قائمًا.

♰ القيامة هى اتحاد بالسيد المسيح القائم من الأموات، وهى عطية اللَّـه للكنيسة عبر الأجيال.

♰ القيامة هى القوة الدافعة التى تعمل فى حياتنا باستمرار، وهى واقع نعيشه ونتمتع به فى حياتنا الداخلية.. حياة النصرة على الخطية.

♰ مَن يريد الحياة الأبدية فليتمسك بالسيد المسيح القائم، ويستتر فيه ويسلم نفسه إليه ويرتمى فى أحضانه المفتوحة.

♰ جسد السيد المسيح به قوة القيامة، وقد صار مأكلاً لنا يعطينا أن نتحد بقيامته، ونجدد قوة الاتحاد التى أخذناها فى المعمودية.

♰ جسد السيد المسيح يمنحنا قوة العبور من هذا العالم الحاضر.. من وادى ظل الموت إلى الحياة الأبدية.

♰ الإنسان المحب لمباهج العالم وأمجاده لا يستطيع أن يعيش القيامة ولا أن يستمتع بها.

♰ القلوب المهيأة المعدة لسكنى اللَّـه هي التى تتمتع بالقيامة.

♰ لكى تختبر القيامة فى حياتك وتحررك من محبة العالم لابد أن تفتح قلبك لمحبة السيد المسيح الفائقة، وتجرى مع التلاميذ لتبحث عن يسوع القائم ويكون لديك الرغبة الحارة أن تفرح برؤيته.

♰ اشتياقنا للقيامة يجعلنا نستمتع بها "طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ" (مت5: 6), نطلبها بكل جدية ونبحث عنها فنشعر بحضور يسوع المسيح القائم فى حياتنا ونتمتع به.

♰ "وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ فَفَرِحَ التّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ" (يو20: 20)، فنحن نفرح برؤية السيد المسيح القائم عندما نموت عن الخطية؛ وهذه هى القيامة الأولى التى هى حياة الفرح، والشركة مع المسيح القائم.

♰ قام السيد المسيح لكى يقيم طبيعتنا معه، ولكي تعمل قوة القيامة فى حياتنا لترفعنا كما رفعت التلاميذ من ضعفاتهم وشكوكهم.

♰ قيامة السيد المسيح من الأموات أعلنت تحرر البشرية من الموت إلى ما لا نهاية؛ لأنه لا يوجد فرح لا ينتهى إلاَّ فرح القيامة.

♰ القيامة الحقيقية ليست فقط أن نؤمن بقيامة يسوع المسيح إنما هى اشتراكنا معه فى قيامته وتحررنا من الموت ومن الخطية.

♰ القيامة الحقيقية هى غلبة الشيطان فى حروبنا الروحية.

♰ التوبة هى موت عن الخطية وقيامة فى حياة البّر مع السيد المسيح.

♰ قوة القيامة هى أن تكون قيامة السيد المسيح حقيقية فى حياة الإنسان الروحي كقائم منتصر على الشر وعلى الخطية.

♰ مَن يختبر القيامة يعيش فى الحرية الحقيقية التى تؤهلنا لميراث ملكوت السماوات.

♰ الحياة الأبدية هى اتحادنا بالسيد المسيح القائم بالإيمان والمعمودية والتناول من جسده ودمه والحياة المقدسة؛ وهذا الاتحاد يحررنا من الموت.

من كلمات قداسة البابا شنوده الثالث

قوة القيامة تظهر فى القيامة ذاتها،

وفى ملابساتها، وفى نتائجها وما حدث بعدها أيضًا...

فهى لم تكن قيامة فردية للسيد المسيح فحسب،

إنما كانت قيامة لنا جميعًا،

كانت عربونًا للقيامة العامة،

ولأورشليم السمائية،

وللأبدية بكل ما فيها من نعيم

حسب الوعود الإلهية..

1. المعروف أن الأريوسيين يدّعون أن الآب أوجد الابن من العدم، وبه خلق العالم كله، أى أن الآب السماوى خلق الكلمة ثم أخذ أجازة من الخلق وترك الكلمة يخلق العالم كله، وهذا مستحيل طبعًا، لأن عمل الله كخالق مستمر إلى هذه اللحظة، ولذلك قالها السيد المسيح بوضوح: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو5: 17)، الآب يعمل ولم يكف عن العمل فكيف يخلق الآب الكلمة ثم يتركه يخلق العالم؟! هذا كلام غير صحيح طبعًا لأن الآب خلق العالم بكلمته وروحه. والأريوسيون يقولون إن الآب خلق الابن من العدم، وأحيانًا يقولون إنه ولده بالإرادة، كما قيل عن ولادته لنا: "**شَاءَ فَوَلَدَنَا** بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ" (يع1: 18). بالنسبة لنا نحن، فإننا مولودون منه بالإرادة، لكن الابن لم يوُلد بالإرادة بل بالطبيعة لأنه إذا كان الابن قد وُلد بالإرادة فهذا يعنى أن الله أراد أن يوجد الابن فأوجده، وبهذا لا يكون الابن مساويًا للآب ولا له نفس الجوهر الذى للآب. بينما إرادة الآب وإرادة الابن وإرادة الروح القدس هى إرادة واحدة بسبب وحدانية الجوهر، وإن كان من حيث الأقانيم فإن للأقانيم الثلاثة إرادة حرة فى الحب وفى تبادل العلاقات بين بعضهم البعض، لكن الإرادة الثالوثية هى إرادة واحدة بسبب وحدانية الجوهر، والطاقة نفسها هى طاقة واحدة (sunergia سينيرجيا باللغة اليونانية). [↑](#footnote-ref-1)
2. القديس غريغوريوس اللاهوتى أو النزينزى هو الذى نصلى بالقداس الذى وضعه فى المناسبات، وكلماته تعتبر جواهر، وقد تتلمذ على كتابات القديس أثناسيوس. [↑](#footnote-ref-2)
3. الأفنومية: هى فرع من العقيدة الأريوسية، هى الأريوسية ولكن بها بعض تمايزات معينة. [↑](#footnote-ref-3)
4. حينما نقول إن أحد تعلم ركوب الدراجة فإن هذا يعنى أنه مارس ركوب الدراجة. [↑](#footnote-ref-4)
5. ) لم يكن السيد المسيح قد تجسد، فالسيد المسيح كان يظهر قبل التجسد ولكنه مجرد ظهور فقط وليس تجسد، وذلك كما حدث مع يعقوب إذ ظهر له إنسان وصارعه ليلة كاملة وقال يعقوب "قد نظرت الله وجهًا لوجه ونجيت نفسى" (انظر تك32: 24، 30). [↑](#footnote-ref-5)
6. ) حسب الترجمة القبطية عن السبعينية. [↑](#footnote-ref-6)